أهم الحركات التجديدية للدعوة الإسلامية في العصر الحديث

(الغايات والأهداف)

تأليف

الدكتور عبد الله بن حسين الموجان

أهم الحركات التجديدية

للدعوة الإسلامية

في العصر الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

أهم الحركات التجديدية
للدعوة الإسلامية
في العصر الحديث

(الغايات والأهداف)

تأليف
الدكتور عبد الله بن حسين الموجان

ⓒ عبدالله بن حسين الموجان ،١٤٢٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الموجان ، عبدالله بن حسين

أهم الحركات التجديدية للدعوة الإسلامية في العصر الحديث ، الغايات والأهداف /

عبدالله بن حسين الموجان .-مكة المكرمة ، ١٤٢٤هـ

٣١٢ ص ؛ ١٧×٢٤سم

ردمك ٦-١٣٢-٤٤-٩٩٦٠

١ - الحركات الإسلامية ٢- الدعوة الإسلامية أ- العنوان

ديوي ٢١٨, ٩ ١٤٢٤/٦٢١٤

رقم الإيداع : ١٤٢٤/٦٢١٤

ردمك ٦-١٣٢-٤٤-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

هاتف: ٥٦٦٤٣٤٧ ٢ ٠٠٩٦٦

ص.ب: ٦٨٥٩ - مكة المكرمة

الناشر

مركز الكون

هاتف: ٦٥٢٩٢٢٧ ٠٢ - ٦٥٠٣٢٥٥ ٠٢

فاكس: ٦٥١١٦٤٨ ٠٠٩٦٦٢

ص.ب.: ٩٠٧٥ - جدة ٢١٤١٣

مقدمة الكتاب

الحمد لله حمدا طيبا كثيرا مباركا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

والصلاة والسلام على رحمة الله تعالى للعالمين، صفوة خلقه أجمعين، المتفرد بالشفاعة العظمى يوم الدين، خاتم الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، وقامع الكفرة والمشركين، محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي العربي الأمين، وإمام الدعاة إلى الله الرحمن الرحيم، وأعظم المبلغين عن العلي الحكيم، وعلى آله وأصحابه الطيبين، أما بعد:

فإن الدعوة الإسلامية تقف هذه الأيام أمام طرق متباينة وسبل متفرقة مختلفة، التف حول كل طريق منها طائفة وسلك كلٌّ سبيل منها جماعة، واتخذت كل فئة نهجا مختلفا عن نهج الآخرين.

هذا بالرغم من أن الجميع يعلنون أنهم دعاة إلى الله تعالى، غايتهم إقامة الدين ونصرة الشرع الحنيف وإعلاء كلمته عز وجل فوق ضلالات الخلق أجمعين.

ذلك لأنهم مع اتفاقهم على هذه الغاية العليا، قد اختلفوا في الأهداف العملية، وتباينوا في الوسائل والأساليب التبليغية، وتباعدوا في المناهج التربوية التعليمية، ومن ثم تفرقوا في الآمال والطموحات، وبالتالي في المهمات والأولويات لذا كان لابد من وقفة تأملية ونظرة

تفحصية في النصوص الشرعية لمعرفة الغايات والأهداف الدعوية، **يعقبها** دراسة لأكبر الدعوات التجديدية لإبراز أهدافها ومقارنتها بالأهداف الشرعية.

فكان هذا الكتاب الذي بين يدي القاريء الكريم والذي موضوعه أهم الحركات التجديدية للدعوة الإسلامية في العصر الحديث الغايات والأهداف، وهو الموضوع الذي لم تفرد له دراسة مستقلة من قبل فيما أعلم عند الشروع في كتابته.

وليس أهم ولا أخطر بالنسبة للداعي من وضوح الأهداف والغايات التي بناء عليها تتحدد معالم الطريق، فيكون الداعي على بصيرة هو ومن اتبعه كما قال تعالى ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(١).

لقد تفرقت الأمة إلى عشرات الفرق كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ بأنها ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة تنجو منهم فرقة واحدة(٢).

وجماعات الدعوة إلى الله في العالم الإسلامي تنتمي غالبها إلى أهل السنة والجماعة الفرقة الناجية، ورغم أن منطلقهم واحد وغايتهم واحدة إلا أنهم اختلفوا في الأهداف العملية التطبيقية والأساليب الدعوية ومن ثم تمايزوا وأصبحوا مدارس في إطار الفرقة الناجية، ولكن بالرغم من وحدة الأصول والغاية العليا فإن هذا التمايز بينهم ـ وليس التفرق ـ أضر بالدعوة إذ تشتت الجهود وتبعثرت، ولم يكن ذلك إلا بسبب الاختلاف حول

---

(١) يوسف، ١٠٨.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق الأمة (ح٢٦٤٠) وقال: حسن صحيح، وأبو داود في كتاب السنة، باب شرح السنة (ح ٤٥٩٦)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، (ح٣٩٩١، ٣٩٩٢، ٣٩٩٣)، والحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي ١٢٨/١، وابن حبان في صحيحه ح.٦٢٤٧

الأهداف القريبة الأمر الذي أدى إلى الاختلاف حول تحديد الأولويات في العمل الدعوي، ومن المسلم به أن المدارس العاملة في ميدان الدعوة الإسلامية خلال القرنين الماضيين إن هي إلا امتداد لدعوات المجددين خلال القرون الإسلامية الأخيرة وأهمها:

١. دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في الجزيرة العربية فهي الدعوة القديمة الجديدة دائما، لأنها دعوة التوحيد الخالص فهي قديمة لأنها هي هي منذ نوح عليه السلام، وهي جديدة دائما وستظل ما دام الطاغوت يعمل في حياة الناس ليبث مناهجه الكفرية وعقائده الشركية فهي الحديثة قديما والقديمة حديثا.

لقد جاء الشيخ رحمه الله تعالى في عصر سادت فيه البدعة حتى أخفت السنة، وتفشت فيه الوثنيات القولية والفعلية والشركيات الضريحية حول أضرحة الصالحين وبين الطرق الصوفية بما يذكر بما كان عليه العرب قبل الإسلام وبخاصة دعاء غير الله تعالى، والتشفع بهم إلى الله تعالى زلفى، مما جعل مهمة الشيخ بإزاء هذه الشركيات أشبه ما تكون بمهمة النبي ﷺ في العهد المكي، وما دام الداء متفشياً ومستمراً فإن دواءه يظل مطلوبا وجديدا، ومن ثم لم يكن أمام الشيخ رحمه الله إلا أن يتخذ التوحيد الغاية العليا والهدف القريب في آن واحد.

والآن وبعد قرنين من الزمان بعد عصر الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبالرغم من نجاح دعوته في شبه الجزيرة حتى خلت من الأضرحة والشركيات بفضل الله تعالى، ثم بفضل جهاده وتلاميذه، وبسلطان آل سعود، فإن هذه الشركيات والبدع لازالت منتشرة في أرجاء العالم الإسلامي شرقا وغربا وشمالا وجنوبا مما يجعل دعوته جديدة ومعاصرة حتى تعود الأمة إلى التوحيد الخالص الذي كانت عليه في القرون الثلاثة الأولى.

٢. **دعوة الشيخ أبي الأعلى المودودي** في شبه القارة الهندية، **ودعوة الأستاذ حسن البنا في الديار المصرية**، وقد قامتا لهدف واحد بأساليب متشابهة لإعادة بناء أنظمة الإسلام السياسية والتربوية والاقتصادية والقضائية، تلك الأنظمة التي كانت ومازالت هدف الحملات الصليبية والمخططات الصهيونية الخبيثة، ولازالت تعمل على إقصائها عن واقع حياة الأمة الإسلامية.

٣. **قامت دعوات** أخرى في أقطار العالم الإسلامي لكنها دعوات محلية لم تخرج عن الحدود الوطنية لشعوبها.

ومن ثم توسعنا في الدعوة الأم في العصر الحديث وهي دعوة التوحيد، ثم في دعوة المودودي والبنا رحمهما الله، وتحدثنا عن سائر الدعوات الأخرى بإيجاز أو اكتفينا بذكرها باعتبار أن أهداف هذه الدعوات الثلاث تشمل وتغطي الأهداف العامة لسائر الدعوات.

لقد اقتضى منا الموضوع الرئيس للكتاب وهو أهم الحركات التجديدية للدعوة الإسلامية في العصر الحديث (الغايات والأهداف) أن نقدم له بتعريف الدعوة الإسلامية ثم التمييز بينها وبين تعريف الدين وبيان أهمية الدعوة بالنسبة للدين حيث انتهينا إلى أن الدعوة إلى الإسلام فريضة على الأمة، كل هذا المدخل استغرق أربعة فصول من فصول الكتاب التي بلغت أحد عشر فصلاً.

ثم تناولت المقصود من الغايات والأهداف والفرق بين الغاية والهدف بعامة، وبالنسبة للدعوة الإسلامية بخاصة، حيث توصلت من خلال الفصلين الخامس والسادس إلى ثماني غايات للدعوة الإسلامية لينتقل البحث بعد ذلك في الفصل السابع إلى حركات الدعوة التجديدية في العصر الحديث للنظر في أهدافها وغاياتها في ضوء الغايات الثماني التي توصلنا إليها من قبل.

وخصصت الفصل الثامن لدعوة التوحيد للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بتوسع لما لها من أهمية وتأثير في تاريخ الدعوة حديثا، إذْ لازالت الحاجة إليها ماسة لعلاج الانحرافات العقدية في بلاد الأمة الإسلامية.

أما دعوة الإخوان المسلمين، ودعوة الجماعة الإسلامية بباكستان فقد استغرقتا الفصول التاسع والعاشر والحادي عشر وذلك لما طرأ على الهدف من تحول خلال العقود الأربعة الأخيرة من القرن العشرين، فصار الهدف تكوين المجتمع المسلم بدلا من إقامة الدولة الإسلامية.

إن معالجة قضية غايات الدعوة بالنسبة لكل مدرسة من مدارس الدعوة في ضوء ما توصلنا إليه عن الغايات الدعوية في القرآن والسنة لم يكن لمجرد النقد تجريحاً أو مديحاً، وإنما رجاء أن تكون هذه المعالجة الفكرية لهذه القضية سبيلا ومقدمة ممهدة لتوحيد غاية هذه المدارس توطئة لتوحيد الأهداف، ثم الجهود لعل طوائف الدعاة المخلصين يصيرون بذلك طائفة واحدة لأنه بدون توحيد الأهداف لا تتوحد الجماعات، وبدون توحد جماعات ومدارس الدعوة لن يكون ثم أمل في وحدة الأمة.

هذا الكتاب دعوة من المؤلف إلى سائر الدعاة إلى الله تعالى الذين يدعون إليه على بصيرة، دعوة الدعاة إلى توحيد الغاية والهدف والطريق فهو رسالة إليهم أقول لهم فيها:

"**أيها الدعاة** إذا اختلفتم في الأساليب والتطبيقات وتباينتم في الأهداف القريبة والطموحات، فالواجب أن تتفقوا على الغاية العليا، لأنكم إذا عملتم جميعا لغاية واحدة فلابد أن تلتقوا عليها يوما ما، ولابد أن تتوحدوا على طريقها، فإذا كانت وحدة الأمة واجبة فإن وحدتكم فريضة، لأنكم الرواد، والرواد لا يكذبون أهليهم، وحيث إنه ما لا يتم

الواجب إلا به فهو واجب، فإن اتفاقكم على غاية واحدة أمر واجب بل هو فريضة عليكم.

فيا أيها الدعاة إلى الله..

يارواد أمة محمد ﷺ...

كونوا خير رواد لخير أمة أخرجت للناس، واعملوا على وحدتكم، فإن هذه الوحدة هي الخطوة الضرورية الأولى نحو صحوة الأمة وعودة الخلافة الإسلامية التي ستعود حتما بإذن الله تعالى كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ، فطوبى لمن له فضل السبق ليكون أحد الذين قال فيهم رب العالمين ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ . وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾[1] فطوبى لمن صار من القليل الآخرين، والله تعالى من وراء القصد، وهو سبحانه الهادي إلى سواء السبيل،،،

د/ عبد الله بن حسين الموجان

السعودية ـ مكة المكرمة ص ب ٦٨٥٩

(١) سورة الواقعة، آية: ٣٩، ٤٠.

الفصل الأول

تعريف الدعوة الإسلامية

الدعوة في اللغة العربية:

تتعدد معاني كلمة الدعوة في معاجم اللغة العربية، وتختلف دلالاتها باختلاف السياق، فهي: الدعاء والنداء والصياح والطلب والسؤال والاستغاثة والانتساب والزعم والتجمع والميل والرغبة والحث(١).

تقول: دعوت الرجل دعاء أي ناديته وطلبته.

ويتعدي الفعل **(دعا)** بحرف **(اللام)** تقول: دعوته للوليمة، وبحرف الجر (إلى)، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(٢)، وتقول: دعوته إلى الوليمة أي عزمت عليه لحضورها، وطلبته إليها، ودعاه لمذهبه أو دعاه إلى دينه.

ويتعدى بحرف الباء قال تعالى ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾(٣)، أي يدعو بالشر على نفسه كدعائه لها بالخير.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة / ابن فارس ج٢ ص ٢٣٩، المفردات للراغب الأصفهاني، لسان العرب / ابن منظور ج١٤، المعجم الوسيط ج١.

(٢) ٣٣/ فصلت.

(٣) ١١/ الإسراء.

قال ابن عباس: هو دعاء الرجل على نفسه وولده عند الضجر بما لا يحب أن يستجاب له[(١)]، فالباء هنا حلت محل حرف الجر (إلى).

وذلك أن الفعل دعا يتعدى بحرف اللام إذا كان الدعاء للمدعو لـه بالخير، وبحرف (على) إذا كان الدعاء بالشر، تقول: دعا له بالخير أي سأل الله تعالى له الخير وطلبه له، ودعا عليه بالشر أي دعا الله تعالى للانتقام منه.

ومن ثم يمكن القول إن جوهر معنى الدعوة هو: **مجرد الطلب لشيء ما**، سواء أكان هذا الشيء حسياً أم معنوياً، خيراً أم شراً، إيماناً أم كفراً، طاعة أم معصية، حقاً أم باطلاً، وكل من يدعو إلى شيء من هذا كله ـ مع تناقضه واختلافه ـ صاحب دعوة، فالدعوة إما أن تكون إلى الله عز وجل أو إلى الطاغوت.

الدعوة إلى الله تعالى لغة:

فعل الدعوة يتعدى بنفسه إلى مفعول وبالحروف إلى مفعولين إذ يدعو الداعي غيره إلى شيء ما كما ذكرنا آنفاً، ومعنى الدعوة إلى الله : **أي عبادته**، قال تعالى لرسوله الخاتم ﷺ ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[(٢)]، أي داعيا إلى توحيد الله عز وجل وما يقرب منه[(٣)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله"[(٤)].

---

(١) تفسير الطبري ٨/٤٤-٤٥، آحاديث رقم ٢٢١١٢، ٢٢١١٣، ٢٢١١٤، ٢٢١١٥، وزاد المسير لابن الجوزي ٥/١٣، وجاء نحوه عن الحسن أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٢٣١٩ ح١٣٢٠١.

(٢) ٤٦ / الأحزاب.

(٣) لسان العرب / ابن منظور ج١٤، مادة دعا.

(٤) الفتاوى الكبرى / ابن تيمية ج١٥ ص١٥٨ الطبعة الأولى الرياض ١٣٨٢ هـ.

وعند ابن القيم رحمه الله: "هي الدعوة إلى دينه وعبادته ومعرفته ومحبته"(١).

قلت: وهذا يعني أن الدعوة إلى الله تعالى هي دعوة الناس إلى الإسلام له عز وجل، لأن الإسلام دينه، إذْ ليس عند الله تعالى دين مقبول سوى الإسلام، وشعار الإسلام الذي يعبر عنه هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والدعوة إلى الله تعالى هي دعوة لهذه الشهادة يدل على هذا أن رسول الله ﷺ قال مما قال في كتابه لهرقل: "أدعوك بدعاية الإسلام"(٢)، أي بدعوته وهي كلمة الشهادة التي يدعي إليها أهل الملل الكافرة، وفي رواية: "أدعوك بداعية الإسلام"(٣)، والداعية مصدر بمعنى الدعوة أيضاً كالعافية والعاقبة، ومن ثم ينتهي ابن منظور في اللسان إلى أن الدعوة إلى الله تعالى هي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وهي الدعوة إلى دين الإسلام قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾(٤) قال الزجاج: جاء في التفسير أنها شهادة أن لا إله إلا الله.

الدعوة إلى الله تعالى اصطلاحاً:

لا نجد عند العلماء في القديم تعريفاً اصطلاحياً للدعوة إلى الله تعالى، وما سبق أن ذكرناه عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما

---

(١) مفتاح دار السعادة / ابن القيم ج١ ص١٩٤، دار الفكر دمشق.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب٦ ح٧، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب كتاب النبي إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ح١٧٧٣، وأحمد في المسند١/٣٦٣.

(٣) هذه الرواية بهذا اللفظ ذكرها الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري وعزاها لمسلم، انظر فتح الباري ١/٥٢، في شرح ح٧.

(٤) هذا التفسير مأثور عن ابن عباس رضي الله عنهما، رواه الطبري في تفسيره عند هذه الآية ٧/٣٦٤، أحاديث ٢٠٢٨١، ٢٠٢٨٠، ٢٠٢٨٤، ومثله جاء عن ابن زيد ح٢٠٢٨٥، والآية من سورة الرعد رقم١٤.

الله، وقبل الخوض في تعاريف متعددة للدعوة ومناقشتها نشير إلى أن الدعوة إلى الله هي جهد بشري في منظومة تشمل الداعي والمدعو في إطار زماني ومكاني مع تحديد واضح لغايات الدعوة وأهدافها، وستتم مناقشة التعاريف ضمن هذه العناصر الرئيسة.

ولعل ذلك راجع إلى أن الدعوة إلى الله لم تتبلور باعتبارها علماً أكاديمياً أو بالأحرى علوماً أكاديميةً إلا في هذا العصر حين أنشئت أقسام الدعوة بكليات أصول الدين، أما وقد أصبحت موضوعات الدعوة علوماً، فقد لزم أن يكون لها تعريفها الاصطلاحي.

ولعل أولى الناس بتعريف الدعوة إلى الله هم أولئك الدعاة الذين مارسوا الدعوة إلى الله عز وجل فبرزت لهم من خلال معاينتها ومعايشتها عناصرها الرئيسة والفرعية الأمر الذي يجعلهم الأجدر بوضع التعريف الجامع المانع لها.

من هؤلاء **الأستاذ البهي الخولي** في كتابه تذكرة الدعاة فقد عرَّف الدعوة بقوله: هي نقل الأمة من محيط إلى محيط، تلك هي مهمة الداعية، فيها يتدرج مجمل منهاجه ومفصله وَمَنْ ظنها غير ذلك فقد جهل نفسه ورسالته[1].

وتعليقنا على هذا التعريف أنه ليس جامعاً مانعاً للدعوة الإسلامية، إذ هو تعريف لها، في فترة معينة من فترات التاريخ الإسلامي بعدت فيه الأمة عن كتابها وعاشت بمنهج مخالف لمنهج الله عز وجل ولا زالت، ومن ثم جاء هذا التعريف معبراً عن غاية الدعوة عند إحدى حركات الإصلاح والتجديد الحديثة وهي دعوة الإخوان المسلمين التي ينتمي إليها صاحب التعريف، ومن ثم اتسم هذا التعريف بالخصوصية وبعده عن التعميم والشمولية.

---

(١) البهي الخولي / تذكرة الدعاة ص٣٥، دار العلم، بيروت ـ دمشق ـ طبعة ١٣٥٧ هـ.

أما الشيخ الغزالي فقد عرف الدعوة بأنها: برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من مَحْيَاهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين"[1].

وهذا التعريف وإن بدا شاملا أو جامعاً إلا أنه تعريف للإسلام أكثر من كونه تعريفاً للدعوة الإسلامية، إذ خلا تماماً من الكلام عن الدعوة: العمل والحركة والجهد المبذول لنشر الإسلام.

وبخلاف الشيخ الغزالي نجد الدكتور **رؤوف شلبي** قد أبرز في تعريفه الجانب الحركي والجهد المبذول اللازمين لنشر الدعوة حيث قال: "الدعوة الإسلامية هي حركة إحياء للنظام الإلهي الذي أنزله الله عز وجل على نبيه الخاتم"[2].

فضمن تعريفه لفظة (حركة إحياء) باعتبارها عناصر رئيسة في الدعوة لإقامة الإسلام في واقع الحياة.

وهكذا نجد أن كلاً من هذه التعريفات الثلاثة قد أبرز جانباً من جوانب الدعوة على حساب بقية الجوانب.

فتعريف الأستاذ البهي ركز على الهدف من حركة الدعوة في عصر ومن خلال الحركة التي ينتمي إليها، بينما جاء تعريف الشيخ الغزالي مجرد وصف لمنهج الله الذي يحتاج إليه الناس فهو تعريف بالإسلام أي المنهج الذي يدعو الدعاةُ الناسَ إليه مع إغفال العمل الذي يجب إنجازه لاستمالتهم له، أما الثالث فقد جمع بين الحركة والغاية منها.

وهذان العنصران الرئيسيان في الدعوة الإسلامية اجتمعا مع التعميم ومع عناصر أخرى في تعريف الشيخ سيدي محمد الحبيب حين قرر أن

---

(١) محمد الغزالي/ مع الله دراسات في الدعوة والدعاة ص١٧، دار الكتب الإسلامية ١٤٠١ هـ.

(٢) د. رؤوف شلبي / الدعوة في عهدها المكي: منهاجها وغاياتها ص٢٣.

الدعوة إلى الله هي: قيام من له أهلية بدعوة الناس جميعاً في كل زمان ومكان لاقتفاء أثر رسول الله ﷺ والتأسي به قولاً وعملاً وسلوكاً"[1].

وبتحليل هذا التعريف نجد أنه يتضمن العناصر الرئيسة التالية:

١. ذكر **الحركة** والجهد والعمل.

٢. ذكر **الدعاة** مع اشتراط تأهيلهم للدعوة.

٣. ذكر **المدعوين** الذين توجه إليهم الدعوة.

٤. إطلاق الزمان **والمكان** بالنسبة للدعوة الإسلامية بإدخال عنصر التعميم الذي نأى به عن الخصوصية.

٥. بيان **غاية الدعوة وهدفها**، وهو تعريف وتحديد لمفهوم الإسلام وهو اتباع رسول الله ﷺ في القول والعمل والسلوك، وهو تعريف جامع للإسلام.

وهكذا غلب على هذا التعريف صيغة العموم ما عدا عنصر الدعاة إذ حصرهم فيمن تأهلوا لها علما وعملاً، وهذا التخصيص لابد منه إذا كان المراد الدعوة إلى الله على سبيل العموم إلا أنه لا يمنع أن تدعو فئة من غير المتخصصين إلى الله تعالى في بعض جزئيات الإسلام، فالصحابة رضي الله عنهم قد دعوا إلى الله تعالى ولم يكونوا على قدر واحد من العلوم الشرعية، وكما في الحديث: "بلغوا عني ولو آية"[2]، فالظاهر عندئذ أن يصاغ التعريف على الصيغة العامة في هذا العنصر أيضاً.

ومن بين هذه العناصر الخمسة آنفة الذكر ركزت بعض التعريفات على عنصري الحركة أو الجهد أي وسيلة الدعوة إلى الله وغاية الدعوة التي ما

---

(١) الشيخ صبري محمد الحبيب / الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم ص٢٧.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ح١٤٦١ من حديث عبد الله بن عمرو كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

هي إلا نشر الإسلام وإقامته في واقع الحياة البشرية، فالاثنان: الوسيلة والغاية يطلق (الكُتَّاب) عليهما الدعوة الإسلامية.

وهذا ما أثبته صراحة الأستاذ **أحمد عطية** صاحب القاموس الإسلامي في تعريفه بقوله: يطلق لفظ دعوة اصطلاحا على الرسالة الإسلامية كما يطلق على النبي ﷺ داعي الله، أي صاحب الدعوة إلى توحيد الله، لهذا يعتبر الإسلام دين الرسالة أو دين الدعوة، أي أنه من الأديان التي تدعو الإنسانية إلى اعتناق المباديء التي تنادي بها، كما يعتبر الرسول ﷺ أول الدعاة[١].

وتعليقنا على هذا التعريف أنه يكتنفه الخلط والغموض والقصور أيضاً، فهو أولا يعتبر الدعوة الإسلامية إحدى الدعوات بقوله: أي أنه من الأديان التي تدعو الإنسانية...

فنظَّر دعوة الإسلام بغيرها من الدعوات ودين الإسلام بغيره من الأديان ولم يبرز في التعريف ما يتميز به الإسلام عن غيره من الأديان ولا ما تتميز به الدعوة الإسلامية عن غيرها من الدعوات، وهذا هو الخلط في التعريف.

وثانيا هو تعريف قاصر إذ أن أهم العناصر الخمسة المذكورة في التعريف السابق (لسيدي حبيب) وهو من أجمعها، مفقودة هنا، وأهمها الجهد البشري المبذول لتبليغ الإسلام، والذي هو العنصر الرئيس حسب المعنى اللغوي.

بيد أن بعض الكتاب قد جمعوا في تعريفاتهم للدعوة بين الغاية والوسيلة مثل التعريف القائل: الدعوة اسم جامع لرسالة الإسلام وتعاليمه

---

(١) أحمد عطية / القاموس الإسلامي ج٢ ص٣٧٣، مكتبة النهضة المصرية ١٣٨٦ هـ.

من عقيدة.. الخ، وهي أيضا اسم جامع لسائر وسائل حمل الناس على هذه الرسالة، وسائر أساليب التبليغ عن الله ورسوله على اختلاف مراحلها، فبذلك تكون كلمة الدعوة للوسيلة والغاية معاً، ولكن الأغلب أن تستعمل في المرحلة الأولى من مراحل التبليغ عن الله ورسوله ﷺ[١].

ومن ثم يصدق مصطلح الدعوة الإسلامية على مفهومين:

الأول: مفهوم البلاغ والبيان ونشر الإسلام والعمل على إقامته في واقع الحياة البشرية.

الثاني: بمعنى الإسلام أو الرسالة الإسلامية أو الدين الإسلامي المتمثل في القرآن الكريم والسنة اللذَيْن يدعو الدعاة الناس إليهما.

ونجد التعريف نفسه عند الدكتور أحمد غلوش إذ (عَرَّفَ) الدعوة بأنها المحاولة العملية أو القولية لاستمالة الناس إلى الإسلام ثم قال: ونلاحظ أننا كما نطلق على المحاولات المذكورة اسم الدعوة، نطلق على الدين الإسلامي نفس الاسم، وهذا مما يجعلنا نذكر أن كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التي تطلق على الإسلام وعلى عملية نشره بين الناس، وسياق إيرادها هو الذي يحدد المعنى المراد، فمثلاً إذا قيل: هذا من رجال الدعوة إلى الله، كان معنى الدعوة هنا محاولات النشر والتبليغ، وإن قيل: اتبعوا دعوة الله كان المراد بها الإسلام[٢].

ومن ثم قدم بعد هذا، تعريفين للدعوة، **أحدهما**: للدعوة الوسيلة، والآخر للدعوة الغاية فقال في تعريف الأول:

الدعوة بمعنى النشر هي: العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية

---

(١) آدم عبد الله الألوري / تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم ص١٨ـ٢٠.

(٢) د. أحمد غلوش / الدعوة الإسلامية أسسها وغاياتها، صفحة ٩، وما بعدها حتى صفحة ١٤.

المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق[1].

وقال في تعريف الدعوة الغاية: الدعوة الإسلامية هي الدين الذي ارتضاه الله للعالمين، وأنزل تعاليمه وَحْياً على رسول الله ﷺ وحفظها القرآن الكريم وبينها في السنة النبوية[2]. . . ،

ولكن المؤلفين والكتاب لم يوافقوا على هذا المعنى المشترك للدعوة، فرفض قسم منهم أن يكون الدين الإسلامي المعنى الثاني للدعوة الإسلامية فقصروا تعريف الدعوة الإسلامية على الجهد والعمل لنشر الإسلام، ومن هؤلاء الدكتور رؤوف شلبي الذي أَيَّدَ تعريف الشيخ محفوظ الذي قصر معنى الدعوة على أعمال وجهود تبليغ الإسلام، فقال معلقاً على تعريف الشيخ محفوظ ذي العناصر الخمسة:

إن الشيخ بهذا التعريف قد أعطانا في المفهوم الاصطلاحي أن الدعوة ليس هي الدين نفسه بل هي إيجاد الدين كسلوك واقعي محسوس، وهذا هو الذي يبدو في تصور مفهوم الدعوة الإسلامية[3].

وقال في موضع آخر مؤكدا هذا الفصل بين المفهومين: . . . وأن الدين كما عرفه دراز مغاير في دلالته لمفهوم الدعوة الإسلامية[4].

قلت: وبالله تعالى التوفيق والسداد وهذا الذي أراه، إذ أن الدعوة إلى الله عز وجل من أعمال البشر المكلفين بها فهي **جهد وفعل وحركة وعمل** منسوبة إلى من يقوم بها من الدعاة، بينما الإسلام الذي هو دين الله

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ونفس الصفحة.

(٣) انظر د. رؤوف شلبي / الدعوة الإسلامية في عهدها الملكي مناهجها وغاياتها، دار العلم ط٢ ص ٢٠ـ ٢٤، وتنظر كذلك المجمع العربي قبل الإسلام ص١٢ ـ ١٤.

(٤) انظر كتاب الدين للدكتور / محمد عبد الله دراز الفصل الأول.

تعالى منزل من عنده سبحانه على رسوله الخاتم ﷺ فكيف نطلق على عمل الناس وعلى دين الله تعالى المنزل اسما واحدا الأول منسوب للفاعلية البشرية بما يكتنفها من قصور وعدم توفيق ونجاح أحيانا، والثاني منسوب لله عز وجل وقد نزل من عنده تاما كاملاً.

وبداهة فإن الدعوة التي هي فعل الداعي وجهده مغايرة ومتميزة عن الشيء الذي يدعو الدعاةُ إليه كتغاير العلة عن المعلول بالضرورة.

ولعل شيوع إطلاق اسم الدعوة على دين الإسلام أي المدعو إليه هو مما أُشتُهِرَ بين عامة الناس أو حتى بين كثير من الدعاة والوعاظ، ولكن إشاعة هذا الاستخدام لم يكن نتيجة دراسة لغوية أو أكاديمية بقدر ما كان انتشاره باعتباره من الأخطاء الشائعة لمغايرته للمعنى اللغوي لكلمة الدعوة التي يدور محورها حول مجرد الطلب والحث والإمالة والنداء، فهو استخدام عفوي صار من الأخطاء الشائعة.

ننتهي من كل هذا وذاك إلى أن أقرب التعريفات للصحة والكمال هو تعريف الشيخ **سيدي محمد الحبيب** الذي تضمن عناصر متعددة حتى كاد أن يكون جامعاً في بيان أهداف الدعوة وغاياتها إلا من خلال الفردية منها دون الجماعية.

العناصر الداخلة في معنى الدعوة:

بيد أن من الأوفق قبل أن نقدم ما نراه تعريفا جامعاً للدعوة الإسلامية أن نورد وظائف الداعي أو الفنون التي تضمَّنتْهَا الدعوة، والتي لابد للداعي الناجح أن يكون ملماً بها متمرسا عليها مزاولا لها، وهذه الوظائف تحمل اسما يعتبرها البعض من مرادفات الدعوة، إلا أن ألفاظ اللغة قد يكون بينها اشتراك في أجزاء معانيها لكنها لا تكون مترادفة بمعنى المطابقة التامة كما قرر ذلك بعض اللغويين[١].

(١) انظر مقدمة كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري.

هذه الألفاظ هي: الدعاية، الوعظ[1]، التعليم والتدريس، الإرشاد، التذكير، البيان، التبشير، الإنذار والتربية.

١. **الدعاية**: تكاد تكون مرادفة للدعوة ففي كتابه ﷺ لهرقل الروم: أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم[2].

ومعناها دعوة الإسلام وهي من كلمة الشهادة التي يدعي إليها أهل الملل الكافرة، وفي رواية عنه ﷺ: "أدعوك بداعية الإسلام[3]".

وهي مصدر بمعنى الدعوة أيضاً كالعافية والعاقبة.

٢. **الوعظ**: وهو يقوم أساسا على الترهيب والترغيب، والنصح بالخير بالحكمة وبالأسلوب الذي يحبب في الخير ويبغض في الشر وعاقبته ويحذر منه، ومن ثم قد يكون الداعي واعظاً، بل ويندب له أن يكون كذلك، ولكن ليس بالضرورة أن يكون الواعظ داعيا، لأن الوعظ من وظائف الدعوة وليست هي كل عمل الداعي، وهذا ما قرره الشيخ محمد الغزالي بقوله: وربما وصف بالدعوة بعض الوعاظ الذين يرققون القلوب، ويذكِّرون بالخير، ويعينون على العبادة، وهذا وصف يصح على ضرب من التجوز ولكن شأن الدعوة أوسع مكانا وزمانا من هذا النصح المؤثر البليغ[4].

٣. **التعليم والتدريس**: وهو أيضاً من وظائف الداعي وأعمال الدعوة، وليس كلُّ جهد الدعوة ووظائف الداعي تعليما وتدريسا، فالدعوة أوسع نشاطا وأكثر جوانب وعناصرَ من التعليم والتدريس، سواء أكان منه

---

(١) انظر تاريخ الدعوة بين الأمس واليوم لمؤلفه آدم عبد الله الالوري ص١٧، وما بعدها.

(٢) تقدم تخريجه ص٤.

(٣) تقدم تخريجه ص٤.

(٤) الشيخ الغزالي/ الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر دار السلاسل الطبعة الأولى ١٤٠٠.

الأكاديمي أم الشعبي في المساجد وفي برامج الإعلام، فربما فتحت الدعوة أركانا في برامج الإعلام تطول أو تقصر، وقد يسمى أولئك المتحدثون دعاة على اختلاف الموضوعات التي يطرقونها، وهذا أيضاً وصف مَجَازِيٌّ للدعوة الإسلامية...، فإن التدريس والحوار بعض الجوانب العملية للرسالة الإسلامية[1]، وليس كل جوانبها.

٤. **الإرشاد**: هو بيان الحرام والحلال للناس، وهدايتهم إلى الحق والطريق المستقيم، وحثهم على الخير وتنفيرهم من الشر، وهو وظيفة مشتركة مع الواعظ من جانب ومع التعليم والتدريس من جانب آخر، ولكن له معناه المستقل عن كل منهما، إذ يختص ببيان طريق الخير وطريق الشر، وهو يتوجه أكثر ما يتوجه إلى السلوك الخلقي وهو من الدعوة وليس كلَّ عمل الدعوة إذ هي أوسع منه مدى ووسائل وأهدافاً.

٥. **التذكير**: وهو **نوعان، الأول** ما يتوجه الداعي به للمؤمنين فهو علاج للغفلة، بينما الإرشاد والتعليم علاج للجهل.

فالمؤمن كثيراً ما يغفل عن الحق والخير نتيجة لَهْوِ الحياة الدنيا وزينتها واستدراجٍ من الشيطان، ومن ثَمَّ يكون تذكيره بالله تعالى بالحساب وبالجزاء الأخروي نافعا للمؤمن، إذ أنه يبصر طريقه على الفور ويعود لربه قال تعالى ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[3].

(١) الشيخ الغزالي / الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ص١٢، دار السلاسل، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ.
(٢) ٥٥ / الذاريات.
(٣) ٢٠١ / الأعراف.

فهذا النوع أقرب للوعظ.

النوع الثاني: من التذكير هو ما يتوجه به الداعي لغير المسلمين وهو مختلف عن التذكير الأول، إذ الثاني تذكير بالتوحيد الفطري الذي جبل الله تعالى عليه الخلق، بينما النوع الأول تذكير باليوم الآخر وبالحلال والحرام، ذلك لأن الداعيةَ الإسلامي الوحيد في الأرض الذي عندما يدعو الناس إلى الله الواحد ربا إلها لا معبود غيره، فإنه لا يدعوهم إلى عقيدة غريبة على نفوسهم، وإن بدت لهم أحيانا أنها جديدة على أسماعهم لأن الله عز وجل فطر الناس على التوحيد وعلى الإسلام، ومن هنا فإن الدعوة إلى عقيدة الإسلام تذكير بالتوحيد الجبلي ومحاولة لإعادة الناس إلى ما كانوا عليه بمقتضى الجبلة التي ولدوا عليها، فهو من هذا الوجه تذكير بجانب كونه تعليما وهديا وبيانا، قال تعالى لرسوله الكريم ﷺ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾(١)، وقال تعالى ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ. سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ. وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى. ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾(٢)، وقال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾(٣)، وقال تعالى ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ. فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾(٤). وهذه كلها موجهة بالأصالة إلى مشركي مكة، وكل المشركين والكافرين في كل مكان وزمان لأن هذه الآيات جميعا نزلت في مكة والقرآن المكي يخاطب المشركين، ويتناول مسائل اعتقادية، فالتذكير فيها منصب على التوحيد، وحيث إن التذكير هو استرجاع ما كان يعلمه الإنسان من قَبْل ونَسِيَهُ، فإن هذا يدل على أن المقصود بالذكرى هو ذكرى الميثاق والمعرفة الفطرية بالله تعالى ـ يؤكد هذا قوله تعالى عن المشركين المعاندين ﴿فَمَا لَهُمْ

---

(١) ٢١ / الغاشية.

(٢) ٩ـ١٢ / الأعلى.

(٣) ١٩ / المزمل.

(٤) ٥٤ ـ ٥٥ / المدثر.

عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾[1] فهي تذكرة إذن بالتوحيد الفطري الميثاقي[2].

١. ومن ثم تكون مهمة التذكير التي يضطلع بها الداعية كوظيفة من وظائف الدعوة مقاربة وتكاد تكون مرادفة للدعوة من حيث إنها تتناول جوانب العقيدة لغير المسلمين وجانب الفروع والأحكام الشرعية للمسلمين، وهذا صحيح لولا أن الدعوة أعم من التذكير، لأن الدعوة تذكير وبيان وتعليم وإرشاد وتبشير وإنذار، وليست تذكيرا فقط، فالتذكير من أساليب الدعوة ووظائفها وليس هو وظيفتها الوحيدة.

٦. **البيان**: هو كشف اللبس والغموض، بالتوضيح والتفصيل والتحليل، ورفع الغطاء والستر لإظهار المستور والمخفي، وهو من مهام الدعاة وفيه جزء من معنى الإعلان والإظهار ونقيضه الكتمان قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ. إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3].

فالذين كتموا الحق الذي أنزله الله تعالى أخفوه ولم ينطقوا به إعلانا وبيانا للناس، استحقوا لعنة الله تعالى ولعنة اللاعنين، ولا توبة مقبولة لهم إلا أن يبينوا ويظهروا وينشروا الهدى الإلهي المنزل وهذا من الدعوة.

فالبيان والتبيين لما أنزل الله تعالى من الحق هو من مهام الرسل، ومن ثم فهو من مهام الدعاة الذين هم ورثة الرسل ومن أهم وظائف الدعوة، لأن الدعوة نداء للتبليغ، والتبليغ لا يتم إلا إذا كان المبلَّغ واضحا بينا للمبلغين.

---

(١) ٤٩ / المدثر.

(٢) المراد بالميثاق والمعرفة النظرية ما جعل الله العباد عليه من معرفته وتوحيده قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾.. الآية ١٧٢ من سورة الأعراف، وانظر تفسير ابن كثير ص٥٥٢ (م في مجلد واحد).

(٣) ١٥٩ ـ ١٦٠ / البقرة.

قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾(١).

فإذا كانت التذكرة من مهام الداعية وأهداف الدعوة فإنها لا تتم إلا بالبيان، قال تعالى ﴿يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(٢).

ولذا كان الفهم والتعقل أيضاً من أهداف الداعية، ومن وظائف الدعوة قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٣).

وإذا كان الاهتداء إلى الحق والخير من الأهداف العليا للدعوة الإسلامية، فإن البيان هو السبيل القويم لهذا الهدف قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٤).

ذلك أن البيان للمؤمنين ولغيرهم وقاية من الضلال قال تعالى ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾(٥).

ومن ثم فالصلة وثيقة بين الدعوة والبيان، إذ البيان عنصر رئيس من عناصرها.

٧. **التبشير**: هو من البشارة أي الإخبار بما يدخل السرور على النفس والانشراح على الصدر والخبر الذي يبشِّر به الرسل والأنبياء ومن بعدهم يبشر به الدعاة المدعويين هو الفوز بالجنة للصالحين.

---

(١) ١٨٧ / آل عمران.
(٢) ٢٢١ / البقرة.
(٣) ٢٤٢ / البقرة.
(٤) ١٠٣/ آل عمران.
(٥) ١٧٦ / النساء.

فالداعي مبشر بالجزاء الأخروي سعادة ونعيما للمؤمنين الصالحين بالضرورة، إذ لابد له من ترغيب الناس في الخير والصلاح، والاستعداد للتضحية في سبيل الله عز وجل، ولا يكون هذا إلا بالإيمان باليوم الآخر والجزاء الأخروي، فالترغيب من باب التبشير، لأنه حث على ما يترتب عليه الثواب، ولكن لا يجوز أن نطلق على الداعي إلى الله في الإسلام اسم المبشر حيث غلب استعمال هذا الاسم لدعاة النصرانية، والإسلام يمنع المسلمين من تقليد النصارى والمخالفين والتشبه بهم.

كما أن الداعي إلى الله عز وجل في الإسلام ليس مبشراً فقط بل هو منذر للمفسدين كذلك، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا . وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾[1].

فدل ذلك على هذا التفصيل لوظائف النبي ﷺ التي كلفه وشرفه بها ربه سبحانه وتعالى، على أن التبشير والإنذار غير الدعوة لله تعالى، وإن كانت من وظائفها التي يحتاج إليها الداعي في دعوته.

٨. **الإنذار**: هو التحذير من شر سيحدث في المستقبل للذين يوجه إليهم، ويطلق أيضا على علامات قرب وقوع هذا الخطر أو الشر المنذر به، والمقصود بالنذير في الإسلام النبي أو الرسول المرسل إلى قومه إذ يخيرهم بين عبادة الله وحده مع الفوز بالجنة ـ وهو من هذا الوجه بشير ـ وبين أن يستمروا في شركهم وكفرهم وفسقهم مع ذل الدنيا وعذاب الخزي فيها، وعذاب النار في الآخرة، وهو من هذا الوجه نذير، وصلة الدعوة بالنذارة هي في أن الداعي بشير ونذير كما أنه هادٍ في آن واحد، فلا يجوز أن يكون الداعي بشيراً فقط، ويعطل وظيفته كنذير، كما لا يجوز أن ينذر الناس ولا

---

(١) ٤٥، ٤٦ / الأحزاب.

يبشرهـــم، بل يجب أن يجمع بين الاثنين، وهذان من مثاني القرآن الكريم، التي اقترنت فيها آيات العذاب بآيات النعيم الأخروي.

فلو اكتفى الداعي بذكر النار للناس ترهيباً، لكان فتنة لهم، إذ قد ييأسون من رحمة الله عز وجل، ولو اكتفى بذكر الجنة ومغفرة الله ورحمته الواسعة وحسن الظن به ترغيباً لكان فتنة لهم بأن يتكلوا ولا يعملوا، لذا وجب أن يكون الداعي منذرا بقدر ما يكون مبشرا، وأن تتوازن الوظيفتان في دعوته.

تلك هي عناصر الدعوة، فهي كلها من الدعوة، وإن كان مجموعها لا يكفي أن يكون هو الدعوة، لأن الدعوة كلٌّ شاملٌ له وحدته الرامية إلى غاية عليا تتبعها أهداف يسعى إليها الدعاة، فكل عنصر من هذه العناصر الثمانية له هدفه الخاص أو له وظيفته الخاصة، بيد أن مجموع هذه الوظائف مجتمعة لا تشكل وحدها غاية الدعوة العليا، لأن مجموع أهداف هذه العناصر لا يكوّن غاية الدعوة العليا، أو هي لا تكفي لذلك، وإن كانت تدخل في تحقيقها.

وبناء على ما تقدم نقترح هذا التعريف للدعوة الذي نأمل أن يكون جامعاً مانعاً لمعنى الدعوة وعناصرها ووسائلها وأهدافها وغاية الدعاة القائمين عليها.

تعريفنا للدعوة إلى الله عز وجل:

الدعوة جهد إنساني يبذل من جماعات أو أفراد مؤهلين لتبليغ دين محمد ﷺ للناس بالوسائل المختلفة [من الحكمة والموعظة الحسنة، ترغيباً وترهيباً وإنذاراً وتبشيراً وتدريساً وتعليماً وتذكيراً وتبييناً] بغية جعل الدين هو المهيمن على واقع المسلمين خاصة والبشرية عامة في جميع مناحي الحياة شريطة التزام باذلي الجهد بالهدي النبوي قولاً وفعلاً ومنهجاً مع احتساب جهدهم مرضاة لله تعالى.

والملاحظات التي يمكن تسجيلها بالنسبة لهذا التعريف كالتالي:

١. **أنه جمع** كل ما هو **ضروري** من عناصر للدعوة الإسلامية ومن ثم منع دخول الدعوات المخالفة.

٢. **وأنه جمع** كذلك **خصائص** الداعية والوظائف التي يجب أن يكون مؤهلاً لها ومن ثم منع دخول غيره ممن ينفردون بواحدة أو اثنتين من هذه الوظائف.

٣. **وأنه جمع الأهداف** الرئيسة للدعوة التي إذا نقصت عند حركة من حركات الإصلاح لم تكن هذه الحركة من حركات الدعوة الإسلامية العامة، فالمحتسب ضمن نظام الحسبة سواء كان رسميا في إطار الدولة، أو كان خارجها يدخل عمله في إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو مجرد عمل من أعمال الدعوة، وليس إلا وظيفة من وظائفها وسبيلاً من سبلها، أي أن التعريف اشترط الدعوة إلى الإسلام المنزل بتمامه وشموله، ومن أهداف الدعوة الجهاد في سبيل الله ومن ثم شملت الأهداف ما يجب أن يسعى إليه الدعاة في داخل المجتمع الإسلامي وبإزاء المجتمعات الجاهلية المخالفة.

٤. **جمع التعريف أيضا كل الوسائل** والأساليب العلمية والفنية التي يمكن أو يجب أن يستخدمها الدعاة وهي العناصر الثمانية الداخلة في معنى الدعوة اللغوي وبهذا امتنع الخلط بين المدرس والداعي مثلا، أو الإعلامي والداعي، وهكذا.

٥. **فرق وميز هذا التعريف بين أهداف الدعوة العامة، وبين ما يجب أن يبتغيه الداعي من جهده** وعمله لنفسه، إذ الغاية العليا التي يسعى إليها من أعمال الدعوة هي إقامة الإسلام في واقع الحياة البشرية، بينما هو لا يبتغي لنفسه من عمله هذا إلا مرضاة الله عز وجل وهذا التميز هام في التعريف لأنه يمنع دخول الدعاة المأجورين والمنافقين والمرائين والذين يريدون الدنيا بأعمال الآخرة وما أكثرهم، ويرسي هذا التميز بين أهداف

الدعوة العامة وهدف الداعية الخاص شرط الإخلاص عند الدعاة.

٦. **تضمن هذا التعريف أهدافاً جزئية محلية للدعاة** كل في قريته أو مدينته أو شعبه بشرط أن تكون هذه الأهداف في إطار الهدف الرئيس العام أو الغاية العليا للأمة الإسلامية قاطبة وهي إقامة الخلافة التي يتوحدون في ظلها أمة واحدة.

٧. **تضمن هذا التعريف أيضا الطرف الآخر في الصراع الإسلامي ـ** الجاهلي قديما، وفي هذا العصر مثل: النصرانية ـ البوذية ـ الهندوسية ـ وكذا الأنظمة والشرائع والقوانين الوضعية مثل الديموقراطية والاشتراكية والشيوعية والليبرالية والإباحية، ومن ثم يمنع دخول بعض مفاهيم وأهداف هذه الدعوات في دعوة الله عز وجل.

٨. **ميز هذا التعريف بين الدعوة التي هي جهد بشري** له هدفه وبين **الإسلام** الذي تكون إقامته في واقع الحياة البشرية هدف الدعاة وجهدهم، الأمر الذي وجدنا بعض التعريفات قد خلطت فيه.

وربما أخذ البعض على هذا التعريف طوله بالنسبة إلى ما سبقه من تعريفات، لكن **يشفع له** أنه جامع مانع موضح ومبين ومفصل وهو ما يجب أن تكون عليه التعريفات، وإلا لما صار تعريفا وصار تعتيما ولاحتاج إلى شرحه في صفحات وهذا من عيوب التعريفات التي يتحرى أصحابها القصر والاختصار، ولعل غلبة نهج الاختصار في التعريفات على تراثنا هو الذي أدى إلى ظهور الشروح والحواشي بعد ذلك على كتب الأسلاف والسابقين.

على أنه يمكن اختصاره في قولنا:

الدعوة إلى الله تعالى هي الجهد الإنساني الذي يبذله الدعاة لتبليغ الإسلام إلى الناس بالوسائل المختلفة ويكون ما سوى ذلك كالشرح وزيادة البيان.

الفصل الثاني
الدين والدعوة

تعريف الدين وبيان العلاقة بينه وبين الدعوة

مر بنا خلط بعض الكتاب بين مفهوم الدعوة الإسلامية وبين مفهوم دين الإسلام، فجعلوا لها مَا صَدَقاً (أي مدلولا) واحداً، إذْ أطلقوا عبارة الدعوة الإسلامية بمفهوم الرسالة الإسلامية أي دين الإسلام.

وحيث إن هذا من الأخطاء الشائعة إذ لم يرد هذا الاسم (الدعوة الإسلامية) كاسم لدين الله عز وجل في تراثنا، وإنما هو أمر مستحدث، لذا فإنه من الأوفق أن نفرد هذا الفصل لتعريف الدين وتعريف الإسلام حتى يتبين لنا العلاقة بين الدعوة والإسلام.

تدل معاجم اللغة العربية على أن لفظ الدين من ألفاظ التضاد أي التي تحمل معاني متقابلة ومتضادة.

فلفظ (دان) يستعمل بثلاث صيغ مختلفة:

الأولى: متعد بنفسه فنقول دانه يدنيه أي ساسه، ضبطه، نظمه، حكمه، قهره، حاسبه وجازاه.

والثانية: متعد بحرف اللام فنقول دان له، أي أطاعه وعبده وخضع له ورضي بحكمه وأقر له بالغلبة والسيادة والعلو.

ولا شك أن هذا المعنى الأخير يقابل المعنى الأول ويناقضه، وإن كان كل منهما يلازم الآخر، ولا يتحقق إلا به، لأن الإدانة والقهر والضبط والمجازاة تقتضي من طرفٍ خضوعاً وذلاً كما تقتضي انضباطاً من طرف آخر.

والثالثة: يأتي فيها متعديا بحرف الباء فنقول دان به أو دان بمقتضى هذا العهد أو المنهج، أي آمن به وتمذهب به، واتخذه منهجا وخلقا وطريقا في حياته فهو يشمل الاعتقاد بالشيء كمبدأ نظري وقبوله كمنهاج عملي أيضاً[1].

وقد لاحظ الأستاذ الدكتور / محمد عبد الله دراز رحمه الله تعالى في كتابه [**الدين**] أن ثمة معنى واحداً تدور حوله الصيغ سالفة الذكر، وفيه يكمن جوهر الدين في اللغة العربية، وهو ما أسماه بمعنى لزوم الانقياد فالصيغة الأولى لاستعمال الدين دانه تشير إلى أنه علاقة بين طرفين أعلى وأدنى وتتمثل في معاملة من الأعلى للأدنى.

والصيغة الثانية: دان له تدل على أنه علاقة بين أدنى وأعلى أيضاً، ولكنها تختلف عن الأولى في أن هذه الأخيرة تتمثل في معاملة من الأدنى للأعلى.

ومعنى هذا أن الدين علاقة بين طرفين غير متكافئين بالضرورة، وتتمثل هذه العلاقة في معاملة يلزم فيها الأعلى الأدنى بالخضوع والاستسلام، ويلتزم الأدنى للأعلى بالانقياد والاستسلام.

أما الصيغة الثالثة: دان به، فالمعنى فيها تابع للمعنيين السابقين، حيث إنه من المعلوم أن الدين هو المنهج أو المبدأ الذي يدين به الطرف الثاني للأعلى، وله من التأثير والسلطان عليه ما يجعله يلتزم بالخضوع

---

(١) الصحاح: ٥ / ٢١١٧ مادة (دين)، القاموس المحيط ١١٩٨ مادة (دين).

والانقياد والاستسلام برضى وقناعة فهي العلة لهذا الخضوع، كما أنه الذي يرسم كيفية وطريقة الاستسلام والانقياد من الأدنى للأعلى.

وهذا المعنى الثالث الذي تحمله هذه الصياغة الثالثة للدين هو المفهوم الشائع للدين، إذ يتبادر إلى الذهن عند سماع كلمة الدين: جملة العقائد والمبادئ التي لها التأثيرُ والسلطانُ على أتباع هذا الدين الأمر الذي يجعلهم ملتزمين بالخضوع والانقياد للطرف الأعلى الذي تعنيه هذه المباديء، وكذلك يدخل في مفهومها أيضا جملة التعليمات والوصايا التي هي تشريعات يتم بها الخضوع ويستسلم بمقتضاها الطرف الأدنى للأعلى[1].

فكل دين ليس سوى مجموعة من المباديء والعقائد والتصورات التي تعرف بالطرف الأعلى وتحدد علاقته بالأتباع الذين هم الطرف الأدنى، وكذلك تنظم علاقة الأتباع به.

ومن ثم فكل دين لابد أن يكون عقيدة وشريعة، فأما العقيدة فهي التي تعرف بالكائن الأعلى المقدس لدى أتباع هذا الدين، وأما الشريعة فهي التي ترسم للأتباع كيفية تعاملهم معه ومنهج الخضوع والاستسلام له الذي هو العبادة، يستوى في هذه الأديان السماوية والوضعية والفلسفية حتى الإلحادية منها.

فالماركسية مثلا صارت دينا لدى الدول والمجتمعات الشيوعية والاشتراكية، والطرف الأعلى المقدس في هذا الدين هو الدولة أو رئيسها، والطرف الأدنى هو الشعب، أما منهج خضوع الشعب للدولة الذي يدين به ويخضع بمقتضاه لها فهو ما يسمونه الاشتراكية أو الشيوعية أو الماركسية، هذا هو معنى الدين بمفهومه اللغوي الشامل، وهو ينطبق

---

(١) راجع الفصل الأول من كتاب المرحوم الدكتور محمد عبد الله دارز بعنوان الدين.

على كل نظام يحيا بمقتضاه مجتمع أو جماعة من الناس بشرط أن يكون منبثقا من عقيدة يتأسس عليها هذا النظام(١).

لذلك لابد لكل دين بهذا المعنى الشامل من جهود مبذولة لكسب الأتباع الذين يشكلون الطرف الأدنى فيه، وتلك هي الدعوة، كما لابد لكل دين من دعاة يدعون له، وإلا لما صار دينا قائما، فلكل دين دعوته ودعاته، كما أن لكل دعوة موضوعها الرئيس الذي تدعو إليه، فإذا كانت هذه الدعوة شاملةً العقيدةَ والشريعةَ أي الفكرة والنظام فهي دعوة لدين.

ومن ثم يمكن القول إنه يغلب أن يكون لكل دين دعوته ودعاته بالضرورة، ولكن ليس بالضرورة أن يكون لكل دعاةِ دعوةٍ دينٌ خاص بها تدعو إليه إذ ثمة دعوات جزئية لا يشكل موضوعها ديناً، أو موضوعا لدعوة عامة شاملة.

فمثلاً الإسلام دين له دعوته ودعاته الذين يدعون إلى الله تعالى أي إلى الاستسلام له، والنصرانية دين، ولها دعوتها ودعاتها المبشرون، وكذا البوذية والماركسية، وغيرها من الأديان الإلحادية والوضعية، ولكنْ ثمةَ دينٌ ليس له دعوة وهو اليهودية إذ قصر اليهود دينهم على أنفسهم أي على بني إسرائيل، وعرفوا اليهودي بأنه المولود من أم يهودية، وأغلقوا الباب أمام الأمم الأخرى فلا يقبلون ممن يولد من أم غير يهودية أن يتهود، وهذا يدل على أن ثمة فارقاً بين الدين والدعوة ما دام ثم دين بلا دعوة وثمة دعوة بلا دين، وهي الدعوة إلى أمر خاص جزئي، فالدعوة إلى الدين شيء، والدين شيء آخر، إذ الدعوة الجهد البشري الذي يبذله الدعاة لنشر الدين وكسب الأتباع، أما الدين فهو العقيدة وأهم موضوعاتها التعريف

(١) مقومات المجتمع المسلم / دكتور فاروق الدسوقي ص٣١/٣٣ بتصرف الطبعة الأولى دار الدعوة بالإسكندرية.

بالإله أو الكائن الأعلى المقدس في هذا الدين، ثم الشريعة التي هي بيان لمنهج خضوع الأتباع للإله أو الكائن الأعلى المقدس.

وهذا يدل على أن الدعوة إلى الإسلام ليست هي الإسلام، كما سنرى هذا بعد بإذن الله تعالى.

تعريف الإسلام والعلاقة بينه وبين الدعوة

الإسلام لغة:

هو الانقياد، لأنه يفيد ترك الإباء، من الإباء والامتناع والمعارضة والمقاومة، فهو الطاعة المطلقة لمن أسلم له(١).

وشرعا: هو الانقياد لله تعالى والاستسلام لحكمه والطاعة لأوامره وشرعه والخضوع لأحكام دينه فهو الطاعة المطلقة لله عز وجل، فإن كانت الطاعة المطلقة التامة متعذرة على البشر سلوكا وتطبيقا فإنها ممكنة إقرارا وإيمانا وتصديقاً.

أي: أن الجانب الاعتقادي القلبي عند العبد يطيق الإقرار والتصديق والإيمان بوجوب طاعة الله عز وجل في كل ما أمر به عن طريق كتبه ورسله، وهذا من أهم جوانب الاستسلام لله تعالى، ولا يقدح فيه بعد ذلك حدوث المعاصي من هذا العبد، ووقوعه فيها، حتى لو كانت هذه المعاصي من الكبائر، ما دام العبد مؤمنا بأنها معاصٍ لله عز وجل ومحرمة، كذلك الأمر بالنسبة لترك بعض الواجبات ما دام يتركها مقرا بتقصيره موقنا بذنبه.

فالإسلام بمعنى الاستسلام المطلق لله تعالى يصدق على الاعتقاد القلبي بوجوب الطاعة لأمر الله تعالى وشرعه، ويصدق على السلوك بقدر

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (سلم)١/ ٤٦٩.

الطاقة والاستطاعة ولا يقدح في صحته وقوع المخالفات والمعاصي.

فالمعنى الأول هو إسلام الوجه لله تعالى، والثاني هو عمل الصالحات والابتعاد عن السيئات، ولما كان بنو آدم خطائين، كان الجانب الأول مطلقا والثاني غير كامل إلا عند الرسل والأنبياء وأقل منه عند الصديقين وهكذا.

وفي القرآن الكريم ورد المصدر الرباعي (أسلم) بمعنى استسلم في أكثر من موضع قال تعالى ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[1].

أي: انقاد وخضع لله تعالى كل من في السموات من الملائكة، ومن في الأرض من الجن والإنس إما استسلاماً وانقياد وطواعية واختياراً، وإما استسلاماً قهرياً وجبرياً وهو كاره له.

فالذين أسلموا طوعاً هم الملائكة وسائر المؤمنين من البشر ومعهم أجرام السموات والأرض ونجوم وشمس وقمر وشهب قال تعالى﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[2].

فكل أجرام السماء استسلمت طائعة لله عز وجل.

أما من استسلم وخضع كارها فهم كفرة الإنس والجن الذين ـ مع معصيتهم لله تعالى لأمره الشرعي ـ لم يخرجوا أيضاً عن مشيئته الكونية وما قدره لهم، وما خلقهم فيه من نواميس وطبائع لا يملكون الخروج عليها، فهو خضوع جبري وعبودية قهرية، لا ينجو منها حتى إبليس نفسه.

---

(١) ٨٣/ آل عمران.

(٢) ١١/ فصلت.

ومعنى آية آل عمران[1]: أنه إذا كانت المخلوقات جميعا في السماء والأرض حتى الكافرون أنفسهم مع كفرهم خاضعين لله عز وجل، إما طوعا وإما كرها فكيف يبتغون دينا غير دين الله؟! فيخضعون لغير الله ويسلمون له اختيارا في الوقت الذي هم فيه مستسلمون لله تعالى كرها من خلال جانب العبودية الجبري، في حين أن سائر خلق الله في السماء والأرض أسلموا له طوعا واختياراً.

ولما كان جوهر معنى الدين هو: الانقياد والخضوع أي الاستسلام، فإنه لا يصح ولا يحسن أي دين بهذا المعنى إلا الذي يتم به استسلام الإنسان لربه عز وجل، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا.... ﴾[2].

أي: فليس عند الناس دين أي منهج للحياة يعيشون بمقتضاه، أحسن ولا أفضل من منهج هؤلاء الذين استسلموا لربهم وخضعوا له، وهذا الدين هو ملة إبراهيم، وما سوى هذه الملة الحنيفية ليس محققا للانقياد الذي يُرْضي الله عز وجل، لذلك قال الله تعالى في نهاية الآية الكريمة ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[3].

ومن ثم يتطابق جوهر معنى الدين لغة واصطلاحاً مع جوهر معنى الإسلام لغة واصطلاحا، إذ معنى الدين الخضوع والانقياد والاستسلام من الطرف الأدنى للطرف الأعلى.

ومعنى الإسلام لغة واصطلاحا هو أيضاً:

الخضوع والانقياد والاستسلام، فالإسلام فعل منسوب للعبد الذي

(١) الآية (٨٣) المتقدمة.
(٢) ١٢٥ / النساء.
(٣) ١٢٥ / النساء.

يدين بهذا الدين، وهو منه إسلام إرادته لله عز وجل لأن إسلام الوجه في الآية يفيد إسلام أشرف عضو في الإنسان وأقرب الأعضاء للدلالة على ذاته، فهو بمعنى إسلام النفس والذات والإرادة لله تعالى، وهذا تعبير عن إقرار العبد بوجوب الانقياد لله تعالى والاستسلام له، أي وجوب عبادته وحده سبحانه، ثم بعد ذلك عليه أن يجتهد لإحسان عبادته وطاعته لله عز وجل قدر الاستطاعة، وهذا هو الرشد.

ومن ثم شهدت الجن بذلك فقالوا ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾(١).

أي أنهم بحثوا عن الحق والصلاح وقصدوا المنهج القويم الذي يحقق خضوعهم لله تعالى فاستسلموا، وصاروا مسلمين، فمن لم يسلم لله تعالى فلم يجعل الإسلام علاقته بينه وبين خالقه، فقد ضل حتى لو كان ممن يدعون عبادتهم لله تعالى وخضوعهم له، قال تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٢).

أي: ومن يعبد الله تعالى ويزعم أنه خاضع له عز وجل بمنهج غير منهج دين الإسلام الذي نزل على النبي ﷺ فهو ليس خضوعا صحيحا لله عز وجل وليس انقيادا وليس استسلاما يقبله منه خالقه سبحانه، ومن ثم سيكون خاسرا في الآخرة.

فلفظ الإسلام في هذه الآية الكريمة اسم للدين المنزل على الرسول الخاتم ﷺ، ونفس المعنى في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(٣).

---

(١) ١٤ / الجن.
(٢) ٨٥ / آل عمران.
(٣) ١٩ / آل عمران.

أي: أن المنهج الحقيقي للخضوع والانقياد لله تعالى هو هذا الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو الإسلام الصحيح لله تعالى، وغيره من الأديان الأخرى ليس بصحيح وليس بحق.

وكذلك هو نفس المعنى في قوله تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1].

أي: رضي لنا المنهج الذي أنزله على نبيه الخاتم في كتابه سبحانه وفي سنة نبيه ﷺ الذي أسماه الإسلام دينا، ومن ثم فليس ما سواه من أديان يرضاه الله تعالى ويقبله من عباده.

ونظراً للتطابق الكامل بين معنى الدين ومعنى الإسلام لم يأت نبي ولا رسول إلا بدين الإسلام، ولم يطلق على دين نزل من عند الله تعالى إلا اسم الإسلام، ولم يرغب الأنبياء في وصف يوصفون به إلا وصف الإسلام ولم يتخذوا اسما غير الإسلام.

قال تعالى ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

فهذا هو أبو الأنبياء عليهم جميعاً السلام يوصف بالإسلام، كما أنه يدعو الله تعالى مع ابنه إسماعيل عليهما السلام أن يجعلهما مسلمين له سبحانه ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً . . . . .مُّسْلِمَةً ﴾[3].

وأن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة توصف بإسلام الوجه لله وتتسمى بأمة الإسلام أو الأمة الإسلامية.

إن الإسلام فعل العبد الذي به تحدد علاقته بخالقه سبحانه، وقد أمر

---

(١) ٣ / المائدة.

(٢) ٦٧ / آل عمران.

(٣) ١٢٨ / البقرة.

الله تعالى كل البشر وعلى رأسهم الأنبياء بالإسلام له، قال تعالى ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١).

وكذلك **الأنبياء من** أبناء إبراهيم عليهم السلام أسلموا لله تعالى ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ. أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(٢).

وعن المسيح عيس ابن مريم عليه السلام وأصحابه قال تعالى ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٣).

وأيضاً في المائدة ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾(٤).

ومما أمر به الله تعالى نبيه الخاتم ﷺ أن يدعو العالمين إلى الإسلام قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ. قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٥).

وهذه دعوة من الرسول ﷺ للناس كافة بأن يسلموا لأنه مبعوث للناس كافة فقوله ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ يعني هل أسلمتم وجوهكم لله تعالى؟ فمن أسلم صار مسلماً، ومن تولى فليس له إلا الوعيد الأخروي

---

(١) ١٣٠، ١٣١ / البقرة.
(٢) ١٣٢، ١٣٣ / البقرة.
(٣) ٥٢ / آل عمران.
(٤) ١١١/ المائدة.
(٥) ١٠٦ ـ ١٠٨ / الأنبياء.

بعذاب النار مخلدا فيها، وليس من وصف لمن يرفض إسلام وجهه لله والدخول في دين الإسلام إلا الكفر والشرك والإلحاد وجزاؤه جهنم خالدا فيها ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾[1].

وعلى هذا فالعلاقة بين الإسلام الذي هو فعل مطلوب من العبد في تعامله مع خالقه، أي إسلام الوجه والإرادة لله تعالى، وبين الدعوة أصبحت الآن واضحة، إذ الدعوة إلى الله تعني الدعوة إلى إسلام الوجه لله تعالى، والتصديق بوجوب طاعته والخضوع له وإفراده بالعبادة.

قال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2].

فمعنى دعا إلى الله أي دعا إلى الإسلام لله تعالى، ولذلك لزم الداعي أن يسلم وجهه لله أولا، ثم يدعو إلى هذا المنهج الذي انتهجه، فهو يعلن أنه خاضع لله وحده وعابد له وحده ويعمل صالحا بما يتفق مع نهج العبودية الحقة ثم يدعو غيره إلى الاستسلام لله، كما استسلم هو من قبل.

ومن ثم ليس أظلم ولا أكفر ممن يفتري الكذب على الله عز وجل صدا عن سبيله وردا على من يدعوه إلى إسلام وجهه لخالقه والانقياد له، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

فبينما يدعوه الداعي إلى إسلام وجهه لله عز وجل إذ به يحارب الله بالافتراء عليه، فليس أظلم من هذا.

---

(١) ١٠٩ / الأنبياء.
(٢) ٣٣ / فصلت.
(٣) ٧ / الصف.

فالدعوة إلى الله تعالى هي الدعوة إلى فعل يفعله العبد هو إسلام الوجه له أو هي الدعوة إلى الإسلام باعتبار أن هذا اللفظ هو اسم للدين المنزل على النبي الخاتم ﷺ والذي هو في نفس الوقت المنهج الصحيح الحق الوحيد الذي به يتحقق إسلام وجه الإنسان لخالقه عز وجل.

والنتيجة لهذا كله أن معنى الدعوة إلى الله هو الدعوة للإسلام والدعوة للإسلام هي الدعوة للدين الحق وكل ذلك دعوة الناس إلى عبادة الله تعالى وحده، وإفراده سبحانه بالخضوع والاستسلام.

العلاقة بين الدين والدعوة

بعد أن علمنا أن الدعوة غير الدين، ومن ثم تكون الدعوة إلى الإسلام غير الإسلام، علينا أن نوضح العلاقة بين الدعوة والدين أي بين الدعوة والإسلام.

ولبيان هذا يجب أن نميز بين مفهومين رئيسين للدين، وبالتالي للإسلام هما:

الأول: الدين أو الإسلام المنزل من عند الله عز وجل متمثلا في الوحي، القرآن الكريم والسنة التشريعية المحققة، وهما يتضمنان التصورات والمبادىء والأحكام والتعاليم، فهو إذن دين الله تعالى الذي ارتضاه سبحانه كاملا تاما لأمة المصطفى الخاتم ﷺ، وأنزله عليه وحيا يتمثل الآن في القرآن الكريم والسنة.

الثاني: وهو الدين أو الإسلام باعتبار لفظ الإسلام هنا اسم فعل[1] منسوب للمسلمين أو الفعل المطلوب من الناس إنجازه، وهذا يتمثل في استسلامهم لله تعالى وحده بالقلب وبالسلوك، في الأنظمة الاجتماعية والمعاملات القائمة في واقع الحياة البشرية.

(١) اسم فعل بالمعنى اللغوي العام وليس اسم فعل بالمعنى الصرفي أو النحوي.

ومن ثم فإن الدين بهذا المعنى منسوب للناس أي إلى أصحابه، وهو هنا يرادف معنى الملة التي تنسب لأصحابها أي أنه دين الناس وليس دين الله عز وجل لأنه من فعل الناس وبالتالي فهو وصف لطريقة شعب ما في الحياة.

فدين الأمة الإسلامية في عصر من عصورها الذي هو الإسلام ليس هو بالضرورة الإسلام الكامل التام المنزل من عند الله تعالى، لأن ما عليه الأمة من الخضوع والاستسلام لله تعالى في عصرنا هذا مثلا ليس مطابقا للخضوع التام والاستسلام الكامل لله تعالى، هذا الخضوع الذي نجده في دين الله عز وجل المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية وذلك لأنه قد حدث كما هو ثابت تاريخيا التباعد بدرجات مختلفة بين الدين بالمعنى الأول وبين الدين بالمعنى الثاني الذي هو الواقع المعاش للأمة منذ انتهاء عصر الراشدين حتى سقوط الخلافة العثمانية في بداية القرن العشرين حيث صار البون والتباعد شاسعا بين دين الله عز وجل ودين الأمة.

فدين الأمة: هو ما عليه حال الأمة من سلوك وأنظمة اجتماعية وواقع دولي وحضاري يحدد مكانتها بين الأمم الأخرى وهو ليس مطابقا لدين الله عز وجل - كما هو معلوم للجميع - بالضرورة.

فالدين بالمعنى التام الذي ينطبق على كل الأديان يصدق على معنيين:

الأول: ما يقابل في الفلسفة الفكرة أو الإيديولوجية أو ما يسمونه أحيانا النظرية وما ينبني عليها من قوانين وأنظمة ومناهج الحياة.

الثاني: ما يقابل الحالة التطبيقية الواقعية لهذه النظرية والأنظمة القائمة عليها.

وفي تاريخ الإسلام كان الدين بالمعنى الأول أي القرآن الكريم والسنة أو دين الله المنزل مطابقا بالمعنى الثاني في العهد النبوي وعهد الخلفاء الراشدين.

فلم يكن ثمة اختلاف بين دين الله تعالى وحياة رسول الله ﷺ التي كانت تطبيقا أمينا ودقيقا وترجمة كاملة تامة للقرآن الكريم لذلك قالت السيدة عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلقه ﷺ: قالت: كان خلقه القرآن[1].

فالإسلام الذي هو دين الله تعالى هو القرآن الكريم والسنة، واستمر على هذا النحو في عهد الراشدين وقد قال ﷺ: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضو عليها بالنواجذ"[2]، أما الإسلام الذي هو دين الصحابة فهو تطبيقهم للقرآن الكريم والسنة.

الدين بالمعنى الأول في القرآن الكريم:

وقد وردت في القرآن الكريم كلمة دين بالمفهوم الأول في مثل قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[3].

هو ما نزل من عند الله على رسوله ﷺ، أما قوله ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ أي ليقيمه وهذا إشارة للتطبيق.

وكذلك قوله تعالى ﴿...... فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ.... ﴾[4].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد باب من دعا الله أن يحسن خلقه ح٣٠٨، قال الألباني: ضعيف الإسناد يزيد مجهول ليس من شيء في الكتب الستة، وذكره ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ آية ١ ص٩٠٨، وعزاه للنسائي في التفسير، قلت وهو من نفس طريق البخاري في الأدب، ورواه الإمام أحمد في المسند ١٨٨/٦، قال الألباني: وسنده صحيح على شرط مسلم.

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه ح٤٢، ٤٣، ٤٤ عن العرباض بن سارية مطولاً في المقدمة، والبغوي في شرح السنة ١١٩/٤ كتاب أبواب النوافل باب قيام شهر رمضان وفضله، وقال محققه: بسند صحيح.

(٣) ٢٨/ الفتح.

(٤) ١٢٢ / التوبة.

أي: ليتفقهوا في القرآن الكريم والسنة، فالدين هنا هو دين الله تعالى المنزل بالوحي من السماء على نبيه ﷺ، ومثلها قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ....﴾[1].

فماذا يكون الدين الذي يطعنون فيه إلا ما نزل من السماء من نصوص الوحي وما تحمله من مباديء وعقائد وأحكام وتعاليم.

الدين بالمعنى الثاني في القرآن الكريم:

وكذلك ورد في القرآن الكريم من الآيات ما تضمن لفظ الدين بالمعنى المنسوب للإنسان، منها قوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[2].

فانظر إلى قوله تعالى ﴿في دين الملك﴾ كيف نسب الدين إلى الملك؟ وهو هنا بمعنى النظام والقانون الذي يضبط به الملك مجتمعه ورعيته، وهو الذي كان قائما في الحياة وقتئذ.

وكذلك الدين جاء منسوبا إلى رجال دولة فرعون في قول فرعون لملئه ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾[3].

إن دينهم هنا: يعني نظامهم وحكمهم وطريقة حياتهم دولة وشعباً، هذا الدين الذي كان فرعون فيه هو الطرف الأعلى.

ومن ثم يمكن القول أن المعنى الأول للإسلام هو في حالة كونه وحيا منزلا من السماء في القرآن الكريم والسنة متلوا ومدونا في الصحف

---

(١) ٤٦ / النساء.
(٢) يوسف: ٧٦.
(٣) ٢٦ / غافر.

ومدروسا للعلماء ومعلوم المبادىء والتصورات والعقائد والأحكام، وهذه الحالة هي التي تقابل ما يسمونه في الفلسفة والإعلام الفكرة، أو الأيديولوجية، وهذا المفهوم للإسلام هو الذي يجوز نسبته لله تعالى، فهو دينه وهو الدين الحق عنده عز وجل ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1].

أما المعنى الثاني فهو تطبيق هذه الفكرة في واقع الحياة الإنسانية ونقلها من مجال التصورات والتعاليم، إلى مجال الواقع البشري الحي سلوكا وأنظمة ومعاملات.

ومن ثم يكون منسوبا للبشر الذين اتخذوا هذا الدين منهجا لحياتهم، فكل قوم لهم طريقتهم ومنهجهم في العيش والحياة، وهذه الطريقة هي دينهم الحقيقي ومن ثم جاءت سورة الكافرون تعلم ذلك ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾[2] فالدين هنا منسوب لأصحابه الذين يعيشون به.

والصلة بين المصدقين للفظ الإسلام تتمثل في التكليف الذي كلف الله تعالى به الإنسان، إذ هو مكلف بأن يقيم الإسلام في واقع الحياة قال تعالى ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[3].

فلفظ الدين الأول في الآية: هو بالمفهوم الأول أي دين الله المنزل من السماء وهو واحد منذ نوح إلى خاتم النبيين المصطفى ﷺ، فقوله تعالى ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ هو دين الله المنزل من عنده، أما التكليف حياله فهو ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ وهذا هو المعنى الثاني للدين مقاما مطبقا في الواقع الإنساني الحي.

---

(١) ١٩/ آل عمران.
(٢) ٦ / الكافرون.
(٣) ١٣ / الشورى.

ومثلها قوله تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾[١] فتمكين الدين هو إقامته وتطبيقه فيصير واقعاً، وقوله تعالى ﴿ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ إشارة إلى الدين المنزل، ومثلها قوله تعالى ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ **أي**: الإسلام الذي أنزله سبحانه من عنده وشرعه لأمة نبيه الخاتم ﷺ.

فالدين بالمفهوم الأول؛ الذي هو هدى ونور منزل من عند الله تعالى في كتابه يدخل القلوب فيحييها ويهديها أي بهذا المعنى يدخل القلوب والأفئدة، أما الدين بالمعنى الثاني فإن الناس هم الذين يَدْخُلونَ فيه قال تعالى ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[٢] فماذا يكون الدين الذي دخل الناس فيه أفواجا في آخر العهد النبوي إلا الدولة والمجتمع والأمة التي أقامها رسول الله ﷺ بجهاده وجهاد أصحابه معه، أي الدين قائما في واقع الحياة.

ولكن الملاحظة الجديرة بالذكر هنا: أنه نسب هنا الدين لله عز وجل مع أن الدين في الآية بالمعنى الثاني، إذ كان دولة وخلافة وأمة وجماعة ومجتمعاً وواقعاً إنسانياً، لكنه مجتمع سامٍ كريم ليس مسبوقاً في تاريخ البشرية وليس ملحوقاً، فنسبته إلى الله تعالى، مع أنه دين واقعي مطبق، لحكمة وهي أن الناس كانوا يدخلون في الدين الذي أقامه الرسول ﷺ وصحابته في واقع حياتهم فهو دينهم، ولكن لأنه كان تطبيقا كاملا ودقيقا وأمينا لدين الله عز وجل المنزل، فقد نسب الله عز وجل هذا الدين أي هذا المجتمع الكريم وهذه الأمة السامية وهذا الواقع البشري الفريد في تاريخ البشرية كله إلى نفسه فقال ﴿يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ وذلك لأنه لم

---

(١) ٥٥ / النور.

(٢) ٢ / النصر.

يكن ثم فجوة بين الإسلام المنزل وإسلام الصحابة لله عز وجل، **بل كان** تطابقا لم يصل إليه مجتمع أو جماعة بشرية من قبل ولا من بعد.

والآن يمكن توضيح العلاقة بين الدعوة والدين بعبارة قليلة من خلال المفهومين المذكورين آنفا للدين والعلاقة بينهما.

إن الدين المنزل من عند الله تعالى لا يقوم في واقع الحياة الإنسانية ويتحول إلى دين واقعي حي يعيش به الناس إلا بالدعوة، فالدعوة هي الجهد البشري المبذول بغية إقامة الدين في واقع الحياة ليصبح الإسلام المنزل قرآنا وسنة واقعا بشريا معاشا ومنهجا حياتيا قائما في الأرض، وبدون الدعوة يظل الدين سطورا في المصاحف وأحكاما وتعاليم فقط، وهذا يؤكد أهمية الدعوة للدين إذ بدونها لا يقوم في الأرض ولا ينتفع به الناس.

الفصل الثالث
أهمية الدعوة بالنسبة للدين

ثبت لنا أن الدعوة هي الجهد البشري الذي ينقل الدين من المعنى الأول إلى المعنى الثاني، أي من كونه نصوصا مدونة في الكتب والأسفار إلى أن يصبح قائما في حياة الناس ومنهجاً حياتياً معاشياً.

وبالنسبة للدعوة الإسلامية فإنها الجهد البشري الذي ينتقل به الإسلام المنزل من عند الله تعالى بالوحي لكي يصبح الناس بمقتضاه خاضعين لله عز وجل ومستسلمين لحكمه وحده دون سواه، فهي العمل الذي يصبح به الإسلام المكتوب والمدون إسلاما لله تعالى قائما في نفوس الناس، أي يصبحوا مسلمين له وحده.

وهذا يوضح لنا مدى أهمية الدعوة للإسلام، إذ بدون الدعوة يظل الإسلام وحيا متلوا أو مدروسا لدى فئة قليلة من الناس.

فالدعوة هي العمل المنهجي الذي يسعى به الداعي لتحقيق هذا الهدف الذي يتناول الفرد والمجتمع والدولة، بل ومن الواجب أن يتناول الناس جميعا شعوبا وأقواما، إذن الدعوة باعتبارها الجهد والعمل الإنساني اللازم لقيام الدين في واقع الحياة ترقى إلى درجة عالية من الأهمية، لا يتطاول إليها أي مدى آخر في حياة البشر.

وتتضح لنا مدى أهمية الدعوة للإسلام إذا ضربنا مثلا بالزرع إذ لا

تنمو البذرة وتصبح شجرة وارفة مثمرة إلا بالحرث والغرس والتعهد بالري والرعاية والحماية حتى تستوي على ساقها وتغلظ وتشتد وتورق، ومن ثم تؤتي أكلها فكيف يكون الحال إذا تركت البذرة في مخزنها ولم نزرعها، هل يجوز لنا أن نأمل في أن تصبح شجرة مثمرة، لا شك أن الإجابة القاطعة هي: لا، وهي ما تقطع به سنن الله تعالى الجارية في النبات بخاصة وفي سنن الأحياء بعامة.

فالبذرة تظل بذرة في مخزنها ولو ظلت مئات السنين ولن تتحول أبدا إلى شجرة من تلقاء نفسها بدون العوامل والظروف اللازمة لنموها، وذلك بالرغم من أن مكوناتها الجينية تحتوي بداخلها على كل مقومات الشجرة وما هيتها وطبيعتها التي يمكن أن تصبح عليها إذا وضعت في التربة المناسبة ونالت الرعاية والتربية حالا بعد حال.

فالبذرة في هذا المثل تقابل الدين بالمعنى الأول الذي هو نصوص مكتوبة ومدروسة ومعلومة للداعي أو للدعاة، والشجرة هي الدين بالمعنى الثاني أي القائم في واقع الناس منهجا لحياتهم.

والدعوة في مثل هذا هي العمل، الجهد الذي يقوم به الزارع من حرث وري ورعاية، فالدعوة زرع له حصاده والداعي زارع يرمي إلى الحصول على هذا الحصاد.

ومن ثم لا يماري عاقل في أهمية الدعوة بالنسبة للدين أي دين، وهكذا بالنسبة للإسلام مع أنه دين الله المنزل من عنده.

ومن ثم يمكن القول أنه بدون الدعوة إلى الإسلام وبدون الجهاد لإقامة دين الله عز وجل في نفوس الناس وفي المجتمعات فلن يقوم هذا الدين في الأرض ولن تعلو كلمة الله تعالى إلا بالدعوة.

فإن قال قائل: كيف وهو دين الله عز وجل؟

ألا يتميز في هذا الجانب عن سائر الأديان والدعوات الأخرى؟!، بنصر الله تعالى له فكيف يقال: إن الإسلام لا يقوم بين الناس إلا بالعمل والجهد البشري أي بالدعوة؟!، وما معنى نصر الله تعالى لدينه إذن؟

للإجابة عَنْ هذا السؤال: لابد من التذكير ببعض المباديء الإسلامية التي تنبني عليها الإجابة:

أولاً: أن الله تعالى خلق الإنسان للابتلاء أي الاختبار والامتحان، قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾(1).

فالحكمة من خلق السموات والأرض ابتلاء الإنسان، وقال تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾(2)، والحكمة من خلق الإنسان هي الابتلاء.

وقال تعالى ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾(3).

أي: أن كل ما على الأرض من متاع وزينة هو للابتلاء أيضاً، وكذلك كل ما على الأرض من آلام وظلم ومرض وموت وقهر هو ابتلاء أيضاً، قال تعالى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾(4).

وقال تعالى عن أيوب بعد ابتلائه بالمرض الشديد الطويل ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾(5).

---

(1) ٧/ هود.
(2) ٢ / الإنسان.
(3) ٧ / الكهف.
(4) ٢ / تبارك.
(5) ٤٤ / ص.

وقال تعالى بالنسبة للابتلاء بالآلآم بعامة ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ. ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ. أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[1].

وبالنسبة لصراع أهل الخير وأهل الشر قال تعالى ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[2].

وقال تعالى عن الحروب العسكرية بين المسلمين والكافرين في كل زمان ومكان ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[3].

والخلاصة: أنه إذا كانت حقيقة الابتلاء هي الحكمة التي من أجلها خلق الله تعالى السموات والأرض، والإنسان، وجعل الحياة والموت، والسراء والضراء، والظلمات والنور، والخير والشر، والصراع بين أهل الإيمان وأهل الكفر، فإن الله تعالى الذي شاء إمضاء الابتلاء ليميز سبحانه الخبيث من الطيب، شاء أن يجعل النصر في الصراع بين أهل الإيمان وأهل الكفر حسب سنة الأخذ بالأسباب، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[4].

وقال تعالى ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[5]. فنصر الله تعالى لأهل الإيمان متوقف حسب سنته ومشيئته سبحانه على نصر دينه والجهاد في

---

(١) ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧ / البقرة.
(٢) ٣٥ / الأنبياء.
(٣) ٤ / محمد.
(٤) ٧/ محمد.
(٥) ١٦٠ / آل عمران.

سبيله والأخذ بأسباب إعلاء كلمته وكل ذلك هو الدعوة إلى الله تعالى، ومن ثم لا يقوم الإسلام في الأرض ولا يعلو إلا بالدعوة، وترك الدعوة إلى الله تعالى يؤدي إلى انتصار الأديان والمذاهب الباطلة الأخرى التي ينشط أصحابها في الدعوة إليها.

ثانياً: سن الله تعالى في الحياة سننا ثابتة كلها تؤدي إلى تحقيق الابتلاء، وأهم هذه السنن وعلى رأسها سنة الأخذ بالأسباب وبيانها أن الله تعالى جعل لكل شيء سببا، ومن ثم فهو سبحانه يمكن الإنسان من الحصول على الشيء أو من إحداث الذي يريده عن طريق الأخذ بسببه، وهذا التمكين يتم بالفاعلية الإنسانية التي مقوماتها الإرادة والعلم والاستطاعة، قال تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾(١).

إذ يتمكن الإنسان من الفعل بالسمع والبصر والفؤاد الذي هو محل الإرادة وبكل الأجهزة التي وهبها الله تعالى للإنسان ثم تركه يفعل ما يشاء، قال تعالى ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

ثم يسأله الله تعالى عن أفعاله التي بعد الابتلاء وهي لابد أن تكون إما خيرا وإما شرا، إما طاعة لله تعالى وإما معصية له، وبذلك يتميز الناس بالابتلاء إلى خبيث وطيب.

فسنة الله تعالى محققة لهذا هي تُمَكِنُ الإنسان من الفعل الذي يختاره بمحض إرادته إن شرا وإن خيرا، فلو تقاعس أهل الخير عن الفعل أو عن الأخذ بالأسباب الصحيحة لنشر دعوة الإسلام بينما نشط أهل الشر في نشر عقائدهم الباطلة فإن أهل الشر والفساد سيكون لهم العلو والسيطرة حتى على أهل الإسلام، وذلك حسب سنة الله تعالى العامة في الأخذ بالأسباب.

---

(١) ٣٦ / الإسراء.

ثالثاً: ثَبَّتَ الله تعالى السنن والنواميس وجعلها سبحانه ساريةً على العباد جميعا من غير تمييز بينهم في هذا كله، فلا يحابي الله تعالى في هذه السنة أولياءه المؤمنين، فمن أخذ بأسباب شيء حصل عليه، ولو كان كافرا عدوا لله تعالى، ومن لم يأخذ بأسبابه الصحيحة أو تقاعس عن الأخذ بأسبابه لم يحصل عليه ولو كان من المسلمين.

وذلك هو مبدأ التوكل على الله تعالى الذي يوجب على المسلم أن يأخذ بأسباب الزراعة ـ على سبيل المثال ـ الكاملة الصحيحة الثابتة بالعلم والتجربة، ثم يفوض أمر الحصول على المحصول أو الثمار إلى الله تعالى عز وجل موقنا أنه هو وحده الخالق الرازق، ويوم أن ترك الصحابة تأبير النخل بناء على تعليق من رسول الله ﷺ بأنه يظن أن هذا التلقيح الذي يقومون به لا يفيد، لم ينتج النخل إلا شيصا وخسر كل من ترك التأبير من أصحاب النخل محصوله من الثمار في هذا العام، ولما أخبروا رسول الله ﷺ بذلك قال لهم: أنتم أعلم بأمور دنياكم، أو قال: "أنتم أعلم بشئون دنياكم"[1].

فإن الله عز وجل لم يعطل تأبير النخل من أجل حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم، وإنما ثبت الله تعالى السنن حتى تصبح الحياة ممكنة، ويصبح الفعل البشري ممكناً.

ومعنى هذا: أن سنة الأخذ بالأسباب لا تختلف في عمومها بين الناس بسبب اختلاف أديانهم أو إيمانهم وهذه السنة هي التي تفسر لنا نجاح دعاة الضلالة في دعواتهم بقدر إجادتهم في مجال الأخذ بالأسباب في نشر دعواهم الضالة، وإخفاق دعاة الإسلام في دعوتهم بقدر تقاعسهم عن الأخذ بالأسباب الصحيحة وأساليب الدعوة القويمة يؤكد هذا ما أعطاه

---

(١) أخرجه مسلم في الفضائل (ح٢٣٦٣).

الله تعالى لإبليس من النظرة ومن إمكانات الوسوسة وأن يقعد للناس تحقيقا للابتلاء، وما زوده به من الجنود والخيل لهذه الحكمة.

رابعاً: اختلف الناس نتيجة للابتلاء ـ وسيظلون مختلفين ـ إلى حزبين: حزب الله تعالى، وحزب الشيطان.

وقام بين الحزبين الصراع منذ فجر الخليقة، وسيظل مستمرا إلى آخر الدنيا. هذا الصراع يأخذ بين الحزبين أو الفريقين أشكالا مختلفة، فهو لا يهدأ أو لا ينتهي ولا ينطفيء، بيد أنه يتجلَّى في شكل ثقافي عقدي وفي شكل إعلامي وفي الميدان الاقتصادي، ويصل إلى ذروة سنامه في الصراع العسكري أو المعارك الحربية بين أهل الإيمان وأهل الكفر أحياناً.

لكن الصراع المستمر الدائم بينهما هو الصراع الديني الفكري والثقافي والإعلامي والتربوي والعلمي والحضاري.

هذه الأشكال الدائمة من الصراع هي في الحقيقة جوانب للدعوة الإسلامية في حربها ضد الدعوات الجاهلية.

إن ميدان الصراع بين الدعوات هو نفوس البشر وقلوبهم وعقولهم، فإذا لم يسارع الدعاة إلى الله عز وجل لكي يملأوا هذه القلوب والنفوس والعقول بالحق المنزل من عند الله تعالى حتى تسلم النفوس لله تعالى وحده، وترفض الخضوع لسواه سبحانه، فإن شياطين الدعوات الجاهلية المضادة لن يتوانوا عن غزو هذه القلوب ودخول هذه العقول لتحريفها عن فطرتها التي فطرها الله تعالى عليها باعتناق أديانها المحرفة أو ثقافتها المادية الإلحادية، وهم يأخذون كل الأسباب الممكنة التي توصلهم إلى هذه الأهداف ومعنى هذا كله أنه إذا لم يكن للإسلام دعاته الذين يقفون مصارعين أشداء في ميدان الغزو الديني والثقافي، فإن النصر سيكون لدعاة

الضلالة وذلك حسب سنة الأخذ بالأسباب التي تَكْفُل النتائج لمن يحرص على الأخذ بأسبابها العلمية الصحيحة الكاملة.

وفي الحديث الصحيح عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"يكون دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها..... " الخ**[١].

ومن ثم فالدعوة إلى الله عز وجل هي السبيل الوحيد لنصر دين الله تعالى، قال تعالى ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٢].

أي تأخذوا بأسباب نصر دين الله تعالى كاملة وأولها الدعوة إلى الله عز وجل بتبليغ دينه وكلمته إلى عقول الناس وقلوبهم، فإن الله عز وجل سيمكن لدينه في الأرض وينصركم لأن نصركم صار نصرا لدينه.

ولذلك نقول إن الدعوة الإسلامية تبلغ من الأهمية بالنسبة للإسلام إلى الحد الذي تصبح هي السبيل الأول والرئيس لإقامته في الأرض وبدونها لن يأتي النصر مع إيماننا من عند الله تعالى وحده.

فإذا كانت إقامة الدين في الأرض هي الغاية فإن الدعوة إلى الله تعالى هي الوسيلة وهي من أعظم السبل لتحقيق تلك الغاية.

وحيث إن شرف الوسائل وأهميتها وعلوها مستمد ومرتبط بشرف الغايات التي تحققها، فإن الدعوة الإسلامية تستمد أهميتها وشرفها من كونها الوسيلة أو السبيل الرئيس لأشرف الغايات التي يمكن أن يسعى إليها الإنسان في الحياة الدنيا وهي إقامة دين الله تعالى في الأرض.

---

(١) الحديث رواه مسلم في كتاب الإمارة باب (وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن) ح١٨٤٧، ورواه البخاري كتاب المناقب باب (علامات النبوة في الإسلام) ح ٣٦٠٦، ٣٦٠٧، ٧٠٨٤، وهو في الجامع الصحيح للألباني ح ٢٩٩١.

(٢) ٧ / محمد.

لذلك كان للدعاة إلى الله تعالى في الإسلام درجة يوم القيامة فهم خيار الأمة، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: "خيار أمتي من دعا إلى الله تعالى وحبب عباده إليه"[2].

هذه الأهمية للدعوة في الإسلام تمهد لموضوع آخر هو حكم الدعوة إلى الله تعالى في الإسلام وهو ما نبحثه في المبحث القادم بإذن الله تعالى.

---

(١) ٣٣ / فصلت.

(٢) الحديث ذكره الألباني في ضعيف الجامع وقال: رواه ابن النجار عن أبي هريرة، ضعيف ح٢٨٦، وفي الموسوعة للأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة للحلبي ٤١٣/٤ ح ١٠١٥٧، ذكره وذكر تضعيف الألباني له، وذكره السيوطي في الجامع الكبير ح٣٩٧٩ وأشار إلى رواية ابن النجار ثم ضعفه، وهو في كنز العمال.

الفصل الرابع
الدعوة فريضة على الأمة

ما هو حكم الدعوة إلى الله تعالى في الإسلام؟

بناء على ما وصلنا إليه من مدى أهمية الدعوة لدين الله عز وجل يحق لنا أن نستنبط أن الدعوة واجبة على الأمة.

لكن المعلوم من الدين والمتفق عليه بين العلماء أن مصدر الأحكام الشرعية هو النصوص الشرعية أولا ثم الاستنباط العقلي من هذه النصوص.

فماذا تقول النصوص الشرعية للإجابة عَنْ هذا السؤال؟

لقد سبق أن ذكرنا أن الله تعالى خلق الناس للابتلاء أي الامتحان والاختبار، ومن ثم أرسل إليهم الرسل تترى منذ آدم ونوح إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، ليهديهم إلى سبيل الفوز في الابتلاء، فكل رسول مبعوث من الله تعالى إلى قومه الذين ليسوا هم إلا عشيرته أو قبيلته أو الشعب الذي ينتمي إليه.

فقوم الرسول هم الذين يتحدث بلغتهم وينتسب إليهم ويعيش بينهم لذلك نجد كل رسول أو نبي يخاطب الناس الذين بعثه الله تعالى إليهم بقوله: يا قوم، لأن القوم في اللغة العربية هم الذين تقوم بهم حياة الفرد.

فإن كان النبي أو الرسول يعيش في مجتمع قبلي محدود فقبيلته قومه، وإن كانت قبيلة ضمن شعب متعدد القبائل فشعبه هذا قومه، وإن كان يعيش في دولة عالمية متعددة الشعوب والمجتمعات فهذه الدولة هي قومه.

لقد أرسل الله تعالى نوحاً عليه السلام إلى قومه، قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ. قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

كما أرسل سبحانه وتعالى **هوداً** عليه السلام إلى قومه عاد فقال عز وجل ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ. قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ. قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

وأرسل الله عز وجل **صالحاً** عليه السلام إلى قومه ثمود فقال تعالى ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[3].

وكذا أرسل الله تعالى **إبراهيم** أبا الأنبياء عليه السلام إلى قومه، قال تعالى ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[4].

وكذا بالنسبة **للوط** عليه السلام، قال تعالى ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5].

---

(١) ٥٩ ـ ٦١ / الأعراف.

(٢) ٦٥ ـ ٦٧ / الأعراف.

(٣) ٧٣ / الأعراف.

(٤) ٨٠ / الأنعام.

(٥) ٨٠ / الأعراف.

ونزل من الذكر الحكيم في **شعيب** وقومه قوله تعالى ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[1].

وأرسل سبحانه وتعالى **موسى** إلى قومه بني إسرائيل أولا وبصفة رئيسية، فقال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[2].

هذه الآيات الكريمة تثبت أن من سنن الله تعالى في النبوة والرسالات السماوية بعث كل نبي أو رسول في قومه الذين يعيش بينهم، أي أن النبي أو الرسول لابد أن يكون ـ حسب المصطلح القانوني الحديث ـ مقيماً بين من يرسله الله تعالى إليهم، ومتحدثا بلغتهم، أي لغته الأولى التي نشأ عليها هي لغتهم، حاملا لما يسمونه اليوم الجنسية أو المواطنة التي يتساوي بها في الحقوق والواجبات معهم حسب ما تنص عليه أكثر دساتير الدول المعاصرة.

ولكن قد يقول قائل: إن الله تعالى أرسل موسى وهارون إلى فرعون ولم يكونا من قومه، وللرد على هذا نقول: إن الله تعالى أرسلهما عليهما السلام في قومهما بني إسرائيل، أولا وبصفة رئيسية، وقد كانوا يعيشون تحت حكم فرعون مع العلم بأنهم لم يكونوا من أصل مصري، حيث كان فرعون ملكا لدولة عالمية علت في الأرض بالظلم والطغيان وبحكم الطاغوت، وقد أرسل له موسى بنص ووحي قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ. إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾[3].

---

(١) ٨٥ / الأعراف.

(٢) ٥ / إبراهيم.

(٣) سورة هود آية ٩٦ـ٩٧.

وباعتبار هذه الظروف والأحوال التاريخية التي كان يعيش في ظلها بنو إسرائيل فقد كلف الله تعالى موسى وهارون بدعوة فرعون وملئه لعلهم يؤمنون فيتحرر كل من تحت سلطانهم من الشعوب والمجتمعات، ومنها الشعب المصري وبنو إسرائيل، ويكون في هذا خير عظيم لكل من تحكمهم هذه الدولة العالمية حينئذ، ومن ثم يكون هدف موسى لفرعون ولملئه هو تحرير بني إسرائيل قوم موسى من سلطانه الغاشم وتخليصهم من عبوديتهم له ليصيروا إلى عبودية رب العالمين.

فلما لم يستجب فرعون وملؤه لدعوة الإسلام لله رب العالمين، طلب موسى منه أن يرسل معه بني إسرائيل أي يسمح لهم بالخروج من أرض مصر إلى أرض الله الواسعة، ولم يؤمر موسى وقومه بأن يقاتلوا فرعون وجنوده، لأن تكليف موسى وهارون أساسا وبصفة رئيسة وبعثهما لبني إسرائيل، فانحصر هدف موسى الاستراتيجي في صراعه مع فرعون في الخروج ببني إسرائيل من أرض مصر ليحررهم من سلطانه، قال تعالى ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ . إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ . فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ . فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ . وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾(١).

ومعنى ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ أي: أن فرعون وملأه برروا كفرهم بموسى وهارون وبما جاء به من عند الله من الحق بأن قومهما بني إسرائيل عابدون خاضعون محكومون لهم، وهذا يدل على أن بني إسرائيل كانوا مختلفين في قوميتهم عن المصريين والفراعنة.

قال تعالى ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ . قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ . قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ . وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ

(١) ٤٥ ـ ٤٩ / المؤمنون.

هَٰرُونَ . وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ . قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ . فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[1] .

أي أن الله تعالى كلف موسى وهارون بدعوة فرعون، فإذا لم يستجب فليطلبا منه أن يرسل معهما بني إسرائيل، وهذا يدل على أن التكليف بالرسالة هو لموسى ولقومه بني إسرائيل، ولفرعون ولسائر الناس.

يؤكد هذا الذي قررناه أن أهم مقومات القومية هو اللسان، فنزع من القومية الأصل العرقي العصبي، وكذا بعض العادات والتقاليد الشعبية المحلية، وهذا هو الفارق بين الرابطة القبلية والرابطة القومية.

ولأن كل رسول مبعوث في قومه، فإنه لابد من أن يكون الكتاب المنزل عليه بلسان هو لسانهم، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[2] .

ومن ثم يصبح الذين آمنوا من قومه حملة الرسالة والكتاب من بعده، وهم الذين يجب عليهم تبليغه وبيانه للناس من حولهم، أي القبائل أو الشعوب أو القوميات الأخرى.

يدل على هذا ويؤكده أن موسى لم يأت فرعون وملئه والمصريين بالتوراة التي نزلت بالعبرية لغة بني إسرائيل، ولم تنزل بلغة الفراعنة، وإنما جاء موسى إلى فرعون وملئه بالآيات التسع، التي هي معجزات حسية مادية، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا . قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[3] .

---

(١) ١٠ ـ ١٧ / الشعراء.

(٢) ٤/ إبراهيم.

(٣) ١٠١ ـ ١٠٢ / الإسراء.

فانظر إلى وصف موسى عليه السلام للآيات بأنها من الأمور الحسية المشاهدة المبصرة التي لا ينكرها إلا جاحد.

أما التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام فكانت لقومه بني إسرائيل، قال تعالى ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا . ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾(١).

وقال تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾(٢).

فقد نزلت على بني إسرائيل الذين كانوا حينئذ مؤمنين بالله تعالى وحده لا شريك له، وآمنوا بموسى وهارون ومن ثم كانت لهم نورا بعد هداية، أي بيانا للحق ثم بيانا للصراط المستقيم.

فكل رسول مبعوث في الأصل إلى قومه، وهذا ثابت بوضوح في رسالة المصطفى الخاتم ﷺ الذي أرسله الله تعالى للناس كافة، بيد أنه كلفه بأن ينذر عشيرته أولا ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾(٣).

ثم أن ينذر أهل مكة ومن حولهم، قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾(٤).

ثم لينذر كل العرب بدليل أن الكتاب عربي، قال تعالى ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾(٥).

وقال تعالى ﴿يسٓ . وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ . إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ . عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ .

---

(١) ٢، ٣/ الإسراء.
(٢) ٤٤ / المائدة.
(٣) ٢١٤ / الشعراء.
(٤) ٩٢ / الأنعام.
(٥) ١٢ / الأحقاف.

﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ. لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾[1].

وقال تعالى أيضاً ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[2].

ثم لينذر الناس كافة، قال تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[3]، وقال تعالى أيضاً ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[4].

أي: لكي يقضي بهذا الدين الحق على جميع أديان الأرض الأخرى، إذ كلها باطلة وهذا واجب المسلمين كافة والعرب خاصة.

وقال تعالى أيضا ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[5]، وقال تعالى أيضاً ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[6].

أي أن الرسول الخاتم ﷺ وإن كان مبعوثا في قومه ولقومه أولا بل ولعشيرته الآخرين قبل أي عشيرة أو قبيلة أخرى في قومه ـ إلا أنه أولاً وأخيراً رسول الله تعالى للعالمين كافة.

وهنا نصل إلى حقيقة هامة من حقائق الدعوة الإسلامية ألا وهي ميدان دعوة الرسل عامة وميدان دعوة رسول الله ﷺ الخاتم خاصة.

فما هو ميدان الدعوة الإسلامية؟.

هذا السؤال يتضمن **سؤالين**:

(١) ١ ـ ٦ / يس.
(٢) ٣/ السجدة.
(٣) ٤٩ / الحج.
(٤) ٣٣ / التوبة.
(٥) ١٠٧ / الأنبياء.
(٦) ٢٨ / سبأ.

الأول: ما هو ميدان دعوة الرسل صلى الله عليهم وسلم المنزل عليهم الكتب؟

الثاني: ما هو ميدان دعوة رسول الله الخاتم ﷺ؟

أما بالنسبة للسؤال الأول عن ميدان الدعوة الإسلامية أي الدعوة إلى دين الله تعالى المنزل على جميع رسله، فإن هذا الميدان هو قلوب الناس الذين يمكن أن يبلغهم النبي أو الرسول بدءا من عشيرته ثم قبيلته ثم قومه وانتهاءً بكل إنسان يعاصر الرسول ويخالطه وتبلغه دعوته عن طريقه أو عن طريق حوارييه وصحابته أو إخوانه الذين يأتون من بعده ويرثون عنه علم الرسالة.

والعلماء ورثة الأنبياء، ومكلفون بتبليغ ما ورثوه من علم النبوة للناس، فليس ميدان تبليغ الرسالة وإيصال كلمة الله تعالى محصوراً في دائرة قوم النبي أو الرسول فقط، وإنما هو يبدأ فقط بهم، فإن استجابوا له وصاروا مجتمعا أي شعبا ودولة بقيادته انطلق بهم لدعوة غيرهم ممن جاوروهم من الشعوب والأقوام وهكذا....

ولكن إذا لم يستجيبوا وقد كان هذا كثيرا ما يحدث مع الرسل في التاريخ القديم، فإن الدعوة تقف بالتالي فلا تمتد إلى غيرهم حيث لا يكون في مُكْنَةِ الرسول أو النبي والقلة التي آمنت معه أن يحاربوا بقية البشر.

والدليل على هذا: أن موسى عليه السلام لم ينتصر في حياته، ولم يجاهد معه قومه، ومن ثم لم تخرج دعوته عن دائرة بني إسرائيل إلا بعد وفاته، واستجاب بنو إسرائيل لداعي الجهاد في عهد طالوت وجاهدوا وانتصروا بنصر الله تعالى، وأقاموا الخلافة في الأرض المقدسة، واستمروا بعد ذلك في الجهاد ونشر الدعوة واتسعت دولة الخلافة الإسلامية بقيادة

خليفة الله داود عليه السلام واتسعت أكثر بقيادة سليمان عليه السلام حتى دخلت مملكة سبأ (اليمن) في دين الله تعالى وامتد ملكه إلى أكثر أجزاء الأرض المسكونة يومئذ وكان كل نبي يُبعثُ بتأكيد دعوة التوحيد وإن كانت شريعته قد تختلف عما سبقها قال تعالى ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾[1]، وقال ﷺ: "نحن معاشر الأنبياء أخوة لعلات"[2]. ومن ثم لم تكن رسالة موسى قاصرة على بني إسرائيل بل كانت لكل من يمكن الوصول إليهم من الشعوب والأقوام، وإنما تكون حركة الرسول المنزل عليه الرسالة بحسب استجابة قومه أولا له ولداعي الجهاد ثم بحسب استجابة الشعوب المجاورة لدعوته.

ومن ثم فكل رسول ـ وبخاصة من الرسل أولي العزم ـ مرسل إلى قومه خاصة كما أنه في الحديث: "**وكان النبي يبعث في قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**"[3]، مرسل إلى غير قومه باعتبار التوحيد الفطرة، فهو مرسل إليهم وإلى غيرهم، ولكن نظرا لنزول الكتاب عليه بلسان قومه، فإن قومه بعد أن يؤمنوا يصبحون هم حملة الرسالة والمكلفون بالدعوة لتبليغ الرسالة إلى سائر الناس، الأقرب جغرافيا فالأقرب.

وبالنسبة لرسالة المصطفى الخاتم ﷺ فهي للناس كافة توحيداً وتشريفاً، لا يستثنى من ذلك أحد من الناس في شرق الأرض أو غربها أو شمالها أو جنوبها، فهو مبعوث للناس كافة وقومه العرب من خلالهم، إذ هم مكلفون من بعده بحمل الرسالة إلى شعوب الأرض كافة ليس لفترة

---

(١) سورة المائدة آية ٤٨.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، ح٣٥٣٥، ومسلم في كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، ح٢٢٨٦.

(٣) الحديث رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: "جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً"، ح٤٣٨، ٣٣٥، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، الباب الأول، ح٥٢١ عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما.

محدودة من الزمن كما كان الحال بالنسبة للرسل السابقين، بل إلى قيام الساعة، لأنه ﷺ خاتم النبيين، وكتابه آخر الكتب في تاريخ البشرية كله من أوله إلى آخره.

وقد فعل صحابته رضي الله عنهم وأوجب الله عليهم ذلك، فقاموا بالجهاد للتبليغ وتوصيل قول الله عز وجل، وتعليم شرعه بالقول والتطبيق لكل البشر في كل الأرض التي يمكن أن يصلوا إليها.

فهو ﷺ مرسل للناس كافة ليس في زمان محدد، وإنما هو مرسل لهم في كل زمان وفي كل مكان، ومن ثم فقومه مكلفون من بعده بنشر رسالته لكل الناس في كل مكان ومنذ بعثه ﷺ إلى انتهاء الدنيا، ولن يأتي بعده رسول ينسخ رسالته ولن ينزل بعده كتاب ينسخ القرآن الكريم.

وعلى هذا فإن ميدان الدعوة الإسلامية بعامة منذ نوح إلى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام يبدأ بدائرة قوم النبي أو الرسول ﷺ، ويتسع بقدر المستطاع ليشمل كل فرد من أفراد البشر يمكن توصيل الرسالة إليه وتبليغه بها.

أما بالنسبة لرسالة المصطفى الخاتم ﷺ فإن استمرارها بدون نسخ إلى آخر الدنيا وتقدم المواصلات الآن يتيح توصيلها إلى جميع البشر وتبليغهم بها.

ومن ثم فكل البشر هم أمة الدعوة بالنسبة لرسالة الإسلام الخاتمة، والمؤمنون الذين يشهدون أن لا إله الله وأن محمدا رسول الله ﷺ من جميع الشعوب والأقوام والألوان والألسنة هم أمة الرسول الخاتم ﷺ أمة إجابة ودعوة، فهم جميعاً الأمة الإسلامية، وقد فرق بعض العلماء بين المفهومين لأمة الرسول ﷺ، بأن كل البشر منذ بعثه إلى قيام الساعة هم أمة الدعوة، أما الذين آمنوا به ونطقوا بالشهادتين فهم أمة الإجابة، وهم الأمة الإسلامية.

والخلاصة: أن ميدان الدعوة إلى الله تعالى بالنسبة للإسلام هو كل شعوب البشر في كل الأرض في كل زمان إلى قيام الساعة.

ومن ثم نفهم ما ورد عن رسول الله ﷺ مِنْ أَنَّ كل نبي بعث إلى قومه خاصة وبعثه الله تعالى إلى الناس كافة في ضوء الحقائق التاريخية والحضارية وفي ضوء حقيقة ختم الرسالة السماوية به ﷺ، بأن كل نبي لم يكن له في زمنه إلا أن يبلغ قومه، لأن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها.

أما بالنسبة لخاتم الرسل فإنه في علم الله تعالى أن صحابته سيخرجون شرق وغرب الجزيرة ويبلغون الرسالة وستمتد الرسالة في الزمان إلى آخر الدنيا وفي المكان إلى كل الأرض المعمورة بما في ذلك القارات الجديدة الأمريكتان واستراليا، وسيصل الإسلام إلى أهل هذه الأماكن وسيبلغ كل أرجاء الدنيا وسيؤمن من جميع الشعوب من يؤمن ويكفر من يكفر ليكون من يؤمن بدين محمد ﷺ حجة على من لا يؤمن.

وهذا معنى عالمية الإسلام وعموم رسالة المصطفى الخاتم ﷺ لتغطي كل أرجاء المعمورة مكاناً، وعمومها منذ بعثه إلى آخر عمر الدنيا زماناً.

الفصل الخامس

الدعوة بين الغاية والهدف والوسيلة

للدعوة غايات وأهداف.

أما الغايات فهي أمور اعتقادية أي تخص جانب العقيدة، بينما الأهداف أمور عملية تخص الجانب التشريعي التطبيقي.

وبالرغم من أن كثيراً من الكتاب والقراء قد لا يجعلون فروقا بين مفهوم الغاية ومفهوم الهدف، إلا أنه من السهل أن نميز بين مفهوم كل منهما باعتبار أن غاية الشيء تنتمي إلى ماهيته، التي يعبر عنها تعريفه، وهي أي الماهية تصور ذهني، بينما ينتمي الهدف إلى وجوده العيني الجزئي المتشخص في الواقع ومن ثم فسوف نطرح لفظ الغاية هنا بمفهوم محدد يخص الأمور الاعتقادية، وعلى رأسها غاية الإنسان الوجودية، بينما نفهم معنى الهدف باعتباره النتيجة العملية التطبيقية المرجوة من حياته الدنيا بعامة، ومن أعماله وأفعاله الجزئية بخاصة.

وحيث إن للإنسان أهدافا كثيرة يبتغيها من أعماله، سواء تلك التي على المستوى الفردي، أم تلك التي على المستوى الاجتماعي، **أم**.....، أم حتى التي على المستوى الإنساني كله، وحيث إنه لابد بالضرورة أن يكون له أهداف متعددة، تحددها عقيدة الإسلام لوجوده، فإنه

لابد أن تُصَبَّ جميع أهدافه العملية التي تحددها له الشريعة في النهاية لتحقيق غاية واحدة هي الغاية العليا والنهائية لوجوده كله، والتي هي من اختصاص العقيدة وليس من اختصاص الشريعة التي تعنى بالأهداف العملية من أفعاله، بل إن الغاية الوجودية العليا هي من أهم موضوعات العقيدة، ومن ثم يجب أن نحدد أولا مفهوم لفظ هدف، والعلاقة بينه وبين مفهوم لفظ وسيلة، لأن مفهومي هذين اللفظين مختلطان أيضا، إذ يكون الشيء الواحد أو الحدث الواحد هدفا ووسيلة في نفس الوقت، أما الاختلاط بين مفهومي الغاية والهدف فهو حادث في أذهان كثير من الناس عوامّ ومثقفين، بل وفي كتابات كثير من العلماء والدعاة، مما أحدث لبسا وخلافا بين مدارس الدعوة يصعب علاجه كما سنرى بعد بإذن الله تعالى.

تحديد مفهوم الهدف:

أما عن الهدف: فهو باختصار غاية العمل، أي أنه الثمرة والنتيجة التي يريد العامل تحقيقها من عمله، ويسعى الفاعل إلى تحصيلها من فعله، وهو لا يتحقق إلا في نهاية الفعل، ولا تحدث إلا في آخر مراحل العمل.

وإذا كانت الأفعال أو الأعمال لا تتم إلا بالحركة فإن تحقق العمل لا يكون إلا مع انتهاء هذه الحركة وحدوث السكون بعدها، فالزارع للقمح مثلا يظل في عمل من بعد عمل ونشاط من بعد نشاط، حتى يضع حبوب القمح في مخزنه، ومن ثم تسكن حركته تماما، وتنتهي بالنسبة لهذا الفعل الذي هو زراعة القمح.

وطالب العلم يظل في حركة ذهنية وفكرية وجسدية حتى يتم الاختبار ثم يظل في قلق نفسي وهو أيضا حركة باطنية حتى تظهر نتيجة الامتحان فإذا علم بنجاحه سكنت نفسه إزاء هذا العمل بعد تحقق الهدف منه وهو النجاح.

تحديد مفهوم الوسيلة:

أما الوسيلة: فهي كل الأعمال التي تعتبر عللا وأسبابا يكتسب بها الفاعل الهدف من فعله، لأن الأفعال المتمثلة في الحركات بالجوارح والأعضاء الجسدية والذهنية هي الأسباب والعلل التي يحقق بها الفاعل الهدف المراد من فعله.

ومن ثم فإن الهدف الواحد قد لا يتحقق إلا بالعديد من الوسائل: قلت أم كثرت، أما الوسيلة الواحدة فهي لا تحقق إلا هدفا واحدا، بل قد تكون مع غيرها من وسائل عديدة مشتركة جميعا في تحقيق هدف واحد.

بيد أن الوسيلة الواحدة التي هي ضمن مجموعة وسائل أو سلسلة من الوسائل هي بالضرورة محققة لهدف مباشر لها، ليس هو بالضرورة الهدف النهائي من الفعل، ولكنه هدف مباشر قريب لهذه الوسيلة، وهو أيضا هدف وسيط للهدف النهائي.

هذا الهدف المباشر للوسيلة الأولى يتحول ليصبح من حيث كونه هدفا وسيطا وسيلة لهدف آخر، وهذا الأخير يصبح أيضا وسيلة لهدف أعلى، وهكذا في سلسلة تنتهي بالضرورة إلى الهدف النهائي والأخير الذي هو ثمرة الفعل الإنساني.

ولتوضيح هذا المعنى نقول: إن (أ) هو الوسيلة الأولى أو السبب الأول الذي يتحقق به (ب)، لكن (ب) ليس هو الغاية الأخيرة من العمل وإنما هو يؤدي بدوره إلى تحقق (ج) الذي هو وسيلة لحدوث (د).

فإذا كانت (ب) غاية (أ) فإنها في نفس الوقت وسيلة (لـ ج)، التي هي وسيلة في نفس الوقت (لـ د)، وهكذا حتى يحدث الهدف النهائي للفعل الذي قد يكون (ن).

فمن المسلم به أنه يلزم لتحقيق الهدف النهائي سلسلة طويلة متعددة

معقدة من الوسائل والأهداف الوسيطة، وهي وسيطة بين الوسيلة الأولى والهدف النهائي لأن كلا منهما هو هدف بالنسبة للوسيلة السابقة عليه، ووسيلة في نفس الوقت بالنسبة للهدف اللاحق له، لأنه نتيجة بالنسبة لسابقه في السلسلة وسبب بالنسبة لما يلحق به منها.

مقومات الفاعلية الإنسانية وأنواع الأفعال الإنسانية:

يتم الفعل البشري بمقومات ثلاثة:

الإرادة، والاستطاعة، والعلم.

فالإرادة التي هي منبع النية وتُحدد هدف الفاعل النهائي من فعله.

وبالاستطاعة التي هي مجموع قواه الذهنية والبدنية والنفسية يكتسب الفاعل الأسباب المحققة لهذا الهدف.

وأما العلم فهو المعرفة بالأسباب والعلل المنتجة للنتائج التي يحصل بمجموعها الهدف النهائي.

وبدون هذه المعرفة لا يستطيع الإنسان إنجاز الفعل، ومن ثم فإن الفعل البشري يتم بهذه المقومات الرئيسة الثلاثة للفاعلية الإنسانية مجتمعة متفاعلة متعاضدة متداخلة بعضها في بعض، ويتحقق الهدف النهائي للفعل أي الذي عزم عليه الفاعل وقصد إليه وانتواه.

والدعوة بعامة أيا كانت دعوةَ حقٍ أو دعوةَ باطلٍ من فرد أو من جماعة أو من حضارة ترفع لواءها، هي في الواقع لا تعدو أن تكون فعلا إنسانيا يتم بهذه المقومات الثلاثة، ولابد أن يكون هدفها النهائي الأعلى الذي ليس وسيلة لغيره إلا أن يكون وسيلة للغاية العليا للوجود الإنساني، تلك التي تحددها العقيدة، فالدعوة أيا كانت تجمع باعتبارها فعلا إنسانيا ثلاثة أنواع من الأفعال:

الأول: فعل هو وسيلة أولى وليس هدفا لوسيلة سابقة عليه، فهو الفعل الأول البسيط الذي لا تقوم دعوة ما إلا به، فهو نقطة البدء لكل الدعوات.

الثاني: أفعال هي وسائل من وجه وأهداف من وجه آخر.

الثالث: الهدف النهائي في مجال الأعمال التي تحددها الشريعة والتي تعتبر جميعا وسيلة لتحقيق الغاية العليا للوجود الإنساني وهي هي الغاية العليا للدعوة.

في ضوء هذا الفهم لكل من الهدف والوسيلة نطرح هذه الأسئلة:

١ ـ **ما هو الهدف** الذي هو نقطة البدء في الدعوة إلى الله عز وجل؟

٢ ـ **ما هي الأهداف** أو الوسائل الوسيطة؟

٣ ـ **ما هي الغاية العليا** لجميع أهداف الدعوة؟

تعدد أهداف الدعوة في القرآن الكريم والسنة:

مما يجدر ذكره هنا: أننا إذا استعرضنا جميع ما كتبه الدعاة والعلماء والمفكرون عن أهداف الدعوة الإسلامية، سواء أكانت كتبا أكاديمية، أم كتيبات كتبها دعاة عاملون في ميدان الدعوة نجد أنهم لم يتفقوا على أهداف محددة كما لم يتفقوا على غاية واحدة، بل نجد تنوعا في الإجابات وتباينا في الغايات يبدو ضئيلا أحيانا، ويتسع حتى يقيم بينهم الصراعات وهذا طبعا لا يعني انعدام أوجه الاتفاق بين مدارس الدعوة العاملة في الميدان.

ولعل أول أسباب هذا الاختلاف هو عدم تحديد مفهوم لفظي الهدف والوسيلة من ناحية، ولفظي الهدف والغاية من ناحية أخرى، وذلك على النحو الذي ذكرناه آنفاً.

ومن ثم جاء بعض الإجابات معبرا عن أهداف وسيطة، والبعض الآخر معبرا عن الهدف الأول والثالث من الأهداف العليا دون تمييز بين هذا وذاك.

ومنهجنا في الإجابة على هذه الأسئلة الثلاثة بعامة، والسؤال الأخير منها بخاصة هو بيان عناصرها، في القرآن الكريم والسنة أولاً، ثم استعراض آراء وأقوال مؤسسي أشهر الدعوات وأعمها في ميدان الدعوة الإسلامية المعاصرة.

أهداف الدعوات في الأرض بين الحق والباطل:

تعددت الدعوات في تاريخ البشرية كما هي متعددة الآن في عصرنا الراهن، لكن هذه الدعوات على تعددها يمكن تصنيفها في النهاية إلى دعوتين لا ثالثة لهما.

الأولى: دعوة الحق قال تعالى ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾[1].

وهي دعوة إلى الهدى والخير قال تعالى ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾[2].

والثانية: دعوة أو بالأحرى دعوات الباطل وهي دعوات إلى الضلال **وإلى الشر والظلم والطغيان،** ولكل دعوة دعاتها، فالدعاة أيضا نوعان، دعاة الهدى، ودعاة الضلالة، وغني عن البيان أن دعاة الهدى هم رواد وقادة ومرشدو فريق الحق، ودعاة الضلالة هم رواد وقادة ومرشدو فريق الباطل في الصراع المستمر بين الفريقين منذ آدم عليه السلام إلى قيام الساعة.

---

(١) ١٤/ الرعد.

(٢) ٥٧ / الكهف.

فهؤلاء لهم دعوتهم ودعاتهم وأولئك لهم دعوتهم ودعاتهم.

قال رسول الله ﷺ: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً"[1].

وأول وعلى رأس دعاة الهدى في تاريخ البشر الرسل والأنبياء، وأول دعاة الضلالة في تاريخ البشرية هو إبليس لعنه الله، ثم جنوده من شياطين الجن والإنس، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[2].

فهو يدعو الناس جميعا إلى دعوات الضلالة فمن يستجيب له يصير من حزبه، ومن ثم يكون من أهل السعير، ويتبع إبليس كثير من الجن والإنس وهم حزبه الذين يبلغون دعواته الباطلة ويوحونها إلى بعضهم البعض، قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾[3].

وهؤلاء هم دعاة الضلالة من الحكام والمفكرين والكتاب والإعلاميين، وكل من يستخدم العلم واللسان ووسائل توصيل الكلمة للناس بهدف طمس الحق وإخفائه ونشر الباطل.

وجوهر هذه الدعوات الشيطانية على تعددها واحد، وهي دعوة الناس إلى الكفر بالله تعالى والشرك به، وهذا كما جاء على لسان مؤمن آل

---

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ح٢٦٧٤، عن أبي هريرة، ورواه أبو داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة، ح٤٦٠٩، وابن ماجه في المقدمة، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ح٢٠٦، والترمذي كتاب العلم، باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى، ح٢٦٧٤ وقال: حسن صحيح.

(٢) ٦/ فاطر.

(٣) ١١٢ / الأنعام.

فرعون إذ يرد عليهم في جداله إياهم بالحسنى في مواجهة دعوتهم له بالضلالة بدعوته لهم بالحق، قال تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ. يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ. مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ. وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ. تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ. لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ. فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[(١)].

فإذا تدبرنا هذه الآيات المشتملة على قول مؤمن آل فرعون لقومه نجدها متضمنة للحقائق الدعوية التالية:

١ ـ **أن ثمة دعوة حق من مؤمن آل فرعون** لقومه الكافرين، يقابلها دعوة باطل من قومه الكافرين له ﴿أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾، وفي قوله أيضاً ﴿تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾[(٢)]، **وهذا هو صراع الدعوات.**

٢ ـ **دعوة الحق** هي دعوة إلى سبيل الرشاد في الدنيا وهي دعوة إلى النجاة من النار في الآخرة والفوز بالجنة، فهي دعوة واحدة ذات هدف مشترك طرفه في الدنيا والآخر في الآخرة.

٣ ـ **دعوات الباطل** ليست لها قيمة إنسانية في الدنيا كما أنها ليست دعوة إلى مصير آمن في الآخرة، ومن ثم ليس لدعوات الباطل أهداف

---

(١) ٣٨ ـ ٤٤ / غافر.

(٢) سورة غافر آية ٤٢.

دنيوية وأخروية لائقة بكرامة الإنسان ومكانته، وهذا واضح في قول مؤمن آل فرعون ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ٱلْعَزِيزِ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ﴾[1] أي ليس له هدف لائق بالإنسان في الدارين يدعو إليه، إذ أن ما تدعونني لأعبده من دون الله تعالى ليس له دعوة حق في الدنيا ولا يستجيب لدعواتكم ولن ينفعكم في الآخرة.

فإذا انتهينا إلى أن أي دعوة في الأرض إما أن تكون دعوة حق إلى الهدى أو دعوة باطل إلى الضلالة، . . . . . فما هي الغاية التي هي نقطة البدء في الانطلاق نحو غايات الدعوة الإسلامية؟

وهذا هو السؤال الأول من الأسئلة الثلاثة التي ذكرناها سابقاً، والذي تُعْتَبَرُ الإجابة عليه هي الوسائل المؤدية إلى تحقيق الغايات الوسيطة والغاية العليا لدعوة الحق وهي الغايات التالية:ـ

الغاية الأولى: مغفرة الله وجنته ورضوانه

هي أعلى وأغلى أهداف دعوة الحق مغفرة الله عز وجل، إذ هي غاية من الغايات التي يسعى الداعي بخاصة والمسلم بعامة من أجلها منذ استجابته لدعوة الحق، وذلك باعتبار أنه ما من إنسان إلا وقد أذنب وأخطأ، ومن ثم فالدعوة الإسلامية تدعو الناس لنيل مغفرة ربهم عز وجل، وهذا ما كان يقره الأنبياء لأقوامهم كما فعل نوح عليه السلام مع قومه، قال تعالى عن نوح عليه السلام ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ. يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

---

(١) سورة غافر آية ٤٣.

(٢) ٢، ٣، ٤ / نوح .

وقال تعالى ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ. قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾[1].

فغاية الدعوة هنا هي المغفرة، وهي من غايات الإنسان العليا، بل هي غاية وجودية عليا من استجابة الإنسان للحق ولكنها أيضا سبيل لنيل غاية أخرى وهي جنة الله عز وجل .

فكل الآيات السابقة التي تضمنت غايات الدعوة المتعددة التي يؤدي بعضها إلى بعض تبدأ ـ كما عرفناها ـ بالإيمان بالله تعالى واحدا لا شريك له، ثم إلى الدعوة إلى شرعه ودينه والالتزام بهديه وبصراطه المستقيم، ثم الجهاد لإقامة الدين في حياة البشرية، وذلك ابتغاء مغفرة الله تعالى ورضوانه في الدنيا وجنته في الآخرة .

إن الدعوة إلى مغفرة الله تعالى وجنته موجهة مباشرة من الله تعالى إلى الناس، قال تعالى حاكيا لنا مقالة جميع الرسل لأقوامهم في السياق السابق ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾[2] .

وكذلك يدعو الله تعالى الناس مباشرة إلى جنته التي يفوز بها من يؤمن به ويحيا بشرعه ويجاهد في سبيله لينال مغفرته ورضوانه سبحانه، قال تعالى ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾[3] .

---

(١) ٩، ١٠ / إبراهيم .
(٢) ١٠ / إبراهيم .
(٣) ٢٢١ / البقرة .

وقال تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١).

فدعوة الله تعالى الناس إلى الجنة هي غاية دعوة الحق التي يقابلها النار التي هي غاية دعوات الضلالة، قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾(٢)، وقال تعالى ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾(٣)، وقال تعالى عن الشيطان أيضاً ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(٤)، وقال تعالى عن دعاة الضلالة بصفة عامة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾(٥)، ومن ثم يمكن القول إن غاية دعوة الحق هي دار السلام أي الجنة، وغاية دعوات الضلالة هي النار أو عذاب السعير والعياذ بالله تعالى منها .

يوضح هذا ما رواه البخاري والترمذي عن جابر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **"إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلا، فقال: اسمع سمعت أذنك، واعقل عقل قلبك، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا ثم جعل فيها مائدة ثم بعث رسولا يدعو الناس للوليمة فمنهم من أجاب ومنهم من تركه، فالله هو المالك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يامحمد رسول فمن أجابك دخل الإسلام ومن دخل الإسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل ما فيها"**(٦).

---

(١) ٢٥ / يونس .

(٢) ٤١ / القصص .

(٣) ٢١ / لقمان .

(٤) ٦/فاطر .

(٥) ٢٢١/البقرة .

(٦) الحديث أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ح٧٢٨١ عن جابر، ورواه الترمذي، كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الله لعباده، ح٢٨٦٥، عن جابر وقال الترمذي: هذا حديث مرسل، سعيد بن أبي هلال لم يدرك جابر، قلت وهو في البخاري سواء .

فالدعوة واحدة لكن لها غايات متدرجة كل منها تؤدي إلى التي تليها حتى تتحقق الغاية العليا الأخيرة وهي مغفرة الله تعالى والجنة وفيها غاية أعلى وهي الثامنة.

الغاية الثانية: رؤية الله عز وجل والنظر إليه في الجنة

وهي الغاية الوجودية الأعلى للإنسان

قال تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(١).

قال المفسرون: الحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى في الجنة.

وقال تعالى ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾(٢).

وقالوا: المزيد النظر إلى وجهه الكريم.

وقال تعالى أيضاً ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ. إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(٣)، وهذه الآية الكريمة واضحة في إثبات رؤية المؤمنين الله عز وجل في الجنة.

الغاية الثالثة: الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى وحده

أو الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله

وهذا من الأهداف المتضمنة في آيات الدعوة قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ. قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ

---

(١) ٢٦ / يونس.
(٢) ٣٥/ ق.
(٣) ٢٢، ٢٣ / القيامة.

مِّن سَبِيلٍ . ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾[١] .

ويأتي ذكر الدعوة إلى الله في هذا السياق لبيان أن المشركين أو الكافرين الذين دعاهم داعي الله تعالى إلى الإيمان به واحدا لا شريك له في الدنيا ولم يستجيبوا له مقتوا أنفسهم في الآخرة لما رأوا العذاب وذاقوه، إذ ينادي المنادي عليهم بأن مقت الله تعالى لهم في الدنيا لَمَّا كفروا أكبر من مقتهم أنفسهم لما ذاقوا العذاب .

فالدعوة إلى الإيمان بالله تعالى أهم أهداف دعوة الحق، ولكن ثمة دعوات إلى باطل تهدف إلى الإيمان بالله تعالى أيضا وتدعو إلى الإيمان به ولكن على سبيل الشرك، وليس على سبيل التوحيد، فدعاة الحق يدعون إلى الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له، وأعداؤهم يرفضون دعوة الإيمان بالله وحده ويقبلون دعوات الضلالة التي تجعل مع الله تعالى آلهة أخرى وأربابا آخرين .

ومن ثم فكل السياقات القرآنية التي تتحدث عن الدعوة إلى الله تعالى لا تتحدث عن دعوة الحق فقط، وإنما تتحدث عن دعوات الباطل أيضا، وهذا من مثاني القرآن الكريم، السياق يوضح أن أهل الضلالة يستجيبون لدعاة الضلالة إذ يدعونه إلى الإيمان بالله تعالى على سبيل الشرك أي مع الإيمان بآلهة أخرى، ويكفرون إذا دعوا إلى الإيمان بالله تعالى وحده، قال تعالى ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟﴾[٢] .

فجوهر دعوة الحق إذن ليس هو مجرد الإيمان بالله تعالى فقط، ولكن

---

(١) ١٠_١٢ / غافر .

(٢) ١٢/ غافر .

الإيمان بالله تعالى واحداً لا شريك له، قال تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[1].

لذلك كان شعار الإسلام "لا إله إلا الله" هو المعبر عن دعوة التوحيد، وهو الذي يدعو دعاة الحق الناس إليه، وحيث إن أكثر أتباع الأديان والملل في الأرض يزعمون أنهم موحدون، فاليهود يزعمون أنهم يعبدون إلهاً واحدا، والنصارى يقولون بالأب والابن والروح القدوس إله واحد، والبوذيون وغيرهم يزعمون هذا، رغم أنهم مشركون ووثنيون جميعاً، فإن هذه الشهادة الأولى "لا إله إلا الله" لا تكفي كمنهج لمن يريد التوحيد، بل لابد من الشهادة الثانية وهي محمد رسول الله ومعناها أنني أقر وأتعهد أن لا آخذ منهج الإيمان بالله وحده إلا عن طريق النبي محمد ﷺ الذي أقر أنه خاتم الرسل وصاحب الرسالة الصحيحة الوحيدة الخالدة وذلك من الكتاب الذي أنزله الله تعالى عليه ومن سنته ﷺ ولذلك تعتبر الدعوة إلى لا إله إلا الله محمد رسول الله هي الدعوة إلى الإسلام، وهي الدعوة إلى الله عز وجل وهي دعوة التوحيد، فهو الهدف الأساسي الذي يجب أن يدعو الداعي أول ما يدعو إليه وهو الهدف العملي التطبيقي الأول والأساسي للمستجيب.

الغاية الرابعة: الإسلام .

الإسلام: هو الاستسلام والانقياد والخضوع لله تعالى وحده، والدعوة إلى الإسلام هي الدعوة إلى طاعة الله تعالى وحده، وهي أيضا دعوة إلى الدين المنزل من عند الله تعالى على خاتم أنبيائه ورسله المتمثل في القرآن الكريم والسنة.

---

(١) ١٠٦ / يوسف .

أي: أنها دعوة إلى فعل الاستسلام لله عز وجل، إذ يقبل عليه المستجيب لهذه الدعوة بالقلب والجوارح، وذلك بأن يعزم على أن يحيا وفق الدين الإسلامي المتمثل في القرآن الكريم والسنة، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

الغاية الخامسة: الدعوة إلى شرع الله عز وجل

الدعوة إلى إقامة شرع الله عز وجل في واقع الحياة هي الغاية التي تلي الدعوة إلى الإسلام والالتزام بأحكام الإسلام.

يدعى الناس إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ثم تأتي بعد الاستجابة لداعي الإيمان الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده بالصلاة والزكاة والصيام والحج وبكل ما أمر الله تعالى به، وبعد ذلك إلى إقامة شرع الله تعالى في واقع الحياة خلقياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفي شتى جوانب الحياة الإنسانية.

وشرع الله تعالى هو ما دعا إليه جميع الأنبياء منذ نوح إلى خاتمهم صلى الله عليهم وسلم جميعا، قال تعالى ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ. وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ. فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ...﴾[2].

---

(١) ٧/الصف.

(٢) ١٣ـ ١٥ / الشورى.

فقوله تعالى في أول السياق ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ يفيد أن هذا الدين الذي نزل على خاتم النبيين صلى الله تعالى عليهم وسلم هو دين جميع الرسل والأنبياء وهو غاية دعوتهم.

ثم قوله تعالى هذا ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ يفيد الأمر بالدعوة إلى دين الله الذي أنزله على جميع رسله، ويفيد أيضا النهي عن اتباع دعوات الطاغوت الأخرى التي ليست سوى أهواء الذين كفروا.

فالإجابة عَنْ السؤال: إلى ماذا ندعو الناس؟

تكون الإجابة: إلى الدين الحق أي الإسلام الذي هو عقيدة وشريعة، والعقيدة هي الإيمان بالله تعالى وحده، والشريعة هي طريق الاستقامة الذي أمر الله تعالى به جميع أنبيائه ورسله من لدن نوح إلى خاتمهم محمد صلى الله تعالى عليهم جميعاً.

الغاية السادسة: الدعوة إلى الحكم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ

وهما الصراط المستقيم والهدى القويم.

من معاني الدعوة إلى الله عز وجل الدعوة إلى كتابه لإقامة حكمه في الواقع الإنساني، قال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ. وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ. وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ. أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ. إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ. وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[1].

---

(١) ٤٧ ـ ٥٢ / النور.

يتضمن هذا السياق دعوة الحق كما يتضمن دعوة الباطل أيضاً، وأصحابها هم المنافقون الذين يزعمون أنهم لبوا داعي الله عز وجل وآمنوا بالله ورسوله ﷺ، فكان المحك الذي كشف نفاقهم وكذبهم هو دعوتهم إلى تنفيذ حكم الله ورسوله، فأعرض فريق منهم لأن حكم الله تعالى سيكون ضدهم حيث لا حق لهم في الخصومة، بينما لو كان لهم الحق لقبلوا حكم الله تعالى ورسوله ﷺ لعلمهم بأنه يحكم لصالحهم ويعيد لهم حقهم.

أما الذين آمنوا فإنهم يقبلون حكم الله ورسوله ويقولون سمعنا وأطعنا سواء أكان الحق معهم أم مع خصمهم.

ومن ثم فغاية دعوة الحق في هذا السياق هو حكم الله تعالى ورسوله ﷺ، وهذه الغاية هي الكاشفة لإيمان المؤمن أو نفاق المنافق وهي المميزة بين المؤمنين والمنافقين، فالمنافقون يعلنون الإسلام أو الإيمان ما دام محصورا في القول أو أعمال الرياء غير المكلفة للجهد والمال، فإذا كلفهم الإيمان الذي يزعمون مالاً أو جهداً أو دماءً رفضوا العطاء وانكشفوا.

ومن ثم نجد أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين يزعمون أنهم أهل الإيمان وأهل الجنة في الآخرة يفتضح كذبهم وينكشف الباطل الذي هم عليه إذا دعوناهم إلى قبول حكم كتابهم الذي يؤمنون به، فإذا بهم يعرضون ويرفضون الاحتكام إلى ما بقي صحيحا من كتاب الله تعالى الذي بين أيديهم، أي إلى النصيب الذي وصل إليهم منه، قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ. ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾[1].

(١) ٢٣ ـ ٢٤ آل عمران.

أورد العلماء والمفسرون في أسباب نزول هذه الآية الكريمة ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن المنذر عن عكرمة عن ابن عباس قال: "دخل رسول الله ﷺ بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم إلى الله فقال له نعيم ابن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت يامحمد؟

قال: على ملة إبراهيم .

قالا: فإن إبراهيم كان يهوديا .

فقال رسول الله ﷺ: "فهلما إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبيا عليه، فأنزل الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[1] .

فالدعوة إلى الله أي الدعوة إلى حكم الله تعالى وكتابه وكذا الدعوة إلى الرسول ﷺ، هي دعوة إلى سنته، قال تعالى ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي كتاب الله وإلى سنة رسوله تحتكمون إليهما، وهي الدعوة إلى ما تحيا به القلوب والنفوس، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[2] .

أي كتاب الله وسنة رسوله إذ فيهما حياة القلوب، وهي أيضا إلى الصراط المستقيم، قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3] .

وقال تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[4] .

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ٦٢٢/٢، عن عكرمة مرسلاً ح٣٣٤٠، ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره ٢١٧/٣ ح٦٧٧٨ فجعله من رواية سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس مرفوعاً، وذكره الواحدي في أسباب النزول عن ابن عباس مرفوعاً ص١٠٢ ح١٩٥، وذكره السيوطي في أسباب النزول، آية ٢٣ / آل عمران .

(٢) المصدر السابق .

(٣) ٧٣ / المؤمنون .

(٤) ١٥٣/ الأنعام .

وذلك كله هو الهدى، لأن هدى الله هو الهدى وما خالفه ضلال، ولكن أهل الضلال لا يتبعون الهدى الرباني، قال تعالى ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾(١).

وقال ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟﴾(٢)، وقال تعالى ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾(٣).

وهذا كله قد كبر على المشركين ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾(٤)، من الاحتكام إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه وإقامة شرعه والحياة وفق منهاجه.

الغاية السابعة: الجهاد في سبيل الله عز وجل

الجهاد في سبيل الله عز وجل بالنفس، أي الدعوة إلى قتال المشركين من خلال حرب معلنة من دولة الإسلام ضد من يقاتلونهم من المشركين.

وأيضا الجهاد في سبيل الله بالمال زكاة وصدقة وفي كل سبل الخير لنشر الدعوة ولتجهيز الجيوش الإسلامية ضد أعداء الأمة، ومعنى الجهاد في سبيل الله تعالى: بذل الجهد والوقت والمال وكل ما مكن الله تعالى فيه المسلمين من وسائل لتبليغ كلمة الله ودينه وشرعه للناس ولإقامة هذا الدين في واقع حياة الذين يؤمنون به، ليس بالقهر والجبر ولكن باختيارهم ورغبتهم، فالجهاد بالمعنى السابق ليس هدفا في حد ذاته أي أنه ليس هدفا نهائيا في الإسلام بل هو وسيله عملية لتبليغ الدين وإزالة العوائق من طريق

---

(١) ١٩٣ / الأعراف.
(٢) ١٩٨ / الأعراف.
(٣) ٥٧ / الكهف.
(٤) ١٣ / الشورى.

هذا التبليغ، واستخدام القوة ورباط الخيل في هذا المجال، ليس أمرا مطلوبا لذاته أو لغرض السيادة والهيمنة والعلو بالباطل في الأرض **لأن** التبليغ هو الهدف الأول، فإذا كان البلاغ ميسورا بدون القتال والقوة فلا يحل للمسلمين استخدام القتال أو القوة، وإنما هما فقط لدفع العوائق المانعة للبلاغ ولإقامة الدين بين الذين يؤمنون ويدخلون فيه، وهذا ما يتوافق تماما مع ما يطلقون عليه حق تقرير المصير للشعوب في وثائق حقوق الإنسان في الغرب.

وحيث إن العوائق دائما تكون من حكومات الأديان الشركية والكفرية حرصا منها على إبقاء علوهم على شعوبهم بالظلم قائما، فإن الدولة الإسلامية المكلفة بتبليغ كلمة الله عز وجل للناس تعرض على هذه الحكومات المجاورة لها، إما الإسلام وإما الجزية، وإما الحرب.

فالدولة الإسلامية تعطي الشعوب المجاورة لها ما أطلق عليه أصحاب دعوى حقوق الإنسان في الغرب حق تقرير المصير، ولكن حق تقرير المصير لا يكون إلا بعد بيان الرشد من الغي، ومن ثم يكون هدف الدولة الإسلامية تبليغ دين الله تعالى للناس حتى يختاروا عن بينة، فمن أراد أن يظل على دينه فليظل، ومن أراد باختياره الحر الدخول في دين الله كان له هذا ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾(١).

فإذا قبلت الحكومة والشعب الإسلام فبها ونعمت، وإذا رفضوا فلهم ـ حكومة وشعبا ـ أن يظلوا على دينهم بشرط واحد: هو إعلان الخضوع لدولة الإسلام حتى يتمكن المسلمون من تبليغ دين الله تعالى للناس، ويتمثل هذا الخضوع في دفع الجزية.

ولهم بعد هذين الخيار الثالث ـ إذا لم يقبلوا الإسلام ولم يقبلوا

(١) ٢٥٦ / البقرة .

الجزية ـ ألا وهو الحرب التي هي معلنة من المسلمين ضد الدولة والجيش وليس ضد الشعب المراد تبليغه.

هذا ما كان يحدث من كل جيوش الإسلام الغازية والمجاهدة في سبيل الله تعالى، لذلك تعتبر الدعوة للجهاد في سبيل الله تعالى دعوة للمؤمنين، وليست دعوة لغير المسلمين، لأنها ذروة سنام الدعوة الإسلامية، لأن الجهاد في سبيل الله تعالى هو ذروة سنام الإسلام. قال تعالى ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1].

فهذه دعوة إلى الأعراب الذين أسلموا للجهاد بالنفس. وقال تعالى ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾[2].

وتلك دعوة أخرى للمسلمين للجهاد بالمال، وهما مصحوبتان بإنذار بالعذاب، إذا لم يُلَبِّ المسلمون داعي الجهاد بالنفس والمال، وهو هنا العذاب الدنْيوي بإذلال الكافرين لهم.

فالجهاد وسيلة وليس غاية أو هدفاً في الإسلام، ولكن نظرا لأن الصراع بين أهل دعوة الحق وأهل دعوات الباطل أمر ضمني في تاريخ البشر، فإن للجهاد أهميته العظمى في الإسلام، إذ بدونه يَذِلُّ أهل الحق لأن أهل الباطل لا يألون فيهم إلا ولا ذمة، وبدونه لا يتم التبليغ.

ونظراً لأنه وسيلة للتبليغ فإنه يأخذ مفهوما واسعا شاملا إذ يكون

---

(١) ١٦ / الفتح.

(٢) ٣٨ / محمد.

استخدام القوة في الجهاد حالة جزئية ومشروطة بشروط أهمها أنه لا يجوز استخدام القوة في الدعوة إلا من خلال دولة شرعية قائمة تعلن الحرب بالشروط التي حددها الشرع في القرآن الكريم والسنة، وهذا يحرم استخدام القوة على الأفراد والجماعات أيا كانت الأسباب التي يتعللون بها.

الغاية الثامنة: التبليغ:

لا دعوة بدون بلاغ لأن الدعوة نداء إلى أمر ولابد أن يصل النداء إلى أسماع المدعوين، بل لابد أن يصل معنى النداء والهدف منه إلى أذهانهم وقلوبهم ووعيهم، ومن ثم يكون هذا الهدف هو البلاغ المبين أي الموضح وليس مجرد بلاغ فقط.

بيد أن التبليغ ليس هدفا مباشرا للدعوة، وإنما هو هدف أول مباشر للدعاة، والتبليغ واجب الداعي وفعله، أما البلاغ فهو هدف أول أيضا ولكنه هدف للدعوة أكثر من كونه هدفا للداعي، لأن الدعوة الإسلامية تتضمن أمرا للدعاة بالتبليغ أما الوحي فهو البلاغ، لكن التبليغ والبلاغ ليسا هدفين نهائيين للدعاة كما ذكرنا لأنهما وسيلة لتوصيل مباديء الدعوة وأهدافها ومنهاجها وتعليمها للناس.

ويدل على أن التبليغ هدف الداعي قول الله عز وجل لإمام المبلغين عن الله عز وجل خاتم رسله وأنبيائه المصطفى ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

فهو أمر من الله تعالى له بالتبليغ التام، فإن لم يكن التبليغ تاما كاملا

---

(١) ٦٧ / المائدة.

شاملا لكل ما أنزل إليه من ربه دون انتقاص أو تغيير فلا يكون قد بلغ وأدى المهمة الموكولة إليه، وحقق الهدف الأول من بعثه وإرساله للناس.

وهذا الحكم لا يخص رسول الله ﷺ وحده، بل هو يعم جميع العلماء والدعاة وهم محاسبون على ذلك، قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾(١).

ويرتبط تبليغ رسالة الله تعالى بالحكمة التي من أجلها خلق الله تعالى السموات والأرض والإنسان وهي الابتلاء، إذ يبتلي الله تعالى الرسل والأنبياء بالناس، ويبتلي الناس بهم من خلال تكليفهم بالتبليغ، لذا كان الأنبياء أشد الناس بلاءً لمشقة هذه المهمة وخطورتها، قال تعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا. لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾(٢).

وقال تعالى أيضا ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾(٣).

ولا شك أن توصيل القول لا يكون بالرسل والأنبياء فقط وإنما عن طريق ورثتهم للأجيال التي تأتي من بعدهم وورثة الأنبياء هم العلماء والدعاة.

استجابة الناس أو إعراضهم ليست مسئولية الدعاة:

أما استجابة الناس أو إعراضهم بعد تبليغهم أو إيمانهم أو كفرهم فهو من مسئوليتهم ولا يسأل الدعاة عن ذلك كله أيا كانوا، رسلا أو أنبياء أو علماء أو خطباء لأن الاستجابة أو الرفض من عمل المدعويين، قال تعالى

---

(١) ٣٩ / الأحزاب.
(٢) ٢٦ـ٢٨ / الجن.
(٣) ٤٤ / الزخرف.

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[1].

أي: إنك مسئول عن البلاغ فقط ولست مسئولا عن مواقف المبلغين من الدعوة.

وقال تعالى أيضاً ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[2].

لأن البلاغ المبين أي الواضح الجلي هو الذي يقيم الحجة على الكافرين يوم القيامة، ويبطل أي حجة يحتج بها الناس على الله عز وجل، قال تعالى

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[3].

فليس من أهداف الدعاة أيا كانوا هداية الناس واستجابتهم لدعوة الحق بالضرورة، وليس من حقهم إرغامهم على ذلك، وليس لهم أن يجبروهم على قبول الحق بأي وسيلة من وسائل الإجبار، فهذا ليس هدفا، إذ يتعارض مع الحكمة من البلاغ الذي كلفهم الله تعالى به، وهي إقامة الحجة على الناس يوم القيامة، وإبطال أي احتجاج للناس يوم القيامة بالجهل أو الغفلة، قال تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[4].

---

(١) ٢٠ / آل عمران.

(٢) ٩٢ / المائدة.

(٣) ١٦٥ / النساء.

(٤) ٩٩/ يونس.

وقال تعالى لنبيه الخاتم ﷺ أيضا ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾(١).

وقال تعالى أيضاً ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(٢).

وقال تعالى ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾(٣).

لذلك اقتصر دور الدعاة على البلاغ المبين الذي يبين للناس الرشد من الغي والحق من الباطل ولا يتعدى هذا إلى الإلزام أو الإكراه، ولا يجوز أن يحجر على اختيارهم أو يجعل الداعي نفسه وكيلا عنهم أو وصيا عليهم، قال تعالى ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾(٤).

وقال تعالى أيضا ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾(٥).

أي أن أساليب الكفر ومناهج الكافرين وحقيقة دعوات الضلالة واحدة في كل زمان ومكان فهي متكررة بين الأجيال والأمم ومقالتهم معادة، وتكاد تكون مواقفهم من دعوة الحق واحدة، ومع هذا فيجب على الرسل البلاغ المبين لإقامة الحجة على الكافرين، حتى لو تأكد الداعي أن المدعويين لن يستجيبوا له، لأن الاستجابة ليست هدفا له، إنما البلاغ

---

(١) ٤٥ / ق .
(٢) ٢٩ / الكهف .
(٣) ٢٥٦ / البقرة .
(٤) ٩٩ / المائدة .
(٥) ٣٥ / النحل .

المبين المقيم للحجة والمبطل لاحتجاجهم على الله تعالى يوم القيامة، هو الهدف وهو ما يتم بالتبليغ التام، ومن ثم قال تعالى للنبي الخاتم ﷺ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾[1].

ولذلك كان كل رسول يبريء نفسه مما يصيب قومه من العذاب الدنيوي بإعلان أداء مهمته التبليغية فقال صالح لقومه بعد هلاكهم ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[2].

وكذلك قال **شعيب** عليه السلام لقومه ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[3].

وكذلك قال **هود** لقومه ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ. وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[4].

فالتبليغ هو هدف الداعي العملي التطبيقي من جهده في مجال الدعوة.

إن الله تعالى هو غاية دعوة الحق العليا، وهو غاية الدعاة أيضاً، وهو ما يدعو إليه الدعاة.

ويدعون إلى الله عز وجل أي إلى مغفرته.

ويدعون إلى الله عز وجل أي إلى جنته ورضوانه.

ويدعون إلى الله تعالى أي إلى رؤيته وهي الغاية الأعلى للإنسان،

---

(١) ٤٨ / الشورى .
(٢) ٧٩ / الأعراف .
(٣) ٥٣ / الأعراف .
(٤) ٥٧ ـ ٥٨ / هود .

فالله سبحانه وتعالى هو غاية الدعاة من دعوتهم لأنهم لا يبتغون من دعوتهم إلا وجهه الكريم.

يدعون إلى الله عز وجل أي إلى الإيمان به واحدا لا شريك له.

ويدعون إلى الله عز وجل أي إلى شرعه ودينه وكتابه.

ويدعون إلى الله عز وجل أي إلى الجهاد في سبيله لإقامة دينه.

ومن ثم يمكن القول إن للدعوة الإسلامية غاية واحدة يعمل لها الدعاة ابتداء وانتهاء، هي الله سبحانه وتعالى.

كذلك نقول إن غايات الدعوة الإسلامية تتوحد في غاية واحدة حين تتعدد، كما أنها تتعدد من خلال أهدافٍ كلها تؤدي إلى غاية واحدة هي الحق لأن الحق هو الله عز وجل، لأن الغايات السبع المتعددة تأخذ شكل النسق المنطقي من الناحية العقدية فتبدو بناء منطقيا واحداً.

إن أول الغايات وآخرها لدعوة الحق هي الله عز وجل، لأن الله تعالى هو الحق، قال تعالى ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ﴾[1]، أي أن الذي يتجاوز الحق في دعوته ويترك الدعوة إلى الله تعالى ويدعو إلى غيره فإنه لن يدعو إلا إلى الضلال.

ومن ثم فالله عز وجل هو غاية الدعوة والدعاة في الإسلام.

---

(١) ٣٢/يونس.

الفصل السادس

الهدف العملي العام للدعوة الإسلامية في العصر الراهن

إذا استعرضنا أكثر الكتابات الحديثة والمعاصرة في الدعوة الإسلامية لوجدنا بينها اختلافا كبيرا بالنسبة لموضوع الأهداف.

وليس هذا الخلاف بين العلماء والدعاة وجماعات الدعوة ثانوياً أو سطحياً بل هو يكاد يكون جذريا بالرغم من أن الباحث فيها لا يجد اختلافاً حقيقياً حول الغايات الاعتقادية للدعوة، إذ كيف يقوم خلاف حول الغايات وقد وجدناها جميعا تدور حول محور واحد هو الإيمان بالله واحدا لا شريك له، ومعنى أن يكون الاختلاف حول الأهداف العملية جذريا هو أننا في ساحة الدعوة الإسلامية نكون بإزاء مدارس أو جماعات أو دعوات متعددة ذات مناهج وأساليب متعددة، وليس ثمة دعوة واحدة بالرغم من أنهم جميعا يدعون إلى الله عز وجل.

ومن الصعب التوصل إلى أسباب وعوامل هذا التعدد لأن هذا يقتضي منا دراسة تاريخية مفصلة لظروف نشأة الدعوات وملابسات تطورها في العصر الحديث وبخاصة قبيل وبعد سقوط الخلافة العثمانية، علاوة على

أن هذا الموضوع ليس هاما بالنسبة لما نحن بصدده، بيد أن هذا لا يمنعنا من عرض موجز لأهم الدعوات التي ظهرت في تاريخ الأمة الإسلامية خلال هذه الحقبة الزمنية المنصرمة.

إن حديث رسول الله ﷺ: "إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها"[١].

هو الذي يلقي الضوء على قضية الأهداف العملية التي هي في نفس الوقت وسائل للغايات الاعتقادية أو بالأحرى للغاية الاعتقادية العليا لدعوة الحق.

فكما سبق أن وضحنا أن بعض الأهداف التي هي غايات من وجه هي وسائل لغايات أعلى من وجه آخر.

فليس ثمة تجديد أو تغيير في مباديء التوحيد الإسلامي أو في أهداف الإنسان التي تحددها هذه المباديء، كما أنه لا يجوز بأي حال من الأحوال التحريف في شريعة الله عز وجل بالزيادة أو بالنقصان أو بالتغيير أو بالتبديل، لأن هذا كله ليس سوى دين الله عز وجل، وأي تغيير أو تحريف في دين الله المتمثل في القرآن الكريم والسنة، بل أي محاولة في هذا المضمار كبرت أو صغرت هي كفر بواح وخروج عن الملة.

إنما التجديد الوارد في الحديث الشريف والمنسوب لمن يبعثه الله تعالى على رأس كل مائة هو تجديد لدين الأمة بمعنى اسم المفعول أي التزام الأمر بالدين، وليس لدين الله عز وجل.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة ح٤٢٩١، والطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك ٥٢٢/٤ وسكت عليه وكذلك الذهبي، وقال السيوطي عنه في كتابه التنبئة بمن يبعثه الله على رأس المائة : واتفق الحفاظ على أنه حديث صحيح، عن كتاب المجددون في الإسلام / أمين الخولي ص٦٧.

فإذا تذكرنا ما توصلنا إليه في الفصل السابق في التمييز والتفريق بين الدين المنسوب لله عز وجل الذي هو متمثل في القرآن الكريم والسنة والدين المنسوب للأمة الذي هو تعبير عن حالها وواقعها المعاش في عصر من العصور أو مجتمع من مجتمعاتها، لوضح لنا على الفور أن دور المجدد ليس في إحداث تغيير في الإسلام بالمعنى النموذجي المثالي المنزل من السماء قرآنا وسنة الذي هو دين الله لأنه يكون بذلك تحريفا وليس تجديدا وإنما يكون هذا الدور متمثلا في إحداث التغيير في دين الأمة أي في واقعها المعاش الذي يكون قد تباعد وانفصل وافترق عن دين الله المنزل من السماء.

ومن ثم يكون معنى التجديد إذن بالضرورة هو إزالة هذا التباعد والانفصال ورتق هذا الافتراق بينهما.

وهذا يقتضي إحداث تغيير في واقع الأمة لكي يعود مطابقا بقدر الإمكان لدين الله تعالى في القرآن الكريم والسنة وهذا هو الهدف العملي الأول والرئيس من الدعوة بل هو الهدف المباشر للتبليغ.

وهذا ما أعلنته ولازالت تعلنه جميع الدعوات الحديثة والمعاصرة، الهدف الأول الذي يسعى إليه الجميع ويعلنونه ويتفقون عليه ولا يختلفون فيه.

وهذا الهدف العملي للدعوة الإسلامية هو الهدف المناسب لمجتمعات الأمة الإسلامية قبيل وبعد سقوط الخلافة الإسلامية في الربع الأول من القرن العشرين الميلادي.

وذلك لأن ضعف الخلافة وتدهورها المستمر خلال أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وسقوط كثير من أقاليم الأمة الإسلامية تحت سيطرة الصليبيين: بريطانيين وفرنسيين وإيطاليين وغيرهم

من الأوربيين أدى إلى ضياع عزة المسلمين وكرامتهم، ثم انتهاء الحال بسقوط الخلافة وانفراط عقد الأمة وتفسخ وحدتها كل هذا دعا كثيرا من كبار العلماء ورواد الدعوة في هذا العصر إلى التفكير في العوامل والأسباب الرئيسة التي أدت إلى تدهور حال المسلمين على هذا النحو.

وانتهوا جميعا إلى أن هذا التدهور الحضاري والضعف الذي عليه المسلمون إنما هو نتيجة لترك كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ومخالفة الواقع المعاش للأمة وأنظمتها الخلقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية لدين الله عز وجل.

أما العوامل الخارجية المتمثلة في مخططات الأعداء فهي عوامل ثانوية، بل إن جوهر مخططات هؤلاء تهدف في المقام الأول لإبعاد الأمة عن دين الله عز وجل فلما بعدت استمرت هذه المخططات الخفية والسافرة للحيلولة دون رجوع المسلمين إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

بيد أن هدف التبليغ في عهد النبوة ثم في عهد الصحابة يختلف عن هدف التبليغ في عصرنا الحاضر حيث كانت في عهد النبوة لإنشاء المجتمع الإسلامي والخلافة الإسلامية، ثم من أجل انتشارها في كل الأرض، أما في عصرنا الحاضر فإن الدعوة لها هدف آخر وهو إعادة البناء الذي أصابه الهدم في كثير من جوانبه وليس إنشاء بناء جديد كما فعل رسول الله ﷺ وصحابته من بعده، وإصلاح البناء وترميمه وتجديده ليس كإنشائه لكنه على أي حال لا يتم إلا بالتغيير أو هو نوع من التغيير، أو بالأحرى هو التعديل والإصلاح، ذلك هو هدف التبليغ العملي الأول كدعـوة الحق في عصرنا الراهن.

أهم دعوات التجديد في العصر الحديث وأهدافها

مما سبق تبين لنا أن الدعوة التجديدية لدين الأمة هي الدعوة التي

تنادي بعودة المسلمين إلى الحياة وفق منهج القرآن الكريم والسنة وطبقا لتعاليم وأحكام الشرع الحنيف.

ولو كان بروز الهدف بهذا الشعار العام كافيا وحده لكي يتحقق لما وجدنا أي خلاف بين جماعات الدعوة أو روادها أو مدارسها لا في المناهج ولا في الأهداف ولكن الملاحظ أن ثمة جماعات عديدة ظهرت لكل منها مناهجها ووسائلها وأساليبها في الدعوة، بالرغم من اتفاقهم على هذا الهدف الهام.

فما هي عوامل تعدد واختلاف مدارس الدعوة وجماعات الدعوة ومناهج الدعوة، هذا الاختلاف أو التعدد الذي هو واقع تعيشه الأمة بالرغم من اتفاقهم على غاية عامة عملية تطبيقية واحدة هي العودة للحياة وفق القرآن والسنة.

للإجابة عَنْ هذا السؤال: يلزم أن نعرض لجهد المجدد العلمي والدعوي لأن هذا الجهد وما ينتج عنه من اجتهاد فكري هو الذي يحدد مسار دعوته التجديدية واتجاهها.

إن كل مجدد للأمة أمر دينها هذا الذي يبعثه الله تعالى على رأس كل مائة سنة مزودا بمواهب وقدرات خاصة يمده بها الله عز وجل من حيث كونه مبعوثا مؤيدا من الله تعالى شأنه في هذا شأن الأنبياء الذين يعدهم الله تعالى ويزودهم بالإمكانات والقدرات الذهنية والنفسية التي تمكنهم من أداء الأحمال المنوطة بهم، هذا مع أن المجدد بالقطع ليس نبيا، لأنه لا نبوة على الإطلاق بعد المصطفى الخاتم ﷺ، ولكن لأن المجدد (يبعثه الله) كما نص على هذا الحديث الشريف فهو إذن قد اختاره الله تعالى على علم للقيام بمهمة تجديد الدين.

ومهمة المجدد: هي النظر في واقع المسلمين المعاصر له على

المستوى المحلي الذي يعيش فيه، وعلى مستوى الأمة كلها، وفي الظروف الدولية والعالمية السائدة من أجل تشخيص الأمراض والانحرافات توطئةً لوضع الحلول المناسبة لها.

ولأن الهدف العملي العام: هو إعادة الأمة إلى القرآن والسنة، فإن مهمة المجدد الأولى تكون علمية بيانِيَّةً بغرض فهم الواقع المريض، وتشخيص المرض، ثم الرجوع إلى الوحي لاستخلاص ما فيه الشفاء من هذه الأمراض النفسية للأفراد، والاجتماعية للمجتمعات.

ثم تكون المهمة في المرحلة التالية هي بدء دعوة المجدد لمن حوله وإقناعهم بما انتهى إليه تشخيصه وبما توصل إليه من علاجات استخلصها من الكتاب والسنة وتجارب المسلمين السابقة في القرون الثلاثة الأولى في شتى مناحي الحياة: علمية وخلقية واجتماعية وسياسية واقتصادية وتربوية وغيرها.

فإذا اقتنع به نفر من العلماء والدارسين والخاصة من المؤهلين نفسيا لتحمل تبعات الدعوة وتلقوا منه تفصيلات اجتهاده بأدلتها صاروا هم حملة الدعوة معه ثم حملتَها من بعده.

وعلى هذا فالمرحلة الدعوية الثالثة لعمل المجدد هي تبليغ اجتهاده العلمي لتلاميذ يحملون دعوته ويعملون على نشرها معه ومن بعده.

ومن ثم فكل دعوة تجديدية لها صبغتها الخاصة التي تتميز بها عن غيرها في العصور السابقة واللاحقة.

وذلك لأن لكل قرن أو عصر انحرافاته وأمراضه ومشاكلة وثقافته العامة التي تخالف غيره من العصور، وبالتالي يكون العلاج المستخلص من الكتاب والسنة لدعوة ما مختلفا عن علاجات الدعوات الأخرى وتلك هي علة الاختلاف الرئيسة بين غايات ومناهج الدعوات التجديدية بالرغم من الاتفاق على العودة للكتاب والسنة.

وهذا التحليل يبدو واضحاً جلياً ويؤكده تاريخ الدعوات التجديدية وسيرة من اتفق العلماء على أنهم مجددون على رأس المائة التي عاصروها أو من رأي أكثر العلماء أنهم مجددون[1].

ففي القديم اتفقوا على أن الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله هو مجدد دين الأمة إذ كانت قاعدة البناء الاجتماعي للأمة بخير بينما دب الفساد في المترفين والأمراء الأمويين وأنظمة الحكم فكان المجدد حاكماً وقد ساعده على إعادة نهج الخلافة الراشدة في أيام معدودة بعد انعقاد البيعة له سلامة القاعدة وغلبةُ الإيمان على المسلمين فجدد أسلوب الحكم ونهجه بأن أعاد سيرة ونهج الصحابة والخلفاء الراشدين أي أنه أحال الحكم إلى الكتاب والسنة كما طبقه القرن الأول.

وقالوا أيضا: إن أبا الحسن الأشعري رحمه الله مجدد قرنه إذ قوَّم اعوجاج المعتزلة العَقَدي إذْ كشف انحرافاتهم الكلامية وقمع فتنتهم بسلاحهم، وصحح منهج التفكير لديهم الذي كان له خطره على الأمة، وإن كان وقع منه شيءٌ مخالف لاعتقاد أهل السنة والحديث، والله يغفر له.

كذلك يعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هو المجدد الذي أعاد للعقيدة صفاءها وأزال عنها ركامات الحضارات الوثنية التي دخلت عليها وقوم السلوك ونقى العبادات من البدع وجلَّى للمسلمين منهج التفكير القرآني الكريم وأعادهم إلى أصول الحضارة والفكر والثقافة الإسلامية الخالصة التي كان عليها أهل القرون الثلاثة الأولى.

وقبل سقوط الخلافة أظهرت دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد

---

(١) انظر كتاب السيوطي التنبئة ص ٦٩، وما بعدها ضمن كتاب المجددون في الإسلام للأستاذ أمين الخولي، طبعة النهضة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٢.

الوهاب في الجزيرة العربية أن الغاية من الدعوة هي إعادة الناس إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ بعد أن حدثت مخالفات جسيمة في الاعتقاد وبدع عظيمة في العبادات وانحرفات في المعاملات.

ولقد شخص الإمام **محمد بن عبد الوهاب** أمراض الأمة في هذا الوقت بأنها تكْمُن في: انتشار التصوف المنحرف بما يشتمل عليه من وثنيات وبدع وخرافات وتواكل وجمود حضاري وعقلي وتوسل بالأولياء الموتى وأضرحتهم وظهور مظاهر شركية كثيرة بين قبائل العرب وكذا في كثير من أقطار الأمة الإسلامية.

فأعلن أن نقطة البدء لتحقيق الهدف المعلن العام الذي يتفق عليه الجميع أي العودة إلى الكتاب والسنة هذا الهدف هو إصلاح العقيدة بالقضاء على مظاهر الشرك والوثنية التي تفشت في العامة والخاصة وقتئذ.

وذلك لأن المجدد إذ يعلن ضرورة العودة إلى الكتاب والسنة باعتباره الهدف العملي التطبيقي العام لدعوته فإنه يتوجب عليه أن يجيب عَنْ سؤال يتوقعه من الأتباع والتلاميذ هو كيف نعود للكتاب والسنة؟

وبماذا نبدأ؟ وبماذا نثني...؟

ومن ثم يكون اجتهاد المجدد محصورا في بيان العلاج القرآني المناسب للواقع المريض الذي يعايشه، ويصبح هذا العلاج هو الأحق بالأولية في التطبيق لذلك كان اهتمامه الأكبر بالتوحيد باعتباره نقطة البدء التي يجب أن يفرغ الدعاة منها لكي يعيدوا المسلمين إلى التوحيد الخالص من كل شوائب الشرك العملية والقولية والقلبية قبل أن يعطوا أي اهتمام آخر للأمور الفرعية، ولا يعتبر هذا في نظر تلاميذه انتقاصا من الدين، بل هو المنهج الصحيح في البناء.

وبدون صلاح الأصل لا ينصلح الفرع، ولذلك لا نجد في دعوته

اهتماما بارزا بقضايا هامة أخرى مثل نظام الحكم وجهاد الأعداء الخارجين على الأمة وإقامة الخلافة الإسلامية، وليس معنى هذا أنه ينكرها أو يخالف فيها الكتاب والسنة، ولكنها لم تبرز عنده باعتبار أن علاجات الأمراض تستوجب احتلالها الأهمية اللائقة بها وما ذلك إلا لأن هذه الأمور لم تكن تشكل انحرافا بارزا في عصره فبعد أن اعتنق الإمام ابن سعود دعوته وسخر لها سيفه وجاهد معه لمحاربة الشركيات والبدع لم تكن ثمة مشكلة حكم أو أزمة دولة قائمة في الواقع المعاش المعاصر للإمام **محمد بن عبد الوهاب** ومن ثم لم تحتل قضايا الحكم الإسلامي والدولة الإسلامية والخلافة الإسلامية والصراع الإسلامي الجاهلي العالمي الأهمية التي تستوجبها الأحداث التاريخية اللاحقة لعصره.

بيد أن الملاحظ أن أتباع أي من المجددين من أهل الجيل الثالث أو الرابع من بعده عادة ما يقعون في خطأ نتيجة تقليد الإمام وهذا عادة ما يكون بحسن نية ويتمثل في ظنهم أن المجدد قد رسم لهم بدعوته وبكتبه وبآثاره وأقواله وأعماله وسيرته الطريق للتطبيق الكامل التام لدين الله عز وجل.

وهذا غير صحيح لأنه في الواقع لم يُعْنَ إلا بأمراض واقعه المعاصر له هو، ومن ثم أبرز علاجاتها من غير أن يبرز أو يؤكد سائر تعاليم الإسلام في جوانب الحياة الأخرى، التي لم ير إمامهم ضرورةً لإبرازها لانشغاله بما هو قائم ومنتشر من الانحرافات والأمراض الأخطر من غيرها الأمر الذي جعل علاجها أمرا ملحا وعاجلا عن علاج غيرها، لأن أهم جهد فكري للمجدد يتمثل في فهمه الصحيح لواقع الأمة المريض وتشخيص المرض ومن ثم يبني عليه اختياره الصحيح لأولويات العمل الدعوي على المستوى العَقَدي والفكري وعلى مستوى النظم الاجتماعية وكذا على مستوى السلوك الخلقي، وأيضا على مستوى العلاقات الخارجية.

ولكن بمجيء الجيل الرابع بعد المجدد يكون الواقع الاجتماعي للأمة قد تغير، وربما يكون قد تخلص من بعض الانحرافات التي رسم المجدد علاجها بينما ظهرت أنواع أخرى من الأمراض والانحرفات تستوجب تشخيصا وعلاجا آخر، ولكن الأتباع جيلا بعد جيل نتيجة التقليد الذي غلب على أحوال البشر يتمسكون بنفس الدعوة وتعاليمها وكتبها في الوقت الذي ربمالم تعد فيه تصلح علاجا للانحرافات الجديدة، ومن ثم تصبح هذه الدعوة التي يكون قد مضى عليها قرابة المائة عام باعتبار أن عمر الجيل الواحد قرابة خمسة وعشرين عاما تصبح كالدواء الخطأ الذي يوصف للمريض لا يفيده إن لم يكن به ضرر.

ولهذا كله كان من فضل الله تعالى ورحمته للأمة أن يبعث المجدد على رأس كل مائة، لأن المجدد السابق لم تعد دعوته صالحة لتحقيق الغاية العامة من الدعوة وهي العودة بحياة الأمة إلى الكتاب والسنة.

الفصل السابع
حركات الدعوة التجديدية في العصر الحديث

أما في العصر الحديث فقد برزت أمراض وانحرافات ومخالفات لدين الله عز وجل لم تكن موجودة من قبل علاوة على كثير من ركامات العصور السابقة.

لقد ظهرت في أقطار الأمة الإسلامية دعوات تجديدية محلية لم يكتب لها الانتشار خارج أوطانها، وأخرى تخطت الحدود الإقليمية إلى العالمية.

ونظرا لأن هذا العهد هو عهد الاستعمار الصليبي فإن كثيرا من هذه الدعوات كانت جهادية لمقاومته ولتحرير أوطان المسلمين من جيوشه.

لقد احتلت انجلترا خلال القرن التاسع عشر السند المسلمة وقضوا على دولة المغول المسلمة في الهند واحتلوا الملايو وعدن، وبسطوا حمايتهم على البحرين ومسقط وعمان ومضيق هرمز وإيران والكويت والعراق،واحتلوا مصر والسودان وفلسطين وإيران، واحتلت فرنسا خلال نفس القرن الجزائر وتونس والسنغال والنيجر وساحل العاج وسوريا ولبنان واحتلت إيطاليا ليبيا وأرتيريا.

واحتلت هولندا أندونيسيا واقْتَسَمتْ مع انجلترا جزيرة بُورنْيُو حيث أخذت هذه الأخيرة القسم الشمالي وأخذت هولندا القسم الجنوبي.

واحتلت روسيا القوقاز وطشقند وسمرقند وبخارى وأوزبكستان وطوكند وطاجكستان وغيرها ولم يعد هناك وطن من أوطان العالم الإسلامي إلا وقد أصبح إما تحت الاحتلال العسكري المباشر، وإما تحت الحماية الاستعمارية، ومن ثم ظهرت الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي لمقاومة هذه الحملة الصليبية الجديدة فظهرت في كل إقليم حركات التجديد الجهادية لطرد الصليبيين من ديار المسلمين.

بيد أن أول حركات التجديد وهي دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية لم تكن مقرونة بمقاومة الصليبيين وإنما كانت بواعثها مقاومة الانحرافات العقدية والبدع وآثار التصوف السيئة التي غزت الجزيرة وأوطان العالم الإسلامي بصفة عامة.

ومن ثم لم تكن هذه حركة مثل غيرها من الحركات الجهادية التي قامت للرد على الغزو الصليبي وتحرير بلاد الإسلام منه، وإنما كانت دعوته تجديدية ويعتبر الإمام محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ ـ ١٢٠٦ هـ / ١٧٠٣ ـ ١٧٩١م) مجدد المائة الثانية عشرة ولا يختلف مؤرخو وعلماء الإسلام المحدثون حول هذه الحقيقة خاصة وأنه ولد على رأس القرن الثاني عشر وتوفي على رأس القرن الثالث عشر الهجري.

كما ظهرت دعوات أخرى مع مجيء القرن الرابع عشر الهجري الموافق التاسع عشر الميلادي وهو الذي حدث خلاله الاحتلال الصليبي للعالم الإسلامي ومن ثم قامت الدعوات التجديدية في أقطار إسلامية كثيرة لإحياء الإسلام وللجهاد في سبيل الله لطرد الصليبيين.

فظهرت الحركة المهدوية في السودان والسنوسية في ليبيا وحركة التبليغ وندوة العلماء في الهند ودعوة الإخوان المسلمين في مصر.

وقامت جمعية العلماء المسلمين الإصلاحية في الجزائر بمهمة تجديد

الدين في تلك الديار التي حاولت فرنسا القضاء على الإسلام واللغة العربية فيها.

كما ظهرت الدعوة النورسية بقصد الحفاظ على الإيمان في مواجهة مخططات أتاتورك التي نجحت إلى حد غير قليل في القضاء عليه بين نفوس كثير من الأتراك، وفي باكستان قامت الجماعة الإسلامية ولازالت حتى الآن.

ونتيجة لهذه الدعوات التجديدية قامت حركات جهادية عسكرية مسلحة ضد الاستعمار الصليبي، **فقام عبد القادر الجزائري** في الجزائر، وعمر المختار في ليبيا، وأحمد عرفان وسلطان تيبو في الهند[١].

وقام الحاج **محمد أمين الحسيني** على رأس المجاهدين في فلسطين ضد الاحتلال الصهيوني.

كما جاهد الإخوان المسلمون ومعهم أحزاب وطنية أخرى ضد المستعمر الإنجليزي في مصر.

أهم الدعوات التجديدية وأهدافها

علة اختلاف الأهداف التطبيقية بين الدعوات التجديدية هي أن هذه الأهداف تعتبر الوسائل التي رأى المجدد أنها السبيل لإعادة الناس في مجتمعه وزمانه إلى القرآن الكريم والسنة.

وحيث أن لكل مجدد ظروفه التاريخية ومجتمعه الذي يختلف عن الآخر فإن اختلاف السبل يكون أمرا متوقعا بل ويكون لازما وحتميا أيضاً.

وإذا كنا قد علمنا أن الغاية العليا للدعوة الإسلامية في كل زمان ومكان واحدة وهي الدعوة إلى الله تعالى، فإن السبل لإعادة الناس إلى الله

---

(١) انظر كتاب الصحوة الإسلامية للدكتور عدنان على رضا النحوي ص٦٥ وما بعدها.

تعالى تختلف باختلاف الأزمان والأقطار والثقافات والمعوقات.

ولكن هذه الغاية الواحدة ضمنت غايات أخرى واحتوتها منها التبليغ والإيمان والتوحيد والجهاد وإقامة شرع الله تعالى وحكمه وكل هذا لنيل المغفرة والجنة والفوز بالرضوان ورؤية الله تعالى في الآخرة وهذه الأخيرة هي غاية الدعاة أما غايات الدعوة الخمس فقد توزعت باعتبارها أهدافا تناولت كل دعوة من الدعوات التجديدية الرئيسة في العالم الإسلامي واحدة منها وجعلتها الهدف الاستراتيجي الذي تسعى إليه من دعوتها.

فدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى قامت لتنقية العقيدة وإعادة التوحيد إلى صفائه السلفي وكذا تخليص العبادات من المظاهر الشركية والبدع التي تراكمت بسبب الجهل عبر قرون طويلة، ومن ثم فقد جعلت هدفها الرئيس الإيمان بالله تعالى واحدا لا شريك له في ألوهيته وربوبيته، وفي أسمائه الحسنى وصفاته العليا كما وردت في القرآن والسنة على منهج السلف، وهذا تطبيق لهدي النبي ﷺ.

ودعوة الإمام حسن البنا في مصر والمودودي في باكستان جعلا الهدف الرئيس الحكم بكتاب الله تعالى وإقامة الدولة الإسلامية التي تقيم شرعه عز وجل وتنبذ سائر القوانين الوضعية وهذا هو التطبيق العملي لهذه الغاية.

وجماعة التبليغ قصرت هدفها العملي التطبيقي على البلاغ كما سنرى وهو تطبيق لهذه الغاية.

ودعوة النورسي في تركيا قصرت هدفها على المحافظة على الإيمان بالله عز وجل وهو أمر فردي نفسي أي أنه جعل هدفه إنقاذ الإسلام وهذا تطبيق لهذه الغاية.

أما الجهاد في سبيل الله تعالى فقد صاحبت بعض هذه الدعوات التي

صار الجهاد بالنفس فيها واجبا عينيا بسبب الاحتلال الصليبي، فقامت حركات مسلحة فدائية ضد الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين بقيادات وعناصر عسكرية تتلمذت في هذه المدارس التجديدية.

الدعوة النورسية في تركيا وهدفها المحافظة على الإيمان

مؤسسها هو الشيخ سعيد النورسي (١٨٧٣ ـ ١٩٦٠)، الملقب ببديع الزمان، ألف جمعية الاتحاد المحمدي في عام (١٩٠٨) بعد إطاحة جمعية الاتحاد والترقي بالسلطان عبد الحميد متسترين خلف شعار (الوحدة ـ الحرية ـ الإصلاح) وجعل هدف جمعيته كشف حقيقة جمعية الاتحاد والترقي باستخدام نفس شعاراتهم بالمفهوم الإسلامي حتى يفضح حقيقة الاتحاد والترقي الماسونية.

لما حاول مصطفى كمال أتاتورك استمالته وإغراءه ليكون في صفه مؤيدا له قال عبارته (أعوذ بالله من الشيطان والسياسة) وعكف على العبادة والتربية وصقل النفوس، ومما أعلنه موضحا هدفه الرئيس من دعوته (عصرنا هذا هو عصر حفظ الإيمان لا حفظ الطريقة، إن كثيرين هم أولئك الذين يدخلون الجنة بغير طريقة ولكن أحدا لا يدخل الجنة بغير إيمان)[1].

لقد كانت دعوة النورسي إذن رد فعل لحركة التغريب التي استهدفت الإيمان بالله تعالى في النفوس والإسلام في المجتمع التركي لكي تجتثهما وتقضي عليهما تماما، ومن ثم جعل هدفه الاستراتيجي مجرد المحافظة على الإيمان، وترك من أجل هذا الهدف لأعدائه الصراع في ميادين أخرى وعلى رأسها السياسة.

---

(١) اقرأ ترجمة (أتاتورك) ومحاولة استمالة أهل الدين في كتاب (الرجل الصنم)، ففيه كشف لهذا الرجل وأصوله، وبلاياه.

لذا وصم البعض دعوته بأنها صوفية روحانية فهي سلبية ناقصة لم تقدم الإسلام للناس كاملا، بيد أن هذا مثل تطبيقي لما سبق أن ذكرناه من أن المجدد يتمسك بهدف استراتيجي يرى أنه الأهم الذي يجب أن يستخرج لتحقيقه من الكتاب والسنة ما يجعله يبرز منهما ما يساعده على ذلك، وكانت معركة النورسي مع العلمانية قاسية رأى فيها خطر اجتثاث الإسلام من جذوره فجعل هدفه الأعلى المحافظة عليه عبر الأجيال، وأغلب الظن أنه نجح في تحقيقه بدليل استمرار الإسلام والإيمان في تركيا حتى الآن، بل وبدليل قيام حزب السلامة التركي الذي دخل معترك السياسة من منطلقات العقيدة الإسلامية وعناصر هذا الحزب وأكثرها ممن تتلمذوا على دعوة النورسي رحمه الله.

لقد تماثل الهدف التطبيقي لكل من دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ودعوة سعيد النورسي فهو بالنسبة للأولى إنقاذ المسلمين من الشرك وضياع التوحيد، وبالنسبة للثانية إنقاذهم من الكفر وضياع الإيمان، وقد رأينا أن الإيمان بالله تعالى والإسلام له عز وجل هو من أول غايات الدعوة الإسلامية، بل هو أهم هذه الغايات، أو هو بالأحرى مجمع هذه الغايات جميعاً.

التبليغ هدف تطبيقي عملي لجماعة التبليغ الهندية

أسس دعوة التبليغ الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (١٣٠٣-١٣٦٤هـ) نسبة إلى قريته كاندهلة من قرى مقاطعة سهارنفور بالهند، تلقى تعليمه في دلهي ثم في مدرسة ديوبند.

وخلفه في رئاسة الجماعة من بعده ابنه الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (١٣٣٥ هـ / ١٩١٧ م - ١٩٦٥ م) الذي ألف كتاب **(أماني الأخبار في شرح معاني الآثار للطحاوي)** كما اشتهر كتابه **(حياة الصحابة)**.

أما شيخ الجماعة الثالث بعد وفاة الشيخ الثاني فهو إنعام الحسن وقد توفي منذ فترة رحمهم الله تعالى.

لقد جعلت هذه الجماعة الهدف التطبيقي الرئيس لحركتها ونشاطها كله هو التبليغ ورسمت لتحقيق البلاغ نهج الخروج والانتقال بالسفر إلى الناس في القرى الأخرى وفي الأقاليم الأخرى وفي الأقطار الأخرى وحتى إلى القارات الأخرى.

فالخروج عندهم منهج لتربية الدعاة وصقلهم عمليا لأنه يشعر عند القيام بالدعوة بأنه قدوة وأن عليه الالتزام بما يأمر الناس به، والانتهاء وترك ما ينهى الناس عنه، وعندهم تعليمات يجب على الداعي الالتزام بها في الخروج منها:

١ - **تعزم مجموعة منهم على الخروج** إلى قرية أو مدينة ما فيأخذ كل منهم متاعه البسيط وما يكفيه من المال للانتقال والزاد على أن يلتزم الداعية بالبساطة والتقشف.

٢ - **رفض إجابة الدعوة للولائم** التي توجه إليهم من أهل البلدة أو الحي حتى لا ينشغلوا بغير أمور الدعوة والذكر، وحتى يكون خروجهم خالصا لوجه الله تعالى، ومن ثم فهم يبيتون في المساجد عادة.

٣ - **بعد وصولهم للمكان المتفق عليه يتعاونون في تنظيف مكان المبيت** والخروج لمعرفة أماكن الحوانيت والالتقاء بالناس ودعوتهم لسماع ما يسمونه بالبيان بعد صلاة الجماعة.

٤ - **بعد سماع البيان يطلبون من الحاضرين الانتظام في عدة حلقات** يقوم كل داعية منهم بتعليمهم الوضوء والصلاة ويقوم بتحفيظ الفاتحة وبعض السور القصيرة لمن لم يحفظها حتى يتمكن من أداء الصلاة، وتظل هذه الحلقات معقودة بعد صلاة العصر مثلا كل يوم من أيام الخروج.

٥ - **يشرحون للناس طريقتهم في التبليغ** وينتدبون منهم من يخرج معهم ويرافقهم يوماً أو ثلاثة أو أكثر كل حسب طاقته وظروفه الخاصة ويعتبر من يلبي الدعوة للخروج ويواظب عليها بعد ذلك ويستمر من دعاة التبليغ بعد ذلك.

٦ - **أساس منهجهم الدعْوي** الفكرة القائلة إن إصلاح الأفراد سيؤدي حتما إلى إصلاح المجتمع وإقامة الإسلام كاملاً.

لذا فهم يجعلون هدفهم الأقصى هو تبليغ الأفراد لإصلاحهم، ونظرا لأن التبليغ هو هدفهم الأقصى فإنهم يرفضون كل ما يؤدي إلى إعاقتهم عن هذا الهدف أو منعهم من أدائه، **وأهم المعوقات هي**:

١ - **التعرض للأمور السياسية** مما يثير الحكام ضدهم، وخوفا من أن يمنعهم الحكامُ من الخروج أو من دخول البلاد التي يرغبون الخروج إليها، لذا فقد جعلوا من مناهجهم الرئيسة في الدعوة منع الكلام في السياسة ونهي الأفراد والدعاة عن الخوض فيها وفي مشاكلها وفي الأحداث السياسية عموماً، وينتقدون من يفعل ذلك وينهونه ويزجرونه.

وهم يفتخرون بهذا المبدأ الذي استطاعوا نتيجة الالتزام به الخروج لجميع بلاد المعمورة بما فيها بلاد الاتحاد السوفيتي الذي كان يعلى من الإلحاد مبدءا شرعيا دستوريا لكل البلاد الخاضعة لسلطانه.

٢ - **لا يتعرضون للمنكر** سواء باللسان أو باليد مبررين هذا السِّلْمَ الدعوي بأنهم لا زالوا في مرحلة إيجاد المناخ الملائم للحياة الإسلامية، وأن مجابهة كل منكر يقابلهم أثناء خروجهم أو في حياتهم العادية من شأنه أن ينفر الناس منهم ويضع العراقيل في طريقهم فلا يستطيعوا التبليغ وحجتهم في هذا أنهم يقتلعون جذور المنكر بتوسعهم في تبليغ الإسلام

فهم ليسوا متنكرين لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنما هم يعمدون إلى قلع المنكر من جذورة بتبليغ الإسلام.

٣ - وفي المقابل فإنهم يعتمدون أسلوب الترغيب والترهيب والتأثير العاطفي الحماسي، وقد نجحوا بالفعل في استمالة كثير من المسلمين الغافلين إلى الالتزام والعبادة فنَزعُوهم من حياة الملذات والهوى والآثام إلى حياة العبادة والذكر والدعوة والخروج للتبليغ، بل لقد نجحوا في أحيان كثيرة في إدخال كثير من غير المسلمين في دين الله عز وجل وتعتبر دعوة التبليغ الآن من أنجح الدعوات وأكثرها انتشارا في بلدان العالم الإسلامي وهي في نمو مطرد وبخاصة بين أوساط العامة ومحدودي الثقافة والتعليم.

أما المباديء التي رسمها الشيخ المؤسس لدعوته فهي الستة التالية:

١- الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

٢- إقامة الصلوات.

٣ - العلم مع الذكر.

٤ - إكرام كل مسلم.

٥ - الإخلاص.

٦ - النَفْر في سبيل الله.

ويقصد بهذه الأخيرة **الخروج**، أما **الإخلاص** فيقصد به ابتغاء وجه الله تعالى من العمل وبخاصة الخروج للتبليغ.

وإكرام كل مسلم هو مبدأ خلقي يتعاملون به مع الناس الذين يكونون في قريتهم أو حيهم خلال الخروج إذ يحرصون على تقديم المشروبات أو الوجبات لهم بالرغم من أنهم هم الوافدون عليهم، وهم يفعلون هذا

لتحبيب الناس فيهم، والإقبال للاستماع إلى بياناتهم، **فهو** يخدم هدف التبليغ، وكذلك العلم والذكر مما يساعد في تحقيق هذا الهدف، كما أن الذكر تربية للنفس تؤهلها لذلك أيضاً.

وصياغة المبدأ الأول تدل على أنهم يخرجون لتبليغ الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله، إلا أنهم يقصرون ذلك على الربوبية بشرحهم لها أنها إخراج اليقين الفاسد من القلب ولا يهتمون في دعوتهم لها بمعناها الصحيح وهو تقرير ألوهية الله وتوحيده بها وعليه فإذا كانت هي الغاية من البلاغ فإنها تكون بمفهوم دعوة التبليغ ومن خلال المباديء الخمسة التي تليها.

ولكن نظراً لأن الهدف التطبيقي الأعلى لهذه الجماعة هو التبليغ فإن عنايتهم بأسلوب البلاغ ومنهجه لا تقل أهمية عندهم عن عنايتهم بالغاية من البلاغ والتبليغ، ومن ثم استحقت تسمية جماعة التبليغ.

ونظراً لما أعلنته هذه الدعوة من عزوف عن النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية فقد بدا للبعض أنه قد غلب عليها طابع التصوف، وقد أخذ آخرون عليهم بعض انحرافات ومآخذ الصوفية وبخاصة في الهند.

لكن يبدو أن مبدأ إصلاح الفرد أولا قبل إصلاح المجتمع، أو عن طريق الأفراد يتم صلاح المجتمع؛ هو الذي أصابهم بما أخذه عليهم غيرهم.

إن الهدف التطبيقي الرئيس لهذه الدعوة: هو التبليغ المحقق للبلاغ، وقد توصلنا في المبحث السابق إلى أنه ليس هدفا نهائيا وإنما هو وسيلة

لتحقيق غايات وأهداف أخرى لكن هذه الجماعة جعلته هدفا رئيسيا معتقدين أن الاقتصار على هذه الغاية هو ما يكلف الله تعالى به الإنسان. ولعل الشيخ محمد إلياس رحمه الله قد أصاب كثيرا بطريقته هذه في الدعوة باعتبارها العلاج الناجع المناسب لجهل المسلمين في الهند بالمبادىء الأولية للإسلام، وهذا هو الذي يفسر لنا نجاح دعاة التبليغ في أوساط العامة الذين يحتاجون إلى معرفة المبادىء الأولى للإسلام وكيفية الصلاة والعبادات لأن حالة الجهل التام بالدين التي كان ولا يزال عليها عامة مسلمي الهند لها نظيرها في كثير من بلاد المسلمين وبخاصة بين الفلاحين الأميين والأحياء الفقيرة في المدن من الطبقات العمالية الكادحة.

ومن ثم يمكن اعتبار دعوة التبليغ مدرسة من مدارس الدعوة النافعة حققت أهدافها وآتت أكلها ثمارا طيبة ولا تزال تنهض باجتذاب العديد من عامة المسلمين إلى حظيرة الإيمان والعبادة علاوة على عدد مناسب من المثقفين الذين يقومون بالخروج ويشاركون في إلقاء بياناتهم والتبليغ، وكأنها تناظر مراحل التعليم الابتدائي في أنظمة التعليم الرسمية ومن ثم لها ضرورتها.

دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب بجزيرة العرب وهدفها الأعلى التوحيد

*** تمهيد:**

تميز عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بانتشار الكثير من الآفات العقدية والبدع في العبادات والمخالفات التشريعية في الأمة الإسلامية بعامة، وفي غرب الجزيرة بخاصة، مما جعل المسلمين يعيشون حياة بعيدة عن دين الله الخالص المنزل على رسوله المصطفى ﷺ: عقيدة وعبادات وعادات اجتماعية وأخلاقا فردية.

لقد وجد الشيخ محمد بن عبد الوهاب نتيجة لذلك كله من التباعد بين المسلمين في عصره وبين كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ما يخرج قطاعات كثيرة من شعوب الأمة الإسلامية وفئاتها من الملة لما آل إليه حالهم من المخالفات الجسيمة لمباديء التوحيد، هذه المخالفات التي عمقتها ونشرتها الطرق الصوفية الضالة التي أشاعت بين المسلمين كثيرا من عقائد وحدة الوجود الباطلة، فلم تقتصر المخالفات للشرع الحنيف على نواحي العبادات والسلوك الخلقي والعادات والمعاملات، كما كان الحال في عصور الإسلام السابقة على عصره، وإنما تمثل البلاء في ظهور المظاهر الشركية والكفرية التي تذكر بما كان عليه العرب في الجاهلية قبل بعث المصطفى ﷺ.

لذلك رأى الشيخ أن مهمته الإصلاحية أشبه ما تكون بمهمة المصطفى ﷺ مع الفارق بين شخص الرسول الكريم وشخصه، وإنما الشبه قائم من حيث مجاهدة الشرك والمشركين والبدء بإعادة الناس إلى فطرتهم التي فطرهم الله عليها عن طريق الجهاد بالبيان والدعوة باللسان، وأيضا بالسيف إذا اقتضى الأمر ذلك حتى يقتلع جذور الشرك ويقضي على مظاهره في أرجاء الجزيرة العربية.

تشخيص الشيخ محمد بن عبد الوهاب للآفات التي أصابت الامة وذلك حتى عهده في رسالته "مسائل الجاهلية".

عدد الشيخ رحمه الله أكثر من مائة وعشرين مسألة من مسائل (الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأميين)[1] بقصد تحذير المسلم من الوقوع في بعضها ومحذرا من استحسان بعضها لأنه (تام الخسارة) أي أنَّ الكفر الأكبر المخرج من الملة إنما يكون في (عدم قبول القلب لما جاء به الرسول ﷺ الأمر الذي يستتبع في نفس صاحب هذا القلب استحسانا لأمور الجاهلية، فيصير هذا منه إيمانا بالباطل وكفرا بالله)، كما قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[2].

ثم أخذ الشيخ رحمه الله في ذكر مسائل الجاهلية مبتدئا بما يراه الأخطر على التوحيد ثم الذي يليه.

ولما كان دعاء الصالحين وطلب شفاعتهم عند الله والنذر لهم والذبح عند قبورهم وأضرحتهم هو من الشرك الأكبر الصريح، فقد جعل الشيخ هذه المسألة من أولى مسائل الجاهلية التي حدثت في الأمة كما كان يفعل أهل الجاهلية عند أصنامهم، وأصبحت تحدث عند الأضرحة المنسوبة للصالحين سواء بسواء، فقال رحمه الله:

المسألة الأولى: "أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين" في دعاء الله وعبادته يريدون شفاعتهم عند الله لظنهم أن الله يحب ذلك، وأن الصالحين يحبونه، كما قال تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ

---

(١) مسائل الجاهلية، ضمن مجموعة رسائل للشيخ محمد بن عبد الوهاب من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب إصدار جامعة الإمام محمد بن سعود القسم الأول ص٣٣٣، وما بعدها.

(٢) العنكبوت: ٥٢.

﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾(١)، وقال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾(٢).

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ، فأتى بالإخلاص، وأخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل(٣).

ثم ذكر الآفة الثانية من الآفات الجاهلية التي أصابت المسلمين في عهده وهي "الفرقة في الدين" كما كان أهل الجاهلية متفرقين في دينهم ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾(٤)، فنهى الله تعالى عن التفرق في الدين بقوله ﴿. . . . أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾(٥).

وكذلك نهى الله عن التفرق في الدنيا بقوله ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾(٦)، **ولا يتم هذا إلا بالسمع والطاعة والنصيحة لأولي الأمر،** والصبر على جور الولاة، وهذه الأخيرة آفة خطيرة انتشرت بين بعض القبائل إذ يعتبرون السمع والطاعة لولي الأمر ذلاً ومهانة وعدم الانقياد له فضيلة وكرامة.

وهذه المسائل الثلاث هي التي جمع بينها رسول الله ﷺ فيما جاء في الصحيحين بقوله: "إن الله يرضى لكم ثلاثا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تُنَاصِحُوا من ولاه الله أمركم"(٧)، أي تخلصوا له وتسمعوا وتطيعوا في غير معصية الله تعالى.

---

(١) يونس: ١٨.

(٢) الزمر: ٣.

(٣) مسائل الجاهلية، مؤلفات الشيخ، القسم الأول ص٣٣٣.

(٤) الروم: ٣٢.

(٥) الشورى: ١٣.

(٦) آل عمران: ١٠٣.

(٧) رواه البخاري كتاب في الاستقراض، باب ما ينهى عن إضاعة المال، ح٢٤٠٨، ومسلم كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل ح١٧١٥.

ثم يقول الشيخ معقبا على هذا الحديث مبينا أن الناس قد اختل دينهم في هذه الأصول الثلاثة أي في التوحيد بدعاء الصالحين وعبادتهم وفي التمذهب والتفرق إلى فرق متعددة، وطرق صوفية مختلفة وفي كثرة الخروج على ولي الأمر ونقض طاعته.

وهكذا شخص الشيخ رحمه الله في هذه الرسالة أول وأهم أمراض الأمة في عهده، الأمر الذي استوجب منه وصف الدواء وهو الشق الثاني من مهمة المجدد بعد تشخيص الداء.

إن إبراز أكثر من مائة وعشرين مسألة من مسائل الجاهلية مع إثبات أنها أصبحت قائمة في حياة المسلمين استوجب منه بيانا بالأدلة من القرآن الكريم، والسنة على أن هذه المظاهر الشركية والبدعية في حياة الناس من الأمور التي بعث الله من أجلها خاتم الرسل ﷺ ليقضي عليها.

لقد طابق الشيخ في هذه الرسالة بين الجاهليات القديمة التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم عند أهل الكتاب وعند مشركي العرب الأميين وبين نفس الجاهليات أو ما هو قريب منها وشبيه بها بين قطاعات وفئات وشعوب وقبائل أمة الإسلام في عصره.

فذكر الغلو في الصالحين كما حدث من اليهود والنصارى كقوله تعالى ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾(١)، وذلك لغلوّ الناس في الأولياء والصالحين، وكذلك تفشى في الأمة الاعتذار عن أعمالهم الشركية بعدم الفهم كقول بعض السابقين من اليهود ﴿قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ﴾(٢)، وقول قوم شعيب ﴿يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾(٣).

---

(١) النساء: ١٧١.
(٢) البقرة: ٨٨.
(٣) هود: ٩١.

وذكر أيضاً نبذ كثير من المسلمين لكتاب الله وتعامُلهُم مع كتب السحر كما حدث في بني إسرائيل من قبل كما ذكر الله في قوله ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ . . .﴾[1].

وقد أدى هذا إلى اعتقاد كثير من الناس في مخاريق السحرة على أنها كرامات الأولياء فتعاملوا مع السحرة باعتبارهم أولياء لله تعالى، فأصبحوا مثل كهان اليهود ورهبان النصارى المضلين.

ومع انتشار الطرق الصوفية وأساليب الذكر الجماعي البدعية الإنشادية صارت عبادتهم أشبه ما تكون بعبادة أهل الجاهلية الذين كانت صلاتهم عند البيت مكاءً وتصدية، ومع انتشار الموالد حول الأضرحة وما يصاحب الاحتفالات والأعياد من لهو ولعب وغناء ورقص وموبقات صاروا كمن قال الله تعالى فيهم ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾[2].

وأصبحوا فرقا متعددة وطرقا مختلفة ولا تقبل كل جماعة إلا من شيخها من الحق إلا الذي مع طائفتهم لاعتبار أن ما مع الآخرين باطل كقوله تعالى عن اليهود ﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾[3].

وفسروا نصوص الكتاب بما يوافق مذهبهم وأضفوا عليها من المعاني ما ليس فيها، مثل تحريف أهل الكتاب لكتابهم من بعد ما عقلوه وهم يعلمون.

---

(١) البقرة: ١٠١ ـ ١٠٢.
(٢) ٧٠ / الأنعام.
(٣) ٩١ / البقرة.

وغر كثيراً منهم غناهم وجاههم وظنوا أن عطاء الله يدل على رضاه عنهم كقول السابقين ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[1].

كما أن كثيرا من الطبقات الغنية الحاكمة تنصلوا من دينهم وعاداتهم الإسلامية لأنهم وجدوا الضعفاء والفقراء والطبقات العاملة والمساكين متمسكين به فتركوه تكبرا وأنفة فصار حالهم مثل حال الذين نزل فيهم ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾[2].

وأصبحت كل فرقة وكل طريقة تزعم أنها الناجية وما سوها هالك فكذبهم الله تعالى بقوله ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[3].

ثم بين سبحانه الصواب بقوله ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[4].

وزادوا في العبادات ما ليس منها ولم يأمر الله تعالى به ولا رسوله كفعلهم يوم عاشوراء.

ونقصوا منها كترك الواجب وَرَعاً وترك الطيبات من الرزق وترك زينة الله التي لم يحرمها، وزعموا أنهم أولياء لله من دون الناس كما فعل اليهود، وزعموا أنهم يحبون الله مع تركهم شرعه فحق عليهم قوله تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[5].

---

(١) ٣٥ / سبأ.
(٢) ٥٢ / الأنعام.
(٣) البقرة /١١١، النمل /٦٤.
(٤) ١١٢ / البقرة.
(٥) ٣١ / آل عمران.

وانتهى الحال بكثير من عامة المسلمين إلى تمني الأماني الكاذبة مثل مقالة اليهود، وقالوا إنهم حتى إن دخلوا النار فسيخرجون منها ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾[1].

واتخذ المسلمون في شتى بقاع العالم الإسلامي كثيرا من قبور صالحيهم مساجد كما فعل اليهود والنصارى من قبل إذْ اتخذوا قبور صالحيهم مساجد.

وحولوا القبور إلى أعياد واتخذوا عليها السرج وذبحوا عندها، وتبركوا بآثار المعظمين وافتخروا بالأحساب وطعنوا في الأنساب ودعوا بدعوى الجاهلية كالنياحة وغيرها، وافتخروا بالصنائع والمهن ومتاع الدنيا الزائل وأظهروا مودتهم للكفر وللكافرين.

وفشت فيهم الوثنيات مثل العيافة والطرق والطيرة والكهانة والتحاكم إلى الطاغوت وكراهة التزويج بين العبدين، وغير ذلك من الجاهليات التي أصابت الأمة، والتي ذَكَرَها ونوّه إليها، وبين مواضعها في كتاب الله تعالى لإظهار ضرورة التخلص منها بتمام التوحيد[2].

---

(١) ٨٠ / البقرة.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول ص٣٣٧ وما بعدها.

توافق منطق أصحاب الجاهليات في عصره
مع منطق قدماء المشركين

يتوافق الفريقان كما وضح الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الأصول التي تقوم عليها حججهم واستدلالاتهم ودفاعاتهم عن هذه الشركيات، وأولها التقليد إذ هو القاعدة الكبرى لجميع المشركين والكفار السابقين واللاحقين والمحدثين والمعاصرين كما قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾(١).

وقال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾(٢).

وعلاج هذه الآفة في كتاب الله تعالى كقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾(٣).

وقولـه تعالى ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾(٤).

كذلك من منطق الجاهلين الاغترار بالأكثرية التي هم عليها في أغلب الأحيان، والاستدلال على أنَّ أهل الحق مخطئين بقلتهم وغربتهم بين الناس، فوضح الله تعالى لهم فساد هذا الاستدلال بقوله ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾(٥). ومنطقهم أيضا أن الحق هو ما كان عليه أصحاب الجاه والغنى والقوة، وأن الباطل هو ما كان عليه أهل

---

(١) الزخرف: ٢٣.
(٢) لقمان: ٢١.
(٣) سبأ: ٤٦.
(٤) الأعراف: ٣.
(٥) الأنعام: ١١٦.

الضعف والفقر والمسكنة كقوله ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾[1].

ومن حججهم أن ما يتمسكون به من باطل يتمسك به ويقول به بعض العلماء والعباد متجاهلين قول الله تعالى ردا على هذا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ﴾[2].

كل هذه الحجج والاستدلالات الفاسدة هي مما نجدها على ألسنة من وقعوا في الشركيات من المعاصرين للشيخ وممن لازالوا عليها حتى الآن من خلال الصوفية والقبوريين وأهل الفرق والبدع وغيرهم.

ومن ثم قام الشيخ رحمه الله تعالى، فيما كتب من كتب ورسائل ـ بوظيفة المجدد حين أظهر هذه الآفات الكائنة في الأمة، وحين أخرج من كتاب الله تعالى الدليل على أنها من الشركيات والبدع والمخالفات، ثم حين وضح الرد عليها من الكتاب، وبين علاج هذه الآفات كما فعل المصطفى الخاتم ﷺ من قبل، مع الفارق بين شخصيهما.

ومن ثم انحصرت أهداف دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في العودة بالأمة إلى التوحيد الخالص، الذي كان عليه سلف الأمة، من الأجيال الثلاثة أو الأربعة الأولى.

وهذا هو الذي فصله في كتابه التوحيد وفي رسائله وكتبه الأخرى كما سنرى هذا في الصفحات التالية بعون الله تعالى وتوفيقه.

حقا... لقد نجحت دعوة الشيخ في شبه جزيرة العرب بفضل الله تعالى وتوفيقه، وأصبح أهلها على التوحيد الخالص من الشركيات والوثنيات القبورية والبدع الصوفية.

---

(١) الشعراء: ١١١.

(٢) التوبة: ٣٤.

لكن لم تصل دعوته بعد إلى مثل هذا النجاح في سائر بلدان العالم الإسلامي، وإن كانت الآثار التي تركتها هذه الدعوة في هذه البلاد عميقة وقوية ومؤثرة حتى الآن، وتحققت أهدافها في نفوس قطاعات من هذه الشعوب وبخاصة المثقفة منها، وبالرغم من وجود الأضرحة وبعض المظاهر الشركية مبثوثة في ربوع العالم الإسلامي في الشرق والغرب، والشمال والجنوب، ربما لأنه لم يتوافر لدعوة التوحيد في هذه الربوع من السلطان الذي يزع الله تعالى به ما لا يزع بالقرآن، ما توافر بفضل الله تعالى للدعوة في الجزيرة على يد الحكام السعوديين.

ومن ثم تظل دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في العالم الإسلامي دعوة الماضي القريب والحاضر المعاصر، والمستقبل القريب وإلى أن يرث الله تعالى الأرض وما عليها، حتى تتحقق أهدافها في كل ربوع العالم الإسلامي بإذن الله تعالى.

ويظل التوحيد هو المقصد الأسمى والهدف الأعلى الذي يبدأ به كل الدعاة، وينتهي إليه جميع المجاهدين لإعلاء كلمة الله عز وجل، وإعادة مجد الأمة الإسلامية المتمثل في كونها خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وأول المنكر هو الجاهليات والوثنيات والشركيات والبدع.

تلك التي سيأتي بيانها تفصيلا من خلال عرض أصول التوحيد ومفهومه ولوازمه ومقتضياته التي أهمها الخلوص من الشرك كبيره وصغيره، على حد سواء.

أساس مفهوم التوحيد عند المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

يؤسس الشيخ مفهومه للتوحيد على أساس قرآني وهو: أن الهدف من وجود الإنسان في الأرض هو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، ودليله قولـه تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١) فحصر الهدف من خلق الجن والإنس في عبادته وحده لا شريك له، واجتناب عبادة كل من وما سواه سبحانه، بدليل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾(٢).

والطاغوت: هو كل ما عبده المشركون من دون الله سواء كانوا من الجن أم من الإنس من المتألهين والذين جعلوا أنفسهم أربابا من دون الله، وقال تعالى أيضا آمرا بإفراده بالعبادة ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾(٣).

وليس التوحيد عبادة الله تعالى فحسب لأن كل الأمم عندها نوع من عبادة الله تعالى، ولكن التوحيد هو عبادة الله وحده مع التخلص تماما من عبادة غيره معه، لذا قال تعالى ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾(٤)، أي لا تعبدوا معه غيره، فالتوحيد إفراد الله تعالى بالعبادة.

وهذا لا يكون إلا إذا أفرد الموحد الله سبحانه بالألوهية فلا يشرك به

---

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) النحل: ٣٦.

(٣) الإسراء: ٢٣، ٢٤.

(٤) النساء: ٣٦.

شيئا أي لا يتخذ معه إلها آخر لقوله تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذه الآيات الأربع من سورة الأنعام: "إنها عظيمة الشأن إذ تضمنت عشر مسائل أولها النهي عن الشرك، وهو يورد في تفسيرها قول **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه: "من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾[2].

فكان الصراط المستقيم هو التوحيد الذي هو عبادة الله وحده وأن ما سواه من السبل جميعها موصلة إلى الشرك والكفر.

إن سفينة النجاة يوم القيامة هي عبادة الله تعالى وحده في الدنيا، فلا توحيد إلا بإفراده وحده بالعبادة سبحانه وترك عبادة غيره.

ويورد الشيخ دليلا على هذا، وهو: ما أخرجه الشيخان في الصحيحين عن معاذ رضي الله عنه قال: "كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: "يامعاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا، قلت: يارسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا"[3].

---

(١) الأنعام: ١٥١ ـ ١٥٣.

(٢) رواه الترمذي في جامعه كتاب التفسير، باب ومن سورة الأنعام، ٢٦٤/٥ ح٣٠٨١ وقال: حسن غريب، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٤/٥ ح٨٠٥٦، والحاكم في المستدرك ٢٨٨/٢ وقال: صحيح.

(٣) رواه البخاري كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار ح٢٨٥٦، ومسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ح٣٠.

فحق الله علينا توحيده الذي لا يتم إلا بالكفر بالطاغوت وإفراده بالعبادة وحقنا عليه إن أدينا هذا الحق النجاة من العذاب.

ويخلص الشيخ رحمه الله من هذه النصوص إلى أن العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه[1].

فمن لم يوحد الله تعالى لم يعبده، ومن لم يعبده وحده وعبد معه غيره لم يوحده، وفي هذا معنى قوله تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ. لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾[2].

وهذا ما جاء أيضا في ثماني عشرة آية كريمة من سورة الإسراء بدأها بقوله ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾[3]، وختمها بقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾[4]. ونبهنا سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾[5].

كل هذا يدل على أن الأساس في العمل هو التوحيد، وسر قبول العمل هو الإخلاص لله عز وجل، أي الخلوص من الشرك، وأن غاية العمل أيضا هو التعمق في التوحيد، والارتقاء في معرفة الله عز وجل، بدليل قوله في آيات الأنعام ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ وقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية ص٧، ٨، ٩.

(٢) الكافرون: ١ـ٣.

(٣) الإسراء: ٢٢.

(٤) الإسراء: ٣٩.

(٥) آية ٣٩ من سورة الإسراء، وانظر: مؤلفات الشيخ ص٩.

مفهوم التوحيد عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

قول الشيخ: إن العبادة هي التوحيد، يدل على مدى تأثره رحمه الله بمفهوم التوحيد عند شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي صرح ووضح في أكثر كتبه بأن التوحيد ثلاثة أنواع:

١. توحيد الربوبية:

وهو إفراد الله تعالى بأعماله عز وجل التي لا يشاركه فيها غيره، وأولها الخلق والإحياء والإماتة والرزق، والملك والتدبير، والأمر والحكم والتشريع والنفع والضر، وغير ذلك من عطايا الربوبية التي تخصه وحده سبحانه، وهو أيضا نفي هذه الأفعال عن غيره سبحانه.

٢. توحيد الألوهية:

وهو إفراد الله تعالى بأعمال العباد، بمعنى أن الموحد يتوجب عليه أن لا يعمل عملا إلا مبتغياً وجه الله وحده، طالبا رضاءه عنه وحده، رجاء في النجاة من العذاب، وطمعا في الفوز بالجنة، فلا يتوجه بالشعائر التعبدية إلا له وحده، ولا يتوجه بالدعاء إلا إليه وحده سبحانه، ولا يقدس ولا يعظم ولا يكبر إلا الله سبحانه وتعالى، ولا يخشى إلا الله، ولا يحب أحدا حبه لله، ولا يرجو إلا هو سبحانه وتعالى.

وعلى الموحد أن يعتقد بوجوب طاعته وحده، ومعصية أمر غيره المخالف لأمره، وتحريم معصيته في طاعة غيره.

وأن يبتغي وجه الله فيما يفعله من أفعال التكسب والرزق، وكل ما يخص شئون الدنيا وأمور المعاش، بدليل قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[١].

---

(١) الأنعام: ١٦٢، ١٦٣.

٣. توحيد الأسماء والصفات:

وهو دعاء الله تعالى ومناجاته والاستعانة به والاستغاثة به واللجوء إليه بأسمائه الحُسْنَى التي وردت في القرآن الكريم والسنة، والاقتصار عليها وحدها في دعائه والطلب منه، لأن أسماء الله تعالى توقيفية ليس فيها مجال للاجتهاد والاستنباط العقلي.

وكذلك يوجب هذا النوع من التوحيد وصف الله تعالى بكل ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تشبيه أو تمثيل من ناحية، ومن غير تعطيل من ناحية أخرى، ومن غير تكييف لصفاته من ناحية ومن غير تأويل من ناحية أخرى.

أما بالنسبة للصفات فقد قرر شيخ الإسلام أن من مباديء التوحيد الذي كان عليه السلف: وصف الله تعالى بكل ما وصف به نفسه، وتنزيهه سبحانه عن كل ما نفاه عن نفسه، ومن هذا التنزيه أنْ لا نضرب لله تعالى الأمثال، ولا نقيس صفاته سبحانه على صفات المخلوقين، وأن لله تعالى المثل الأعلى في السموات والأرض، ومن هذا كله استنبط شيخ الإسلام ما أطلق عليه **"قياس الأولى"** ومضمونه: **"أن ما كان في حق الإنسان كمالا وثناء وحمدا له فإن وصف الله تعالى به أولى ما لم يستلزم نقصاً، وما كان في حق الإنسان من الصفات عيبا وذما ونقصا فإن تنزيه الله تعالى عنه أولى"**.

فهو يقوم على عدم جواز ضرب الأمثال لله تعالى، والنهي عن قياس الخالق في إثبات الصفات ونفيها على المخلوق، وبدلا منها أجاز قياس الأولى.

ويقرر ابن تيمية في مفهومه الشهير عن التوحيد أن جميع الأمم على توحيد الربوبية بمقتضى الخلقة، فهم يثبتون الخالقية لله تعالى، ويقرون

بها، ويستدل بقوله تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[1]، ومثيلاتها من الآيات لكي يثبت أن المشركين جميعا موحدون توحيد الربوبية، ولم يخالفوا هذا النوع من التوحيد، ولم يتركوه، وإنما كان الشرك الذي من أجله أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، هو شرك الألوهية، أي اتخاذ آلهة مع الله فجاءت الرسل لتعليم الناس توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات فقط.

وهذا يفسر لنا عبارة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي طابق فيها بين التوحيد والعبادة، وجعلهما مترادفين، لأن المتكلمين حصروا التوحيد في توحيد الربوبية الذي هو مجرد اعتقاد، وأهملوا توحيد الألوهية الذي هو عمل، والمرجئة حصروا الإيمان في المعرفة القلبية بالله، فمن عرفه فقد وحده، حتى ولو لم يقم بحق الله تعالى في عبادته وحده، فجاء ابن تيمية رحمه الله تعالى بنظريته في أنواع التوحيد محاولا تأكيد الجانب العملي التطبيقي من التوحيد، وهو إفراد الله بالعبادة الذي يتمثل في توحيد الإلهية.

وتبعه الشيخ ابن عبد الوهاب بنظريته ردا على منحرفي الصوفية الذين جعلوا مع الله تعالى من الأولياء والأضرحة وآثار الصالحين شركاء لله عز وجل، فتوجهوا إليهم بالدعاء، وتشفعوا إليه بآثارهم وأشخاصهم، واتخذوهم شفعاء يتقربون بهم إلى الله تعالى زلفى، كما فعل مشركو العرب قبل الإسلام، في الجاهلية بأصنامهم.

وإذ وجد ابن عبد الوهاب في نظرية ابن تيمية علاجا للفساد ومظاهر الشرك التي تخللت عبادتهم، فإنه قد حذا حذوه في التأكيد على أهمية إفراد الله تعالى بالعبادة باعتبارها جوهر التوحيد الإسلامي الذي أتى به الرسل، وهو توحيد الألوهية وليس توحيد الربوبية فقط.

---

(١) لقمان: ٢٥، الزمر: ٣٨.

لذا قال ابن عبد الوهاب رحمه الله: إن العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه، أي أن الخصومة بين أهل الكفر وأهل الإيمان لم تكن في توحيد الربوبية التي يقر بها المشركون كالموحدين سواء بسواء، وإنما الخصومة بين الفريقين كانت ولا تزال في إفراد الله عز وجل بالعبادة، بمعنى أن المشركين يعبدون مع الله تعالى غيره، والتوحيد المنزل على رسول الله ﷺ في القرآن الكريم وعلى رسله السابقين أيضا هو وجوب عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة غيره.

نجاة العبد يوم القيامة من العذاب مرهون بتوحيد الألوهية

أي أن النجاة من العذاب تتوقف على التوحيد بهذا المفهوم، وليس بمفهوم المتكلمين أو منحرفي الصوفية، هذا المفهوم الذي حصره الشيخ ابن عبد الوهاب في عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة ما سواه من الآلهة الباطلة، إذ يكون من حق العبد على الله يوم القيامة أن لا يعذبه كما دل عليه حديث معاذ سالف الذكر.

فمجرد الإيمان بالله تعالى على أي سبيل، ليس كافيا لنجاة العبد من العذاب في الآخرة، كما أنه لا يستحق بهذا وحده وصف الموحد في الدنيا، وبالتالي لا يعتبر مسلما، لأن أكثر البشر في كل مكان وزمان يؤمنون به عز وجل على سبيل الشرك، أي يتخذونه سبحانه إلها ويدعونه ويعبدونه ليس على سبيل التوحيد، أي بإفراده بالدعاء والعبادة وإنما يتخذون معه آلهة من دونه يدعونهم ويعبدونهم بشيء من مظاهر العبادة والتقديس، مع أنهم يفردون الله تعالى بالخلق ويقرون أنه لا خالق غيره، وهؤلاء الذين يدعونهم ويعبدونهم ويتقربون إليهم ويقدسونهم لا ينسبون إليهم الخلق وإنما ينسبون إليهم القرب من الله تعالى الخالق ويعتقدون أنهم يقربونهم إلى الله زلفى أي يتخذونهم شفعاء إلى الله الأمر الذي جعلهم

طلابا لشفاعتهم يتقدمون إليهم بالقرابين والنذر والتقديس والدعاء فعبدوهم مع عبادة الله تعالى.

فهؤلاء الأكثرية من البشر آمنوا بالله تعالى، ولكنهم ألبسوا إيمانهم بظلم أي بشرك، ومن ثم فهم لا يعبدون الخالق وحده سبحانه، وإنما يعبدون معه غيره، هم هؤلاء الذين اتخذوهم شفعاء ووسائط يقربونهم إلى الله تعالى زلفى، ومن ثم فهؤلاء يخرجون من عهد الله تعالى بالأمن من العذاب يوم القيامة، لأن عهده لا ينال إلا من عبد الله تعالى وحده، ولم يلبس إيمانه بشرك بدليل قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(١)، والظلم هو الشرك بدليل قول لقمان لابنه ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٢).

فالأمن ميزان الاعتدال من العذاب في الآخرة لهؤلاء الذين لم يلبسوا إيمانهم بظلم أي بشرك أي للموحدين دون غيرهم من الناس.

ويفسر هذه الآية ويوضحها: قول الله عز وجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(٣).

كما يؤكد هذه الحقيقة الإيمانية، ونعني بها هلاك المشرك في الآخرة ونجاة الموحد الخالص، ما رواه الترمذي وحسنه عن أنس قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: "قال الله تعالى: يابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة"(٤).

---

(١) الأنعام: ٨٢.

(٢) لقمان: ١٣.

(٣) النساء: ٤٨، ١١٦.

(٤) سنن الترمذي كتاب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار عن أنس ح٣٥٤٩، وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وللشيخين في حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه: "فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله"(١).

ويرى الشيخ رحمه الله تعالى أن شهادة لا إله إلا الله قولا فقط لا تنجي من النار إذْ ليس القول وحده هو المنجي من النار، حيث أورد مع حديث عتبان هذا وقبله حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: "قال رسول الله ﷺ: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل"(٢).

ثم علق على الاثنين قائلا: تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة وأنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول لا إله إلا الله، وتبين لك خطأ المغرورين(٣).

ويشرح الشيخ هذا مشيرا إلى الشرط الذي في حديث عتبان وهو ابتغاء وجه الله تعالى من قول لا إله إلا الله الأمر الذي يستلزم منه العمل الذي يرضيه، وهذا ما جاء في حديث عبادة بقوله ﷺ: "أدخله الله الجنة على ما كان من العمل"، فلو كان العمل خالصاً لوجه الله لصار صاحبه موحدا، ولو كان غير ذلك لصار مشركا، والعمل غير مقبول، ومن ثم

---

(١) رواه البخاري كتاب الأطعمة، باب الخزيرة ح٥٤٠١، عن محمود بن الربيع به، ومسلم كتاب المساجد، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر ح٢٦٣ ص٣٣٠ (م واحد).

(٢) رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ ح٣٤٣٥، ومسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ح٢٨.

(٣) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الأول ص١٢، ١٣.

وضح الشيخ هذا قائلا: إنك إذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله في حديث عتبان: "فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله" أنه ترك الشرك عرفت أن قولها ليس باللسان[١].

ويبرهن الشيخ رحمه الله على أن الذي يظن أن مجرد قول لا إله إلا الله باللسان ينجي من العذاب في الآخرة مغرور هو أن لا إله إلا الله ترجح في الميزان جميع المخلوقات أي السموات السبع والأرضين السبع وما فيهما من مخلوقات حسب ما دل عليه الحديث الشريف الذي رواه الحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري "عن رسول الله ﷺ" قال: قال موسى: يارب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به؟

قال: قل ياموسى لا إله إلا الله، قال: يارب: كل عبادك يقولون هذا، قال: ياموسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله"[٢].

فإذا علمنا أن مما هو معلوم من الدين بلا خلاف أن كثيرا ممن يقولها يستخف ميزانه يوم القيامة لأنَّه يقولها وهو لا يبتغي بها وجه الله وحده، ولا يعمل بمقتضاها لتبين لنا أن مجرد التلفظ بالشهادة ليس هو المنجي، وليس هو الذي يرجح في الميزان السموات والأرضين، وإنما قولها خالصة من القلب ابتغاء وجه الله وحده، الأمر الذي يستلزم منه العمل لا محالة بما أمر الله عز وجل.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك كتاب الدعاء والتكبير ٥٢٨/١ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وابن حبان في صحيحه كتاب التاريخ، باب سؤال كليم الله ربه أن يعلمه شيئاً يذكره به ٣٥/٨ ح٦١٨٥.

فحديث أنس نص على أنها تنجي قائلها من النار بشرط ابتغاء وجه الله وحده بقولها، وهذا لا يتأتى للعبد إلا بترك الشرك أي بالتخلص من ابتغاء غير وجه الله من الطواغيت.

كذلك يؤكد هذا المعنى حديث عبادة (الجمع بين كون محمد وعيسى عبدين لله تعالى، ورسوليه)[1]، لأن خلاف ذلك هو رفعهما فوق مرتبة العبودية لله تعالى تلك المرتبة التي هما فيها باعتبارهما بشرين رسولين، فكأن ذكر عيسى عليه السلام والنص على الشهادة بأنه عبد الله ورسوله مع النص على الشهادة بأن محمدا عبد الله ورسوله فيه إشارة وتنبيه للمسلمين بوجوب الاعتقاد بعبودية محمد ﷺ، كما يلزم للنصراني أن يعتقد ببشرية وعبودية عيسى عليه السلام إذا أراد أن يخرج من الشرك إلى التوحيد.

والخلاصة: أن الشيخ رحمه الله يستنبط من هذه النصوص حكما يخص النطق بشهادة التوحيد بدونه لا يكون قائلها باللسان موحدا ضامنا للنجاة وهو أنها تعني التخلص من جميع الآلهة الباطلة وأن مقتضاها عبادة الله تعالى وحده.

وهذا هو الذي ينجي من النار يوم القيامة ويدخل الجنة على ما كان من العمل.

---

(١) المصدر السابق.

ويتأكد هذا بثبوت أهمية العمل بالنسبة للشهادة أي لصحة قولها، وأن العبادة هي جوهر التوحيد وحقيقته، إذا فهمنا الحديث الذي أخرجه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما "أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا إلى اليمن قال له: إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ".

وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب"(١).

ويبين هذا الحديث أن واجب الداعي إلى الله تعالى هو أن يدعو أول ما يدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وقوله في رواية "أن يوحدوا الله "دليل على أن الدعوة إلى الشهادة دعوة إلى توحيد الله.

ولكن ليست الدعوة إلى الشهادة دعوة إلى كامل الإسلام المنجي من العذاب لقوله ﷺ: "فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله "ومن ثم فهو وإن كان هو الأساس في الإسلام بحيث يجب على الداعي **أن يبدأ به وليس بغيره** - إلا أنه ليس وحده هو كل الإسلام الذي يجب على الداعي أن يدعو إليه بل عليه بعد ذلك أن يعلمهم أن الله افترض عليهم الصلوات الخمس وبعد أدائها فعليه أن يبلغهم بالزكاة.... وهكذا.

---

(١) رواه البخاري كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ح١٤٥٨، ومسلم كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ح١٩.

ومن ثم يمكن القول أن الصلاة وسائر الفرائض هي من تمام الإسلام، ومن تمام التوحيد، وَلَيْسَتْ أمراً زائداً عليه.

وهذا يثبت أن عبادة الله وحده بما فرض من فرائض أو على الأقل العلم بهذه الفرائض والإقرار بوجوب القيام بها من جوهر التوحيد.

يدل على هذا ويؤكده ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه: "أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر": لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، فبات الناس يرجون ليلتهم أيهم يعطاها؟ فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب، فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه فأتي به فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال: انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم"[1].

والشاهد في هذا الحديث الشريف قوله ﷺ لعلي رضي الله عنه: "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه"، فالواجب في حق الله تعالى في الإسلام هو العمل الذي تقتضيه شهادة التوحيد وهو عبادته وحده بما أوجب على المسلم من عبادات واجبة[2].

فيجب أن تكون الدعوة أول ما تكون إلى توحيد الله تعالى الذي يعبر عنه لا إله إلا الله، قال تعالى ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3].

---

(١) رواه الشيخان في صحيحهيما، فرواه البخاري في كتاب الجهاد، باب فضل من أسلم على يديه رجل ح٣٠٠٩، ومسلم كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ح٢٤٠٤.

(٢) انظر مؤلفات الشيخ ق/١ ص٢٠، ٢١.

(٣) يوسف: ١٠٨.

فالدعوة إلى التوحيد: هي دعوة إلى ترك الشرك والخلوص منه بإفراد الله بالألوهية أي عبادته وحده، ثم بعد ذلك يقوم الداعي ببيان أعمال العبادة الواجبة: الفرائض ثم الواجبات ثم النوافل، وهكذا وفي كل منها الأهم فالمهم مثل الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج وهكذا فقوله تعالى ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ تنزيه لله تعالى عن كل ما يصفه المشركون به من صفات لا تليق به سبحانه.

ويستشهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ. إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ. وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(١)، على وجوب الخلوص من الشرك، إذ استثنى سيدنا إبراهيم عليه السلام من الآلهة المعبودة الله عز وجل، فتضمنت الآية براءته من الآلهة الباطلة، وإثبات ولائه لله تعالى وحده، وهما أي البراءة والموالاة ركنا شهادة لا إله إلا الله، بدليل قوله بعد هذا ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لأن الكلمة الباقية هي الشهادة: لا إله إلا الله، التي تتضمن نفي الألوهية عن غير الله تعالى، وإثباتها له أي البراءة من كل معبود سواه والولاء له وحده.

فالتوحيد عمل بموجب أمر الله وحسب شرعه أي طاعة الله وحده والشرك طاعة غيره واتباع شرع من سواه من الطواغيت في معصيته سبحانه، وهذا الذي استنبطه الشيخ ابن عبد الوهاب من قوله تعالى ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ . . . . ﴾(٢).

وهذا يؤكد مفهوم الشيخين ابن تيمية وابن عبد الوهاب القائلين بأن التوحيد هو عبادة الله وحده، وأن عبادة الله وحده هي التوحيد.

---

(١) الزخرف: ٢٦ـ٢٧.

(٢) التوبة: ٣١.

ذلك: أن العبد لا يحرم دمه وماله على المسلمين بقوله: لا إله إلا الله فحسب، بل لابد أن يكفر بكل ما يعبد من دون الله ويعلن كفره بكل الطواغيت ويتبرأ منها ومن أتباعها، بدليل قول رسول الله ﷺ: "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل"(١).

فالكفر بالطواغيت شرط في قول الشهادة فلا يصح قولها من العبد إلا به وهو ترك عبادة الأغيار، حتى تصبح عبادة المسلم لله تعالى.

قال الشيخ رحمه الله تعالى معلقا على هذا الحديث: وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله "فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلاَّ الله وحده لا شريك له بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها، وياله من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع(٢).

ذلك أن الشهادة الخالصة من القلب تقتضي حب الله تعالى أشد من الحب لكل ما سواه، وخشيته أشد من الخشية من كل ما سواه، ورجاءه وحده، والذين كفروا يحبون الأغيار كحبهم لله تعالى، قال تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾(٣).

وقال تعالى ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(٤).

---

(١) صحيح البخاري.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول ص٢٦.

(٣) البقرة: ١٦٥.

(٤) التوبة: ٢٤.

فحب الأغيار أكثر من حب الله ورسوله هو الذي سيقعدهم عن الجهاد وبالتالي يصبحون فاسقين.

ويدل على أن الإيمان بالله تعالى وحده وبرسوله المصطفى ﷺ يقتضيان أن يكون حب المؤمن الموحد لهما أشد من حب ما سواهما قول النبي ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"(١).

وقوله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار"(٢).

وهذه الأحاديث الشريفة تفيد وجوب محبته ﷺ وتقديمها على النفس والأهل والمال، وتنفي الإيمان عمن لم يكن حبه لله ورسوله أكثر من حبه لسواهما، ولكن هذا لا ينفي عنه الإسلام، وهذا يدل على أن كثيرا ممن ينطقون بالشهادتين قد لا يجدون حلاوة الإيمان في قلوبهم وهذا وإن كان لا ينفي عنهم حلاوة الإيمان فإنه لا ينفي عنهم الإسلام الذي هو مرهون بالنطق بهما.

ويقرر ابن عباس رضي الله عنهما أن أعمال القلب لا ينال العبد ولاية الله تعالى إلا بها فيما رواه عنه ابن جرير بقوله: "من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا"(٣).

---

(١) رواه الشيخان في صحيحهما، البخاري كتاب الإيمان، باب حب الرسول من الإيمان ح١٤ عن أنس، ومسلم كتاب الإيمان، باب وجوب محبة الرسول ﷺ ح٤٤.

(٢) رواه الشيخان في صحيحهما، البخاري كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان ح١٦٦، عن أنس، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ح٤٣.

(٣) جاء عن جابر عن أبي أمامة مرفوعاً بلفظ: من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان، رواه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ح٤٦٨١، والبغوي في شرح السنة كتاب البر والصلة، باب ثواب المتحابين ح٣٣٦٣، وجاء من رواية ابن عباس نحوه مرفوعاً رواه الطبراني في الكبير ح١١٥٣٧، وأحمد في المسند ١٤٦/٥.

وهذه العبارة الأخيرة لابن عباس رضي الله عنهما هي فهمه للواقع المعاصر له وهو من أفضل عهود الأمة فالناس فيما بعده من العهود أشد بعدا عن هذه الأربعة التي لا يكون الإيمان إلا بها، وأصبحت المؤاخاة على مصالح الدنيا.

ويستنبط الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من هذه النصوص جميعا النتائج الاعتقادية التالية:

١. أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً[١].

٢. الوعيد على من كان الثمانية أحب إليه من الله[٢].

٣. أن من اتخذ ندا تُساوى محبتُهُ محبةَ الله فهو الشرك الأكبر[٣].

وقد يتعجب القاريء لعبارة الشيخ عن حب بعض المشركين لله حبا شديدا ويظن فيها المبالغة، ولكن الحقيقة أنها عبارة دقيقة منه رحمه الله تعالى، لأنه يقصد القول بأن حب الله حبا شديدا ليس علامة على التوحيد أي ليس علامة على الإيمان بالله تعالى إلها واحدا، لا شريك له، إذ يكون هذا علامة على الإيمان بالله تعالى ولا يمنع أن يؤمن بغيره معه ويحبه معه حباً شديداً أيضاً، ويكون بذلك مشركا إذ جعله ندا لله بهذا الحب الشديد، ولهذا اشترطت الآية الكريمة أن يكون الحب لله تعالى لكي يكون العبد موحدا هو الحب الأشد ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[٤]، فما بال الذي أحب شيئا من الثمانية الواردة في آية التوبة أكثر من حبه لله ولرسوله وللجهاد في سبيل الله تعالى؟

إن الذي يحب غير الله كحبه له قد جعل هذا الغير ندا لله تعالى، وهذا هو الشرك الأكبر عند الشيخ أو هو على الأقل من الشرك الأكبر.

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول ص٩٠.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) المصدر السابق والصفحة.

(٤) البقرة: ١٦٥.

مراتب المسلمين في التوحيد

يتفاوت الموحدون في مراتب التوحيد، ويتجلى هذا التفاوت في درجات توكلهم على الله عز وجل، حتى أن أتمهم توكلا على الله تعالى أكملهم توحيدا.

والدليل على هذا أن قسما من المؤمنين من أمة النبي الخاتم ﷺ سيدخلون الجنة بغير حساب، وقد جاء وصفهم وتعيين خصائصهم التي استحقوا بها ذلك ومنها تمام توكلهم على الله عز وجل.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل، والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئا، وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه فقال: هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون.

فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: أنت منهم، فقام رجل آخر فقال: ادعو الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عكاشة"(١).

وهؤلاء هم أكمل الناس توحيدا لأنهم أتمهم توكلا وخصائصهم هي ترك طلب الرقية من الغير، وترك الاكتواء، ولا يتطير من شيء، ويتوكل على الله تعالى وحده، فمن يكون هذا حاله يكون صابرا على....،

---

(١) رواه البخاري كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى ح٥٧٠٥ مطولا، ومسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ح٢٢٠.

راضيا بالقضاء، موقنا بالله ربا قديرا على كل شيء وبأنه لا حول ولا قوة إلا به فلا يطلب إلا منه ولا يتوكل إلا عليه، وترك التشاؤم والكي كسبيل للتخلص من الألم لأن هذا لا يكون إلا بسبب قلة صبر العبد وأما تارك الكي فهو الذي يؤثر الصبر وكل هذا دليل على تمام توحيد العبد.

وفي تعليقه على هذا الحديث الشريف يعتبر الشيخ محمد بن عبد الوهاب تَرْكَ الاسترقاء والكي والتطير من تحقيق كمال التوحيد، لأن هذه الثلاثة مما تتعارض مع حقيقة كمال التوكل على الله وحده.

ومع ندب ترك الاسترقاء استثنى الرقية من العين والحمة بدليل الحديث الذي رواه أحمد وابن ماجه وغيرهما عن حصين بن عبد الرحمن قال: "كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما أني لم أكن في صلاة، ولكني لدغت.

قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت، قال: فما حملك على ذلك؟ قال: حديث حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة"، قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع"[(١)].

أي أن ترك الاسترقاء من أي مرض أو ألم إلا من العين والحمة هو من الإحسان لأن الاسترقاء من غيرهما جائز وليس محرما، إلا أنه ينقص من توكل العبد وبالتالي ينقص من كمال التوحيد الذي جزاؤه دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب.

وعلى هذا فالمراتب التي تلي هذه المرتبة هي دخول الجنة بلا عذاب ولكن بعد الحساب، وبعد هؤلاء مراتب الذين يدخلون الجنة بعد العذاب.

---

(١) رواه الترمذي في سننه كتاب الطب، باب ما جاء في الرخصة من ذلك ٣٩٤/٤ ح٢٠٦٢، وأبو داود كتاب الطب، باب في تعليق التمائم ح٣٨٨٤، وأحمد في المسند ٤٣٦/٤، ٤٣٨، والحميدي ح٤٣٦، وهو في البخاري في صحيحه باب من اكتوى أو كوى من كتاب الطب ح٥٧٠٥ وجعله موقوفاً على عمران بن حصين رضي الله عنه.

وهذا يدل على أن التوحيد مراتب ودرجات إذ يقل في القلب من عبد إلى عبد آخر، حتى إذا انعدم التوحيد تماما ولم يبق في قلب العبد إلا الشرك فقد وجب خلوده في النار.

ومن الذين كمل توحيدهم فاستحق دخول الجنة بلا حساب وبلا عذاب **عكاشة بن محصن** رضي الله عنه وهو كما وصفه الشيخ محمد بن عبد الوهاب (من سادات الأولياء) وهم الذين (سَلِمُوا من الشرك) وفي نص هذا الحديث أيضاً دلالةً على أن من الصحابة من لم يرق إلى هذه المرتبة مثل الرجل الذي طلب من الرسول ﷺ أن يدعو الله أن يكون منهم فاستعمل معه الرسول المعاريض بقوله ﷺ: "سبقك بها عكاشة" بدلا من القول بأنه ليس منهم.

كذلك استنبط الشيخ رحمه الله من هذين الحديثين أن قلة أتْباع الدعوة لا تدل على أنها باطلة لأن النبي يأتي ومعه تابع واحد، أو اثنين ومنهم من يأت يوم القيامة ولم يؤمن به أحد.

وهو يقصد من هذا الاستنباط: (عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد في القلة)[1].

أي أن بعض المظاهر الشركية المتفشية في قطاعات عريضة من شعوب الأمة الإسلامية لا ينفي كونها شركا كثرة من وقعوا فيها كما أن قلة من رفض هذه الشركيات لا ينفي أن هذا الرفض حق، ولا ينفي بطلان الشرك، فقد يكون إيمان العبد بالله تعالى خالصاً من الشرك وقد يكون متلبسا بالشرك.

والتوحيد درجات كما أن الشرك دركات، منه الخفي، ومنه الصريح، ومنه الأصغر، ومنه الأكبر.

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، ص١٧ كتاب التوحيد.

النار مصير المشرك والجنة مصير الموحد الذي خلا من الشرك

وضح الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن النار جزاء المشركين بعامة، وهؤلاء لا أمل لهم في المغفرة ما داموا قد ماتوا على الشرك حسب وعيد الله تعالى لهم بأنه لن يغفر لهم بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(1).

وكذلك قول النبي ﷺ: "من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار"(2).

وأيضا بدليل الحديث الذي رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار"(3).

والشرك دركات: أعظمها عبادة الأصنام والاعتقاد بوجود آلهة مع الله تعالى أو من دونه، ومنه ما وصف الله تعالى بصفات المخلوقين التي هي لهم باعتبارهم مخلوقين مما يجعل له أندادا من المخلوقين مثل نسبة الابن والصاحبة له عز وجل، إذ يصبح الابن أو الصاحبة أندادا له وآلهة يستحقون العبادة معه أو من دونه، واتخاذ أصنام باعتبارها رموزاً لهؤلاء المعبودين من دونه يتقربون بها إلى الله زلفى.

كل هذا شرك أكبر مخرج من الملة بدليل قول الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾(4).

وكذلك دعاء غير الله عز وجل سواء كان صنما أو ميتا من الأولياء أوالأنبياء أو الصالحين هو من الشرك الأكبر المخرج من الملة ما دام يعتقد

---

(1) النساء: ٤٨، ١١٦.

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً﴾ ح٤٤٩٧ عن ابن مسعود.

(3) رواه مسلم كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً ح١٥٢ عن جابر بن عبد الله.

(4) إبراهيم: ٣٥.

أن من يدعوه، نِدٌّ لله تعالى وقادر على قضاء حاجاته أو أنه يقربه إلى الله زلفى ليستجيب الله إلى دعائه.

وكذلك يدل دعاء الخليل على أنه يخشى على أبنائه الشرك الأكبر وعبادة الأصنام.

كما أن النبي ﷺ قد خشي الشرك على أصحابه رضوان الله عليهم، وهم سادات الأولياء بدليل قوله ﷺ: "أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه فقال: الرياء"[١].

فإذا كان من الشرك ما هو أكبر، وما هو أصغر وهو الرياء **فإنه** لابد أن يكون بينهما دركات، فكلما صغر الشرك في القلب عظم توحيد العبد، وقرب من الكمال، وكلما تضخم الشرك في قلب العبد قل توحيده حتى إذا انعدم صار على الشرك الأكبر وخرج من الملة.

ومعنى هذا أنه إذا قرب توحيد العبد من الكمال تضاءل الشرك حتى إذا كمل توحيده انعدم الشرك تماما في قلبه وسلوكه وأعماله وخواطره وأفكاره وتصوراته، وذلك هو الموحد الخالص الذي جزاؤه دخول الجنة بلا حساب وبلا عذاب، وجزاء الخارج عن الملة الخلود في النار بلا وزن، أما ما بين هذا وذاك من الدرجات التوحيدية أو من الدركات الشركية فمصيره يتحدد بالميزان فمن غلبت حسناته وزاد التوحيد عنده عن الشركيات الصغرى والخفية دخل الجنة بعد الحساب، ولو كان العكس فإن مصيره إما أن يغفر الله تعالى له بشفاعة الشفعاء، وبشفاعة النبي ﷺ، وإما أن يعذب ثم يدخل الجنة بعد العذاب والحساب، ومن ثم فالوعيد الوارد في آيتي النساء[٢] إنما هو للشرك الأكبر الصريح المخرج من الملة وليس لما خفي منه أو لما صغر.

---

(١) رواه أحمد في المسند ٤٢٩/٥، والبغوي في شرح السنة ٤١٣٦/١٤، وانظر السلسلة الصحيحة ح٩٥١.

(٢) النساء: ٤٨، ١١٦.

أولاً: نسبة الخلق أو الأمر والتدبير أو أي فعل من أفعال الربوبية لغير الله عز وجل:

وهو شرك صريح أكبر مخرج من الملة، لأن من اعتقد بأن غير الله تعالى ينفع ويضر ويشفي ويحيي ويميت ويرزق ويعز ويذل إلى غير ذلك من خصائص وعطايا الربوبية فقد اتخذ كل من اعتقد أنه يفعل شيئا من ذلك أو من اعتقد أن الله تعالى لا يستجيب بشيء من ذلك إلا عن طريقه وبشفاعته وبوساطته فقد جعله ربا من دون الله تعالى، إذ لو اعتقد أن الله لا يقبل إلا من خلال هذا الوسيط فإنَّ هذا الاعتقاد يستلزم منه عبادة هذا الوسيط، والتقرب إليه، والطلب منه، وهذا هو الشرك الأكبر، لأنه يجعله بذلك ندا لله عز وجل ويحدد حقيقة هذا الشفيع بمعنى الخلافة الكونية، ومن ثم شرع الله تعالى للمسلم أن يسعى إلى عيشه ورزقه بالأسباب والعلل التي جعلها الله تعالى حسب سنته الوسيلة للحصول بها على ما قسمه الله له من رزق بشرط أن يكون اعتقاد المسلم أن الله تعالى هو خالق المقدمات والأسباب وخالق النتائج والمطالب التي تتحقق له.

لأن الله جعل أَوَّلَ حقيقةِ التوحيدِ: أنه لا خالق إلا الله تعالى، ولا محدث إلا الله تعالى، ومن ثم فالله عز وجل حسب عقيدة التوحيد الخالصة هو خالق العبد وخالق فعل العبد وخالق العلة وخالق المعلول الذي يحدث بعد حدوث العلة، وأنه لا يتم شيء ولا حدث في الكون إلا بقدر الله تعالى إنْ خيراً وإنْ شراً.

فمن دعا غير الله معتقدا أن هذا الغير فاعل ومحدث لما يريد فقد أشرك مع الله هذا الغير وجعله ندا لله تعالى، ويسوق الشيخ رحمه الله دليلا على أن الدعاء لغير الله تعالى من الشرك الأكبر ما رواه الشيخان عن زيد

بن خالد رضي الله عنه أنه قال: "صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ما ذا قال ربكم؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب"[1].

أي من نسب المطر للنوء أو للكوكب فقد جعل النوء أو الكوكب ندا لله تعالى بل إنه يكون قد نسب له الرزق والفضل ونسي ربه، فيكون قد آمن به وكفر بالله تعالى، والتوحيد الخالص يقتضي الإيمان بالله وحده وهذا لا يتم إلا إذا كفر بما سواه فلا ينسب الفضل والرزق وكل عطايا الربوبية إلا له وحده حتى ولا للأسباب التي يأخذ بها الإنسان بغية الحصول على نتائجها إذ أن خالق الفاعل والمفعول وخالق السبب والنتيجة هو الله وحده.

يوضح هذا ما جاء في رواية أخرى للحديث في الصحيحين أيضا: "قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا فأنزل الله هذه الآيات ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ. وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ. فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ. لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ. تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ. أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ. وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[2].

فمن جعل رزقه أنه يكذب بفضل الله تعالى تكذيبا صريحا ناسبا هذا الرزق وهذا الفضل للنوء فهذا من الكفر الأكبر الصريح.

أما إذا لم يكذب بفضل الله تعالى وأخطأ في التعبير فذكر سبب نزول

---

(١) رواه الشيخان في صحيحهما، البخاري كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ح٨٤٦، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء ح٧١.

(٢) الواقعة: ٧٥ ـ ٨٢.

المطر برياح وَسَمَّى اسم هذه الريح فإن هذا من الشرك الأصغر الخفي الذي يقع فيه المسلمون كثيرا فإذا انتبهوا استغفروا وأرجعوا الفضل لله وحده.

لذلك وضح رسول الله ﷺ أن أربعا من أمر الجاهلية ستبقى في الأمة مع إسلامها منها: الاستسقاء بالنجوم، ففي الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: "أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة"[1].

وهي جاهليات لأنها تتعارض مع عقيدة التوحيد في الإيمان بالقدر خيره وشره من الله كما أنها تنسب الرزق إلى النجوم.

فطلب الرزق من النجوم والاستسقاء بها من الشرك الأكبر لكن النياحة وبقية الأربعة هي من الكبائر أو الشرك الأصغر الذي يعذر فاعله بالجهل أو يعذب عليه إذا لم يتب منه.

ولكن هذا وذاك من الجاهليات فهو كفر، ولكنه كفر غير مخرج من الملة وهذا ما قرره الشيخ في تعليقه على هذه الأحاديث بقوله: إن من الكفر ما لا يخرج من الملة، لأن معنى الكفر في الحديث إنكار نعمة الله تعالى ونسبتها إلى النور أو الكوكب أو السبب أو الفاعل فلو اقتصر الأمر على اللفظ فهو كفر غير مخرج من الملة أو هو من الشرك الأصغر، أما إذا تعدى ذلك إلى العمل كالاستسقاء بالنجم فهو شرك أكبر وكفر مخرج من الملة وقول بعضهم (لقد صدق نوء كذا وكذا) أي نزل المطر بهذه الريح وذاك كما هو متوقع حسب العادة كل سنة في هذا الوقت وهو من الكفر أو الشرك الذي لا يتفطن إليه صاحبه فهو خفي وأصغر لذا نبه النبي ﷺ إلى ذلك مما يوجب أن يتفطن العبد له فلا يقع فيه.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة ح ٩٣٤.

ثانياً: الرياء وطلب السمعة والشهرة من شرك العبادة

وهو من الشرك الأصغر قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾(١)، أي ولا يبتغي من العبادة ومن العمل الصالح الذي يعمله الثناء والمديح والوجاهة عند الناس.

فإذا علمنا أن مفهوم العبادة في الإسلام هي العمل في شتى مجالات الحياة بما في ذلك السعي على الرزق بشرط أن يبتغي بعمله مرضاة الله عز وجل والدار الآخرة فإن أي عمل يبتغي به صاحبه المديح والثناء أو ما يعرف اليوم بالشهرة هو من الرياء، ولا يقبل الله من المرائي عمله سواء العبادات أو النسك أو السعي على الرزق، ودليل هذا ما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال تعالى: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه"(٢).

وذلك لأن المرائي لم يبتغ وجه الله تعالى وحده، وإنما جعل له شريكا أراد إرضاءه هو وإرضاء الناس أو الجماعة، فهو ممن أشرك الأغيار مع الله تعالى.

ومثل هذا العمل لا يقبله الله عز وجل لأنه أغنى الشركاء عن الشرك، فهو ليس فقيراً سبحانه أو محتاجاً حتى يقبل أن يشرك معه غيره فهو سبحانه ليس له شريك أو ولي من الذل، لا ذل الحاجة ولا ذل الضعف فمن أحوال البشر أن الواحد منهم لا يقبل مشاركة أحد له فيما يملك أو فيما ينسب إليه من الفضل والعطاء أو المنصب إلا إذا كان محتاجا لهذا

---

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ٤٢٠٢/٢، وانظر صحيح الأحاديث القدسية لعصام الضبابطي ح٨٠٧.

الشريك يسد عوزه وحاجته أو يشد من أزره أو غير ذلك مما يستدعي اتخاذ الشريك، أما في حالة الغنى عن الشريك والقوة الكافية للمنصب فإن الشريك مرفوض في هذه الحالة عزة وكرامة، فإذا كان هذا من كمال البشر، وحيث أن وصف الله تعالى بالكمال أولى، فنفي الشريك أو الولي بسبب ذل الحاجة وذل الضعف عن الله تعالى أولى، ومن ثم فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه تعالى.

والمرائي على خطر عظيم إذ هو على الشرك الأصغر الذي يمكن إن تمكن منه يزداد ويتحول إلى ما هو أخطر منه وهو الشرك الأكبر، ومن ثم كانت فتنة الرياء أخطر من فتنة الدجال أحيانا بدليل ما رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد مرفوعاً: "ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل"[1].

فأصل صلاة الرجل لله وَثِقَتُهُ بالله سبحانه وتعالى لكنه شعر بمن يراقبه وينظر إلى صلاته فإنه طلبا للثناء والسمعة الطيبة والوصف بالصلاح والتقوى ممن يحيطون به ـ أخذ يطيل الصلاة ـ ويزينها ويتخشع فيها بما ليس فيه، وذلك هو الشرك الخفي.

وهو خفي إما لأنه يدخل على صاحبه خِفْيَةً وإما لأنه أيضاً مخفي في نفس المصلي، لأن من يقوم بين يدي الله مصلياً ظاهره التوحيد وهذا الذي فعله ـ أي الشرك ـ يكون في نفسه مخفياً عن الناس.

---

(١) رواه أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري ٣/٣٠ ح١١٢٥٢، والحاكم في المستدرك ٤/٣٢٩ وصححه ووافقه الذهبي، والبزار مختصراً ح٢٤٤٧.

ثالثاً: إنكار بعض الأسماء الحسنى والصفات العليا لله عز وجل

قال تعالى ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[1] فكفرهم بالرحمن مع إقرارهم بالخالق كفر باسم من أسمائه سبحانه وتعالى إذ ورد في سبب نزول هذه الآية أنه لما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله فيهم ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾.

ويوضح هذا أيضاً ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجلا انتفض لما سمع حديثا عن النبي ﷺ في الصفات استنكارا لذلك فقال: "ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة في محكمه ويهلكون عند متشابهه"[2].

فقولـه رضي الله عنهما: "يهلكون عند متشابهه" للذي انتفض لما سمع وصفا لله عز وجل في حديث للنبي ﷺ كأنه استنكر نسبة هذه الصفة لله تعالى دليل على أن إنكار صفة لله عز وجل مما وصف به الله تعالى نفسه في القرآن الكريم ومما وصفه به رسول الله ﷺ في السنة هو من الشرك الأكبر لأنه لا يُهْلك إلا هو[3] وهذا في رأي ابن عباس رضي الله عنهما.

رابعا: الاستهزاء بالله ورسوله وأنبيائه وبكتابه وبدينه والسخرية من أهل الإيمان لإيمانهم كفر بواح

قال تعالى عن المنافقين وما حدث منهم في غزوة تبوك ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ

---

(١) الرعد: ٣٠.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، ص١٠٦.

(٣) هو: الضمير يعود على الشرك الأكبر.

﴿مَا تَحْذَرُونَ. وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ. لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾[1].

فقد ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال، قال رجل في غزوة تبوك: "ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه والقراء، فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته فقال: يارسول الله إنا كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق.

قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ وإن الحجارة تنكب على رجليه وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول رسول الله ﷺ ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ. لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ ما يلتفت إليه ولا يزيد عليه"[2].

هذا الحديث الشريف الذي يوضح لنا سبب نزول آيات التوبة وإن كانت في المنافقين إلا أن فعل هذا المنافق أو قوله أظهر ما في قلبه، فقوله هذا من الكفر وليس من النفاق لأن قول النفاق هو: قول المؤمنين في الظاهر، ويكون ما في قلبه مخالفاً ورافضاً لقول أهل الإيمان، أما هذه المقالة التي قالها الرجل فهي مقالةُ كفرٍ بواح مخرج عن الملة لأنه استهزأ بالله وبآياته وبرسوله، وأيضا بأصحابه ﷺ، فكشفت ما بقلبه من كفر كان

---

(١) التوبة: ٦٤ ـ ٦٦.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عند هذه الآية ١٨٢٩/٦ ح١٠٠٤٧، والطبري في تفسيره ٤٠٩/٦ ح١٦٩٢٨، والواحدي في أسباب النزول ص٢٥٦ ح٥١٣، وذكره في الدر المنثور ٢٥٤١٣ وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

يخفيه فدلت مقالته على أنه كان منافقاً وافتضح أمره فعلم أنه كافر.

فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ورغم إسلامه أو إيمانه صدر منه من الأقوال أو الأفعال ما يتضمن استهزاء بأمرٍ من أمور الدين معلوم بالضرورة ما استهزأ به إلا لصلته بالدين فهو كافر كفرا بواحاً.

والملاحظ أن عوف بن مالك رضي الله عنه لم يتوان عن وصف هذا الرجل بالنفاق ودافع عن رسول الله ﷺ وأصحابه وكذبه فيما قال، وتوجه على الفور لإخبار رسول الله ﷺ لأن هذا من الإخلاص لله ورسوله وليس لقائل أن يقول في هذا نميمة أو فتنة وإحداث فرقة بل هو عين الصواب وما يجب على المؤمن أن يفعله في مثل هذه الأحوال درءا للفتنة ومحافظةً وحمايةً لمجتمع المؤمنين ووحدة الأمة.

لذلك لما ذهب لرسول الله ﷺ وجد الوحي قد سبقه إليه ونزلت هذه الآيات الكريمة ويدل حرص النبي ﷺ على مخاطبة هذا المنافق بما نزل عليه لا يزيد على ذلك كلمة واحدة من عنده على أن الحكم على ما في القلوب من إيمان أو كفر ليس لأحد إلا لله عز وجل، ومن ثم كان كلامه ﷺ تكرار ما نزل عليه فيه وما يزيده عليه، كما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

ومن أجل ذلك لم يكن الرسول ﷺ يعاقب المنافقين على نفاقهم رغم علمه ببعضهم حتى لا يفتح بابا على الأمة فيأتي الحكام وأولو الأمر من بعده فيحكمون على الناس بالنفاق والكفر زعما أنهم يعلمون ما في قلوبهم.

وعلى هذا فكل من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله بمعناها الذي يتضمن البراءة من الآلهة والكفر بها فهو مسلم إلا أن يأتي عملا أو قولا من أعمال الكفر البواح بغير مانع ولا عذر شرعي مقبول.

خامساً: التحاكم إلى الطاغوت ومنه طاعة الأمراء والعلماء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله

لأنه لا مشرع إلا الله عز وجل، وهذا مبدأ من مباديء التوحيد مبني على مباديء تسبقه هي بمثابة المقدمات له، وهي:

١. أنه لا خالق إلا الله عز وجل.

٢. أنه لا مالك لجميع المخلوقات إلا الله عز وجل.

٣. لا مدبر لأمور جميع المخلوقات إلا هو سبحانه وتعالى.

٤. لا حاكم ولا مشرع إلا هو عز وجل.

وبيان هذا أنه بما أنه سبحانه وتعالى هو المتفرد بالخلق في الكون فالخالقية له وحده، وكل ما سواه مخلوق له عز وجل، وكذلك بما أن الأمر الكوني الذي تسير به جميع الخلائق له وحده ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[1]؛ فإنه مبني على هذين المبدأين أن يكون له أيضاً الأمر الشرعي الذي هو ضروري لهداية البشر في حياتهم فلا يضلوا ولا يخرجوا عن طاعتة وعبوديته.

فالخلق له وحده، والأمر له وحده، والحكم له وحده سبحانه، ومن ثم فلا يجوز أن يأخذ الإنسان حكما أو شرعا من غيره عز وجل ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾.

فمن توحيد الربوبية: إفراد الله تعالى بالحكم والتشريع والهدى، بل هذا أهم جوانب توحيد الربوبية لأنه هو الذي ينبني عليه توحيد الألوهية والعبادة السلوكية العملية.

فإذا اعتقد أحد من البشر أن من حق الأمير أو الرئيس أو الملك أو

---

(١) الأعراف: ٥٤.

العالم أو الولي تغيير حكم الله تعالى المنزل على رسله فيجعل ما حرمه الله تعالى حلالا، ويجعل ما أحله الله حراما، فإن هذا الفرد يكون بهذا الاعتقاد اتخذ من دون الله تعالى ربا، إذ يكون قد جعل هذا المشرع والمغير لشرع الله حاكما مع الله، وهذا شرك ربوبية، فإذا أطاع شرعاً غير شرع الله تعالى في مخالفة شرع الله عز وجل معتقدا أن هذا من حق الذي غير وبدل شرع الله تعالى وأن طاعته واجبة عليه فهو مشرك عابد له من دون الله تعالى.

عن عدي بن حاتم "أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1] فقلت له: إنا لسنا نعبدهم؟ قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ فقلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم"[2].

والحديث يتضمن تفسيرا لمعنى العبادة أوسع من مجرد الشعائر التعبدية إذ تشمل كل أعمال الإنسان في مجال المباح والمحرم وما بينهما والفرض منه والمندوب وما بينهما، فإذا كانت هذه الأعمال صادرة من العبد بموجب شرع الله معتقدا بوجوب تنفيذها طاعة له سبحانه ومعصية لسواه فهو موحد، وإن كانت صادرة منه بموجب شرع الله تعالى مثل تشريع الأحبار والرهبان أو الملك أو الرئيس أو البرلمان أو خلافه معتقدا بوجوب طاعة هذا الشرع ولو كان مخالفا لشرع الله تعالى فقد عبده من دون الله عز وجل أي يكون قد اتخذه ربا وإلها في نفس الوقت وهذا من الشرك الأكبر.

---

(١) التوبة: ٣١.

(٢) رواه الترمذي كتاب التفسير، باب ومن سورة التوبة ح٣١٠٤ وقال: غريب، ورواه ابن جرير في تفسيره من طرق متعددة عن عدي ٦/٣٥٣ ح١٦٦٤٦، ١٦٦٤٧، ١٦٦٤٨.

فلا يجوز أن يحيد العبد عن حكم الله تعالى إلى حكم غيره، ويدلل الشيخ محمد بن عبد الوهاب على هذا المبدأ الرئيس من مباديء التوحيد بذكر قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله ﷺ، وتقولون قال أبو بكر وعمر؟!"(١).

أي أنه لا يجوز أن يترك المسلم قول رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى والذي هو المبلغ عن ربه عز وجل شرعه وهديه إلى قول غيره أيا كان هذا الغير حتى ولو كان أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

ويشدد ابن عباس رضي الله عنهما في هذا حتى إنه ليتوعدهم إن هم أصروا على هذا المسلك الخاطيء أنه ربما تنزل عليهم حجارة من السماء.

ويورد الشيخ بهذا الصدد قول الإمام أحمد رحمه الله: "عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ويذهبون إلى رأي سفيان!! والله تعالى يقول ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٢)، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك"(٣).

فالفتنة عند الإمام أحمد رحمه الله هي الشرك يصيب القوم الذين ثبت عندهم صحة الأثر عن النبي ﷺ وعرفوا سنده ثم يتركون قوله ﷺ أو سنته ويذهبون لقول عالم من العلماء فيقعون في المحذور الذي حذر الله تعالى منه، وهو مخالفة أمر الله عز وجل ويستخفون بوعده سبحانه بالفتنة أو العذاب الأليم.

---

(١) مؤلفات الشيخ، ق١، ص١٠٢ كتاب التوحيد.
(٢) النور: ٦٣.
(٣) مؤلفات الشيخ، ق١ / ص١٠٣٢ كتاب التوحيد.

وقد فسر الإمام أحمد الفتنة في هذه الآية الكريمة بالشرك وزيغ القلب، وهذا يدل على أن رفض أي حكم لله تعالى ولرسوله ولو كان في أمر جزئي محدود فإنه وقوع في الشرك وزيغ في القلب. وطاعة الآمر المخالف المنسوب لغير الله هو بمثابة اتخاذ هذا الغير ربا من دونه سبحانه وتعالى.

يوضح بعد هذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أن ما حدث عند اليهود باتخاذ الأحبار أربابا بقبول تشريعهم في مخالفة شرع الله تعالى حدث نظيره عند المسلمين باتخاذ الأولياء والصالحين أرباباً من دونه عز وجل فقال عن أحوال المسلمين في عصره: تغيرت الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار الأكثر إلى أنَّ عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، وتسمى الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيرت الحال إلى أنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ الله مَنْ ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين [١].

والاسم الجامع لكل هذه الأرباب الباطلة المعبودة من دون الله تعالى هو الطاغوت فمن يتحاكم إلى الطاغوت راضيا بحكمه عازفا عن حكم الله تعالى فهو كافر بالله تعالى مؤمن بالطاغوت وهو كفر مخرج من الملة وليس بعده كفر.

ومن ثم لا يكون الإنسان موحدا إلا إذا كفر بالطاغوت وآمن بالله تعالى وحده، ولا يتم له هذا إلا إذا استسلم لشرعه وحده سبحانه وكفر بكل ما سواه من الشرائع والأنظمة، قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا . وَإِذَا قِيلَ

(١) مؤلفات الشيخ / ق١ / ص١٠٣ كتاب التوحيد.

﴿لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا. فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾[1].

فالإيمان بالله تعالى وبرسوله وبما أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ يقتضي من المؤمن أن يكفر بالطاغوت وبالتالي يستلزم منه أن لا يقبل حكما من غير الله تعالى باعتباره واجب الطاعة وهذا يعني رفض التحاكم إلى أي حكم من دون الله عز وجل وإلا صار مؤمنا بالطاغوت كافرا بالله عز وجل، وذلك مِن علامات الكفر والنفاق والمروق عن حكم الله عز وجل والإقبال على التحاكم بحكم ما سواه أي الطواغيت مؤثرين حكم الجاهلية على حكم الإسلام قال تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾[2].

لذلك جاء حكم الإسلام والكفر على رجل من الذين أعلنوا الإسلام كانت بينه وبين يهودي خصومة فرغب اليهودي أن يحتكما إلى رسول الله ﷺ لأنه كان صاحب الحق، ويعلم عدل رسول الله ﷺ وإنصافه، ولكن الرجل المنتمي إلى الإسلام رفض الاحتكام إلى النبي ﷺ وطلب الاحتكام إلى غيره فنزلت فيه آيتا النساء اللتان وصفتاه ووصفت أمثاله، قال الشعبي: "كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد ـ لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة ـ وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا أن يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما إليه فنزلت ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ.. الآية﴾[3].

وكذلك ورد في الأثر في سبب نزول آيتي التحاكم إلى الطاغوت

---

(١) النساء: ٦٠ـ٦٢.

(٢) المائدة: ٥٠.

(٣) مؤلفات الشيخ / ق١/ ص١٠٥ كتاب التوحيد.

أنهما نزلتا في: "رجلين اختصما فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر فذكر له أحدهما القصة فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك، قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله"[1].

لأن فعل هذا الرجل الذي اعترف بأنه لم يرض بتحكيم رسول الله ﷺ راضيا بتحكيم اليهودي كعب بن الأشرف هو كفر صريح بالله عز وجل وإيمان بالطاغوت فلما شهد على نفسه بهذا كأنه شهد على نفسه بالكفر والردة واستحق القتل على هذا الفعل الذي هو خروج صريح واضح عن الملة ومن ثم ورد عن النبي ﷺ في بيان حالة النفس المؤمنة أنها لا تهوى إلا ما جاء به عليه الصلاة والسلام وما نزل عليه من الحق والهدى، وبالتالي لا يكون مؤمنا مع كره ما جاء به النبي ﷺ من الحق والهدى.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به"، قال النووي: حديث صحيح[2].

سادسا: دعاء غير الله تعالى والاستغاثة به شرك أكبر

وهو من الشرك الأكبر فمن دعا غير الله تعالى أيا كان هذا الغير صنما أو شمسا أو وليا أو حتى نبيا فإنه يكون قد عبده من دون الله تعالى وجعله له شريكا في الملك أو الأمر أو التدبير، وقد سبق بيان أن أساس التوحيد وحقيقته وأصله الأول هو إفراد الله تعالى بالخالقية، وبالملك، وبالتدبير، وبالحكم، فإذا كان الداعي يدعو غير الله تعالى اعتقادا منه أنه مالك مع الله عز وجل أو اعتقادا منه أنه شريك لله في الأمر أو شريك له

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مؤلفات الشيخ / ق١ / ص١٠٤ كتاب التوحيد.

في التدبير فهو شرك ربوبية وألوهية صريح مخرج من الملة.

لأن اعتقاده هذا شرك ربوبية إذ جعل مع الله هذا الغير **وهو شرك ألوهية** بدعائه من دون الله والطلب منه لأن الدعاء من العبادة بل هو مخ العبادة.

وإذا كان الداعي لغير الله تعالى يدعوه اعتقادا منه أنه مجرد شفيع يقربه إلى الله تعالى زلفى وأن الله تعالى لا يستجيب للداعي إلا عن طريق هذا الشفيع باعتبار أن لهم خلافة تكوينية واختصاصات في تدبير الكون، **فهو أيضا شرك صريح** مخرج من الملة وهو الذي كان عليه مشركو العرب في الجاهلية، قال تعالى ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ. وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

أي أن كل من يدعونهم من دون الله لا ينفعون ولا يضرون ومن الشرك دعاؤهم لقوله ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي المشركين، فدعاء غير الله تعالى من الشرك الأكبر الذي كان عليه العرب، قال الله تعالى لهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2]، لأنه لا رازق إلا الله عز وجل، فلا يطلب الرزق من غيره، ولا يطلب إلا من الله سبحانه.

كل ما يدعونه من دون الله إن كانوا من المخلوقات غير العاقلة كالأصنام والأحجار والأشجار والأنهار والأنعام فهم لا يسمعونهم ولا يستجيبون لهم، وإن كانوا ملائكة لا يسمعونهم وإن سمعوهم لا يستجيبون

---

(١) يونس: ١٠٦، ١٠٧.

(٢) العنكبوت: ١٧.

لهم ولا يستطيعون لأنهم لا يفعلون في عالم البشر إلا ما أمرهم به الله عز وجل، ومن ثم لا معنى لدعائهم لأنهم لا يملكون ولا يدبرون مع الله شيئا ولا يأمرون بشيء وإنما هم منفذون لأمره تعالى، فدعاؤهم شرك أيضا، وضلال من الداعي لأنه يدعو من لا يستجيب له أبداً ولا يستجيب إلا إلى أمر الله تعالى.

وإن كانوا من البشر الحاضرين للداعي فليس هذا دعاء وإنما يكون طلبا لأن الدعاء لا يكون إلا للغائب، ومن ثم إن كانوا بشرا لزم أن يكونوا غائبين ودعاء البشر الغائبين يكون في حال موتهم ودعاء الميت لا يكون إلا باعتقاد من الداعي أنه يسمع ويقدر أن يجيب ويستجيب للداعي وينفذ ما يريد منه، وهذا يعني نسبة خصائص الربوبية لهذا الميت الذي هو في الحقيقة لا يمكنه الإجابة إلى يوم القيامة أيا كان هذا الميت وليا أو نبيا أو رسولا لأن عبارة ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ تشمل كل مخلوق لأن كل ما سوى الله تعالى من الخلق هو من دونه، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ. وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾[1].

الموتى لا يستجيبون لمن يناديهم إلى يوم القيامة لأنهم أموات لا يشعرون أيان يبعثون وهم في غفلة عن دعاء الداعين لهم، بل إنهم يوم القيامة سيصيرون أعداء لهم ويعلنون إنكارهم عبادتهم إياهم وكفرهم بهذه العبادة ويعلنون تبرأهم منهم.

يدل قوله تعالى ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ على أن الذين يدعونهم من دون الله تعالى سيقفون معهم يوم القيامة ويحشرون معهم فهم إذن من موتى البشر بل الآية تدل على أنهم من الأنبياء والأولياء والصالحين لأن كفرهم بعبادتهم

---

(١) الأحقاف: ٥، ٦.

يدل على أنهم من الموحدين الذين يعرفون أن العبادة لا تجوز إلا لله تعالى وحده، كما أن عداءهم للمشركين يدل أيضا على أنهم من الأنبياء والأولياء والصالحين الذي كان المشركون يعبدونهم من دون الله، يؤكده ويوضحه تبرؤ المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام من النصارى ودعائهم إياه هو وأمه.

تدل أيضا آيتا الأحقاف على أن الدعاء عبادة فمن دعا أحدا من دون الله تعالى فقد عبده لقوله تعالى في أول النص﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وقوله عن هذا الفعل الذي هو دعاء غير الله تعالى في آخر النص ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ فكأن العبادة والدعاء فعل واحد أو كأن لفظي العبادة والدعاء مترادفان.

والسؤال الاستفهامي ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾[1].

وهو سؤال ليس له إجابة عند المشركين إلا قولهم: هو الله وحده، لأنهم لا يلجأون إلا إليه، ولا يدعون غيره ساعة الاضطرار، وفي حالة السوء، فيجعلون إلها مع الله تعالى في ساعة اليسر والأحوال المعتادة، ويدعون غيره بينما يلجأون إليه وحده ساعة العسرة والشدة ولحظة الخطر.

وهذا من العجب العجاب كما يقرر الشيخ محمد بن عبد الوهاب: وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إذا دعاه إلا الله ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

وحيث إن دعاء المضطر لا يكون إلا للاستغاثة، وحيث إنه لا دعاء من مضطر إلا لله تعالى، فإن الأمر العجيب أيضا أن الإنسان قد يلجأ في الأحوال غير الاضطرارية للاستغاثة بالمخلوق كما حاول نفر من الصحابة

(١) النمل: ٦٢.

الاستغاثة بالرسول ﷺ فيما رواه الطبراني بإسناده: أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: "إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله"[1].

فالاستغاثة بغير الله تعالى: إذا كان دعاء وتضرعا لغائب أو ميت اعتقاداً أنه يسمع ويبصر ويجيب المستغيث فهي من الشرك الأكبر كما هو دعاء الغائبين من موتى الأنبياء والصالحين وغيرهم لأنه دعاء لدرء خطر.

أما إذا كانت الاستغاثة بحاضر حي قادر كما حدث من الصحابة مع رسول الله ﷺ فهي طلب نجدة وهذا جائز من قبيل الأخذ بالأسباب المشروعة، أي طلب النجدة أو طلب المساعدة، ولكن من الخطأ طلب النجدة من المخلوق بلفظ الاستغاثة وهذا لا يجوز وقد نهى رسول الله ﷺ عنه فلا يقال للحي ذي الجاه والقوة والسلطان أغثنا لأنه لا يستغاث إلا بالله، ومن ثم يصبح استخدام هذا اللفظ مع غير الله تعالى من الشرك الأصغر، إذا كان بقصد طلب المساعدة، ويدل نهي المصطفى ﷺ عن استخدام لفظ الاستغاثة مع المخلوقين بدلا من لفظ النجدة أو الإنقاذ أو الحماية أو المباعدة عن مدى حرصه ﷺ على حماية حمى التوحيد والتأدب مع الله[2].

ويؤكد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أن دعاء غير الله تعالى هو عبادة من الداعي لهذا الغير فهو شرك صريح أكبر وكفر بواح، ذلك أن الداعي طالب حاجة، فلا يكون دعاء من داعٍ إلى مدعو غائب إلا إذا كان معتقدا فيه الدوام والحياة والسمع والبصر والقدرة من حيث كونها صفات محيطة بكل شيء وهذا الوصف لا يجوز إلا لله تعالى وحده.

---

(١) رواه الطبراني

(٢) مؤلفات الشيخ / ق١ / ص٤٤.

والعرب تصف قضاء الحاجة وتعبر عنه بالنصرة، فإذا لبى المدعو طلب الداعي فقد نصره حسب معنى لفظ النصرة عند العرب إذ ليس معنى النصرة في العربية محصورا في الغلبة على العدو في الحرب كما هو شائع الآن، وإنما هو أوسع من هذا إذ يتضمن تحقيق طلب الطالب ومن ثم عبر العرب عن نزول المطر من السماء بالنصر لأن فيه تلبية طلبهم بالغيث فكل من يدعو أحدا فإنما يدعوه طالبا منه طلبا فإذا استجاب له وأعطاه إياه فقد نصره وإذا لم يلبِّ طلبه فقد خذله.

والطلب من الحاضر العاقل القادر على المطلوب هو من الأعمال المشروعة أخذا بالأسباب بشرط الاعتقاد بأن هذا الذي يفعله الحاضر إنما هو بحول الله وقوته وبإذنه وقدرته وتوفيقه وعونه وليس بإحداث من هذا الفاعل أو بقدرة مستقلة عن قدر الله عز وجل، فإذا نسب الفعل إليه استقلالا وإحداثا فإنه يكون شركا كما أن اعتقاد المعتقد بأن الأسباب تتيح النتائج هو أيضا من الشرك.

أما المتوجه للأسباب أو للفاعلين من الناس بما يطلب ويحتاج، مع الاعتقاد بأنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأنه لا خالق إلا هو، وأنه لا يحدث الشيء في الكون بسببه أو بفاعله إلا بخلق الله تعالى وبإذنه وقَدَرِهِ فهذا هو التوكل على الله تعالى، والذي لا يتم توحيد العبد إلا به.

ويخالف هذا الموحد المتوكل على الله وحده هذا الذي يكون على النقيض منه تماما وهو الذي يدعو غائبا غير الله معتقدا أنه قادرا على نصره أي تحقيق مطليه فهو المشرك الصريح، قال تعالى ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ. وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾(١).

---

(١) الأعراف: ١٩١ ـ ١٩٢.

فهم لا يحققون لأنفسهم طلبا ولا يستطيعون إلا أن يحققه الله تعالى لهم من رزق أو أمن أو غيرهما فكيف يحققون شيئا من هذا لغيرهم!! كيف ينصرون غيرهم.

وقوله ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ. إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾(١).

فالخلق لله تعالى وحده، والملك له وحده، والأمر له وحده، ولا يملك مخلوق لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب من الخلق أو الملك أو الأمر شيئا وليس لهم من السمع ما يسمعون به كل صوت في الكون وليس لهم من البصر ما يبصرون به كل مرئي في الكون المخلوق، وليس لهم من القدرة ما يحققون به مطالب الداعين فهم لا يسمعون دعاءهم، ولو سمعوا بعض الداعين ما استطاعوا أن يلبوا مطالبهم، ومن ثم لا يلبي المطلب للطالب إلا المطلوب منه الحي في حدود استطاعته، وبحول الله تعالى وقوته، وبإذنه، أما الميت أو الغائب فدعاؤه والطلب منه شرك اعتقادي وشرك عملي طلبي فهو عبادة لغير الله في جميع الأحوال ومن ثم فهو من الشرك الأكبر.

والأدلة التي يسوقها الشيخ رحمه الله على أن الدعاء لغير الله تعالى الغائب والاستغاثة بهذا الغير الغائب من الشرك الأكبر ما استنبطه من النصوص السابقة وهي:

١. أن عطف **الدعاء على الاستغاثة** من عطف العام على الخاص.

٢. أن **أصلح الناس** لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين.

---

(١) فاطر: ١٣، ١٤.

٣. ودعاء **الغائب** أيّاً كان ملكا أو نبياً أو ولياً لا ينفع في الدنيا مع كونه كفراً.

٤. أنه **لا أضل** ممن دعا غير الله.

٥. تسمية تلك الدعوة **عبادة** للمدعو.

٦. هذه الدعوة سبب **كونه أضل** الناس[١].

سابعاً: ليس للرسول ﷺ المصطفى الخاتم خليل رب العالمين شيء من الخلق أو الأمر ومن دعاه من دون الله معتقدا أن له شيئا في الأمر الكوني مع الله فهو مشرك:

قال تعالى لنبيه الكريم ﷺ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[٢]، لأن الأمر لله تعالى وحده، وفي الصحيح أن سبب نزول هذه الآية قول النبي ﷺ بعد أن شج يوم أحد وكسرت رباعيته: "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾".

فكأن رسول الله ﷺ قد حكم بعدم فلاحهم أبدا بفعلهم هذا فقال كلمته هذه أو كان قبل هذا الحادث يأمل أن يهديهم الله تعالى رغم حربهم له وللمؤمنين فلما تعدى اعتداؤهم إلى شخصه الكريم ﷺ توقع عدم فلاحهم فنزلت هذه الآية الكريمة يبين الله تعالى له فيها أن أمر فلاح العباد أو ضلالهم بيده وحده سبحانه لا شريك له في الأمر كما أنه لا شريك له في الخلق قال تعالى ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[٣].

كذلك لم يقبل الله عز وجل ولم يستجب لنبيه الكريم ﷺ دعاءه باللعنة على أشخاص بأسمائهم وأنزل عليه ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ففي

---

(١) مؤلفات الشيخ / ق١/ ص٤٣ ـ ٤٤ بتصرف.

(٢) آل عمران: ١٢٨.

(٣) الأعراف: ٥٤.

الصحيح أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه "سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: اللهم العن فلانا وفلانا بعدما يقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾.

وفي رواية: جاء ذكر أسماء هؤلاء الأشخاص بقوله: "يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾(١).

وكما أنه ﷺ ليس له من الأمر شيء فإنه أيضا لا يملك لأهله وعشيرتِهِ شيئا إلا بإذن الله وأمره ففي الصحيح أيضا عن أبي هريرة قال: "قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾(٢)، فقال: يامعشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، ياعباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، ويافاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا"(٣).

وقد علق الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى على هذا الحديث الشريف بقوله: قوله ﷺ للأبعد والأقرب: "لا أغني عنك من الله شيئا" حتى قال: "يافاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا" يدل على غربة الدين في أيامنا هذه. فإذا صرح وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئا عن سيدة نساء العالمين وآمن الإنسان أنه ﷺ لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم تبين له التوحيد وغربة الدين(٤).

---

(١) مؤلفات الشيخ / ق١ / ص٤٥.

(٢) الشعراء: ٢١٤.

(٣) مؤلفات الشيخ / ق١ / ص٤٦.

(٤) المصدر السابق ص٤٧.

ويقصد الشيخ من عبارته الأخيرة ما وقع في قلوب أكثر العباد من العامة وفي بعض الخاصة من المتصوفة وغيرهم من تعظيم لشأن رسول الله ﷺ بما ليس له من الملك والأمر مخالفين هذه النصوص الصريحة المحكمة التي هي في جوهر التوحيد الإسلامي الخالص والتي تعتبر مخالفتها من الشرك الأكبر البواح.

لأن من جعل للنبي ﷺ من الأمر الكوني ما لم يجعله الله تعالى له بل نفاه عنه وعن غيره كالملك والأمر الذيْن هما لله تعالى وحده كالخلق سواء بسواء، فإنه يكون قد أشرك شركا أكبر بواحا.

ويشير الشيخ إلى تفشي هذه الانحرافات العقدية بين الناس في عصره بعبارته: تَبَيَّنَ له التوحيد وغُرْبَةُ الدينِ.

فمن اعتقد أن مخلوقا يملك ذرة في السموات والأرض أو أنه شريك لله في الأمر أو أنه ظهير لله تعالى حتى أنه قادر على الشفاعة بدون إذن من الله سبحانه وتعالى فهو مشرك حتى ولو كان هذا المخلوق هو أحب خلق الله تعالى إليه وهو رسول الله ﷺ، قال تعالى ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ . وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[1].

أي أن هؤلاء الذين يدعونهم من دون الله أيا كانوا: ملائكة أم أجْراماً سماوية أم أنبياء أم أولياء لله تعالى لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، فنفى عنهم ملكية أي شيء مهما صغر وحقر ولو كان ذرة، ومن ثم فليسوا شركاء لله تعالى في شيء من السماء أو من الأرض مهما صغر هذا الشيء، وليس من هؤلاء بناء على هذا كله؛ من

---

(١) سبأ: ٢٢، ٢٣.

يملك لله تعالى عونا أو مساعدة له سبحانه وتعالى، وعزَّ سبحانه أن يكون فقيرا أو محتاجا لغيره فلا ظهير له من خلقه على الإطلاق حتى ولا أحب خلقه إليه، ويبقى أن يكون لأحباء الله وأوليائه شفاعة عنده لمن يتشفعون له وبخاصة أحب الخلق إليه رسول الله ﷺ، هذه الشفاعة بمعنى طلب الشافعين لغيرهم من الله جائزة بشرط أن يعتقد المعتقد أن الشافع لا يستطيع ولا يمكن أن يشفع عند ربه لغيره إلا بإذن الله تعالى.

إن تفرد الله تعالى بالخالقية يثبت لما سواه المخلوقية، ومن يخلق يملك ما يخلق بإثبات الخالقية لله وحده، وإثبات الملك له وحده، ومن يملك له الأمر والتدبير، والتصريف فيما يملك ومن ثم يكون له الأمر وحده، ومن ناحية أخرى وَصْفُ كلِّ ما سواه بالمخلوقيةِ وَصْفٌ له بالمملوكيةِ أي أنه مملوك لله تعالى وليس مالكا ومن ثم ينتفي أن يكون له من الأمر شيء **وعلى هذا تضمنت آيتا سبأ الأصول التوحيدية الآتية:**

١. **لا يملك غير الله تعالى** شيئا في السموات ولا في الأرض، لا قطميراً ولا حتى ذرة، لأن كل ما سواه مملوكٌ فكيف يكون مالكا؟ فنفي الملكية عن كل ما سواه في السموات والأرض لذرة واحدة نفي مطلق لا استثناء فيه، وهو في نفس الوقت إثبات الملكية المطلقة في الكون كله لله وحده سبحانه، ومن ثم لا يملك الذين يدعونهم المشركون من دون الله من أهل السموات أي الملائكة والأجرام السماوية شيئا على الإطلاق في السموات، كما لا يملك الذين يدعونهم من أهل الأرض ذرة في الأرض لأن كل ذرات الكون وكل مخلوقاته من خلق الله وحده فلا مالك لها جميعا إلا هو، وحيث إنهم لا يستطيعون خلق هذه الذرة فكيف يزعمون ملكيتهم لها؟ فلا مالك في السماء إلا الله تعالى مالكا على الحقيقة، وكذلك الحال بالنسبة لمن يدعونهم من أهل الأرض إذ لا يملك أهلها ذرة على الحقيقة إلا أن يملك الله تعالى من يشاء من أهلها ملكية استخلاف فيه

نيابية مؤقتة للابتلاء والامتحان وليست ملكية حقيقية مستقلة عن ملك الله عز وجل للكون.

٢. **نفي الله تعالى أن من يدعونهم من دون الله يشاركونه** عز وجل في الأمر والتدبير والتصريف لا في أهل السموات ولا في أهل الأرض.

٣. **نفى سبحانه أن يكون أحد من أهلها ظهيرا** له أي معينا أو مساعدا له، لا في الخلق ولا في الملك ولا في الأمر ولا في التدبير ولا في التصريف لأنه أغنى الشركاء عن الشرك سبحانه وتعالى.

ينبني على هذه التنزيهات الثلاثة لله عز وجل تنزيه رئيس يخالفه أكثر المشركين وهو:

تنزيه الله عن أن يكون في الكون كله من أهل السموات أو من أهل الأرض مخلوقٌ يملك الشفاعة عنده بدون إذنه حتى ولو كان أحب خلقه إليه سيدنا محمد ﷺ.

لأنه لو اعتقد مسلم هذا الاعتقاد فإنه يكون قد جعل هذا الشفيع مالكا لجزء من الكون، وبالتالي يكون شريكا في جزء من الأمر، يخص هذا الجزء المملوك له في الكون، ومن ثم ينبني عليه أن يكون شريكا في تدبير هذا الجزء وتصريفه، حتى إنه يكون من حق هذا الشفيع أن يشفع في هذا الأمر الذي يملكه ويملك حق تدبيره وتصريفه دون أن يأذن الله تعالى له في الشفاعة، وهذا هو عين الشرك الأكبر الصريح لأن من يعتقد أن رسول الله ﷺ يشفع بدون إذن الله تعالى في أمر من أمور الكون لمن يريد أن يشفع له دون إذن من الله تعالى له في هذا فقد جعله مالكا مع الله تعالى مدبرا مع الله تعالى مصرفا هذا الأمر تصريفا كونيا مع الله تعالى، وهذا هو الشرك الأكبر البواح.

وحيث إن الشفاعة نوع من الدعاء لأنها دعاء الشافع للغير وليس

لنفسه لذا كان دعاء العبد للشافع من دون الله معتقدا أنه يستجيب له يعني أنه يعتقد أن الشافع له شركة مع الله في الأمر والتدبير وبالتالي في الملك.

فالموحد الذي ينزه الله تعالى هذه التنزيهات الثلاثة آنفة الذكر ينبغي عليه بناء عليها أن ينزهه سبحانه عن وجود شفيع بدون إذنه، فمحال على الله تعالى أن يوجد في الكون شفيعٌ يشفع بدون إذنه فيما يشفع له ولمن يشفع له وبالكيفية التي يشفع بها، بل مرد ذلك كله لله تعالى، قال تعالى ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[1]، فوقوع الشفاعة بإذنه نفي أن يكون الشافع شريكا لله عز وجل.

ورد في الصحيح عن أبي هريرة في تفسير قوله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾[2] عن النبي ﷺ: "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خَضَعَاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، ينفذهم ذلك، حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه، فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا. فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء"[3].

فهذا الحديث الشريف يثبت تفرد الله تعالى بالأمر وحده لا يشاركه

---

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) سبأ: ٢٣.

(٣) الحديث أخرجه البخاري كتاب التفسير، باب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ ح٤٨٠٠، ٤٧٠١، والترمذي كتاب التفسير، باب ومن سورة سبأ ح٣٢٣٧ وقال: حسن صحيح.

فيه غيره من أهل السموات ومن أهل الأرض مما ينفي عنهم شفاعتهم إلا بإذنه تعالى فقوله: "ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله" خشيةً له تعالى وخوفا من أمره فيبادرون بالسؤال عما قضى الله تعالى وهذا ينفي عنهم المشاركة في الأمر[١].

ورواية النواس بن سمعان رضي الله عنه توضح لنا ذلك فعنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أراد الله أن يوحي الأمر تكلم بالوحي فأخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفا من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أرد ثم يمر جبريل على الملائكة كلها كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ما ذا قال ربنا ياجبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله تعالى".

ويعلق الشيخ محمد بن عبد الوهاب على هذا الحديث الشريف برواية أبي هريرة ورواية النواس بن سمعان بقوله عن آيتي سبأ[٢] أن فيهما: من الحق على إبطال الشرك خصوصا ما تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب[٣].

فرجفة الملائكة وما يصيبهم من الغشية خوفا من الله عز وجل ووقوعهم له سجدا يثبت عبودية كل الخلق في السموات والأرض له سبحانه، وهذا يكذب من يتوهم وجود شفيع من الملائكة أو المرسلين أو الأولياء والصالحين إلا بإذنه سبحانه وتعالى، وبالشروط المذكورة آنفا.

---

(١) مؤلفات الشيخ / ق١ / ص٤٨.
(٢) الآيات: ٢٢، ٢٣.
(٣) المصدر السابق ص٤٩.

فإذا كانت الشفاعة لا تكون للملائكة الذي ينفذ الله تعالى بهم أمره الكوني إلا بإذنه فهي لا تكون لأهل الأرض إلا بإذنه أيضا.

ثامناً: لا شفاعة لمخلوق ولا حتى لرسول الله ﷺ إلا بإذن الله فيمن يشفع لهم، وفيما يشفع لهم:

إذا تقرر لنا مما سبق أن تفرد الله تعالى بالملك وبالأمر وبالتدبير بناء على تفرده بالخالقية يوجب إفراده سبحانه بالربوبية ووصف كل ما سواه بالعبودية فإن هذا يستتبع نفي وجود الشفيع بدون إذنه بما في ذلك شفاعة رسول الله ﷺ الذي هو خليله عز وجل.

قال تعالى مقررا هذه الأصول العامة الشاملة للتوحيد ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾(١)، وقال تعالى ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾(٢).

وقال تعالى نافيا الشفاعة عن كل ممن يدعونهم من دون الله تشفعاً إلى الله عز وجل ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ . وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾(٣).

وقال تعالى نافيا الشفاعة والولاية للمشركين الذين يدعون من دونه شفعاء وأولياء ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(٤).

---

(١) البقرة: ٢٥٥.
(٢) النجم: ٢٦.
(٣) سبأ: ٢٢، ٢٣.
(٤) الأنعام: ٥١.

وقال تعالى ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا﴾[1].

أي هو الذي يملك كل أمور الشفاعة ولا يملك الشفعاء من الشفاعة إلا في حدود المأذون لهم فيه من الله فهي له جميعا ابتداء منه سبحانه، وانتهاء إليه بإذنه، ويستشهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بتفسير شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لهذه الآيات: قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عونا له، ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾[2].

فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه "يأتي فيسجد لربه ويحمده (لا يبدأ بالشفاعة أولاً) ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل تُسمع، وسل تعط، واشفع تشفع"[3].

وقال له أبو هريرة: "من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه"[4]، فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص[5].

---

(١) الزمر: ٤٤.

(٢) الأنبياء: ٢٨.

(٣) رواه البخاري كتاب التفسير، سورة الإسراء ح٤٧١٢، ومسلم في الإيمان، باب من أدنى أهل الجنة منزلاً ح١٩٤ من حديث أبي هريرة.

(٤) رواه البخاري كتاب العلم، باب الحرص على الحديث ح٠٥٧٠، وأحمد في المسند ٣٧٣/٢.

(٥) مؤلفات الشيخ / ق١ / ص٥١، ٥٢.

ويستنبط الشيخ من كلام شيخ الإسلام الأمور التالية:

١. **صفة الشفاعة المنفية** وهي التي لم يأذن بها ولم يأذن لها الله تعالى ومنها الشفاعة للكافر أو المشرك.

٢. **صفة الشفاعة المثبتة** وهي التي يأذن بها الله لمن يشاء فيمن يشاء وهم أهل التوحيد في محو الذنوب ما يشاء الله منها وهي ما دون الشرك.

٣. **استدلال شيخ الإسلام بالشفاعة الكبرى** للنبي ﷺ وهي المقام المحمود وأنه لا يبدأ بالشفاعة يوم القيامة إلا بعد أن يأذن الله تعالى له بعد سجوده ويقال له: " . . . . . واشفع تشفع"(١) وليس قبل ذلك.

تاسعاً: الشفاعة يوم القيامة ليست للمحسنين لأنهم* يستغنون بأعمالهم عنها، وإنما هي لمن أوجبت لهم أعمالهم العذاب ولمن قصرت أعمالهم عن إدخالهم الجنة:

قال تعالى ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ. وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢).

يأمر الله تعالى النبي الكريم ﷺ بإعلان عبوديته له سبحانه ونفي أي صفة للربوبية عن نفسه من الملك أو علم الغيب وأنه ليس إلا متلقيا منفذا أوامر الله تعالى الصادرة إليه ومبلغا لها.

---

(١) هو جزء من الحديث السابق.

(*) إلا في رفع الدرجات في الجنة وكذلك يستفيدون من الشفاعة العظمى في فصل القضاء وكذلك في دخول الجنة بغير حساب.

(٢) الأنعام: ٥٠، ٥١، ٥٢.

وأول من ينذرهم ويبلغهم بالوحي الذين سينتفعون به ويهتدون به هم الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم، وهم الذين يدعون ربهم وحده بالغداة والعشي يريدون وجهه، الذين لا يحاسب الله رسوله على أعمالهم، كما لا يحاسبهم الله على أعماله هو عليه الصلاة والسلام، هؤلاء هم الصحابة السابقون إلى الإسلام والإيمان، يوصي الله تعالى نبيه الكريم ﷺ بهم خيرا فلا يطردهم، هؤلاء ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع، وهم الأقرب إلى الصلاح والتقوى ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

وعلى هذا، فليس للمؤمنين بالله وباليوم الآخر الموحدين من دون الله من ولي ولا شفيع كما أنه ليس للسابقين من دون الله من ولي ولا شفيع يوم القيامة، ومعلوم أن عبارة ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أيْ من غير الله تتضمن نفي أن يكون النبي ﷺ وليا لهم من دون الله أو شفيعا لهم من دون الله يوم القيامة أيضا، أي أن رسول الله ﷺ ليس لهؤلاء الأتقياء ولكل الأتقياء وليا أو شفيعاً؟ **كيف والشفاعة ثابتة للرسول ﷺ يوم القيامة بمعنيين**: الشفاعة العظمى لكل البشر، وشفاعته لأهل الكبائر من الأمة؟؟ وذلك لأن الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم وهم أقرب للتقوى هم الصحابة رضوان الله عليهم خير قرون الأمة، وليس لهم من دون الله ولي، لأن الله هو وليهم وليس لهم شفيع يوم القيامة لأنهم لن يحتاجوا إليه، إذ ينجيهم إيمانهم وجهادهم وتوحيدهم من العذاب، ويدخلهم الجنة بفضله ومنه عليهم فلن يحتاجوا إلى شفاعة ولا حتى شفاعة رسول الله ﷺ، فمن أسرع به عمله فوق الصراط لا يحتاج إلى شفيع وإنما الذي سيحتاج إلى شفاعة النبي ﷺ هم الذين ارتكبوا الكبائر الموجبة للعذاب ولذلك قال رسول الله ﷺ: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"(١).

(١) رواه الشيخان في صحيحهما.

وبناء عليه قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: "من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة".

أي أن شفاعته ﷺ لمن آمن بالله تعالى وحده وكفر بالطواغيت ومات موحدا، غير أن أعماله قصرت به أن تنجيه من العذاب فينجيه رسول الله ﷺ بشفاعته إلى ربه، أو أن يقصر به عمله عن دخول الجنة فيشفع له النبي ﷺ ليدخل الجنة.

فالأساس في النجاة من النار والفوز بالجنة هو عمل العبد بعامة وتوحيده وخلوصه من الشرك بخاصة، هذه الأحكام الخاصة بالشفاعة في آيات الأنعام السابقة تتضمنها أيضا بوضوح آيات سورة الزمر التي يقول رب العالمين سبحانه وتعالى فيها ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ. ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ. أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ. قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ. وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾[١].

وحيث إن الوسيلة هي عمل العمل إذْ أمر الله تعالى المؤمنين بتقوى الله وابتغاء الوسيلة إليه بقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ فأمر المؤمنين أولا بتقوى الله والهمة في العمل الذي يرضيه باعتباره الوسيلة إليه لان كل إنسان مرهون بعمله وأكرم الناس عند الله أتقاهم ومن اهتدى فلنفسه ومن ضل فعليها، وليس الرسول ﷺ وكيلا على الأمة

---

(١) الزمر: ٤١ ـ ٤٥.

فليس له وكالة عليهم من الله بالمعنى الكوني، ولكنه رسول مبلغ وليٌ له نصير له بالمعنى الشرعي أي في إقامة دينه ونصرة شرعه وإعلاء كلمته وتحقيق عبوديته لله تعالى.

والشفاعة بالمعنى الكوني منفية عن كل الخلق لأنهم لا يملكون شيئا والدليل عجز الناس أو الأنفس جميعا إنسا وجنا عن أن يستمروا في الحياة بلا نوم علاوة على عجزهم عن الاستمرار في الحياة بدرء الموت.

والنوم من جنس الموت، فالنائم ميت ولكنه موتٌ مؤقتٌ والميت نائم نوما مستمرا إلى يوم البعث.

والله تعالى إثباتا لعجز الإنسان وفقره وضعفه وأنه لا يملك من أمر نفسه شيئا يذكر له ظاهرة النوم إذ يكون مجردا من كل حول وقوة وسمع وبصر ووعي كالميت سواء بسواء إلا أنه يتنفس وفيه مظاهر حيوية لا إرادية أخرى لا سيطرة إرادية له عليها حتى إن بعض النائمين يتوفاهم الله تعالى أثناء نومهم ليس بأن يخرج نفوسهم من أجسادها بل بأن يمسك نفوسهم عن العودة إلى الأجساد، في حين إنه يرسل التي لم يزل في أعمارها بقية نفوسها إلى أجسادها هكذا كل ليلة حتى يتم الأجل المسمى عنده سبحانه وتعالى.

أليس في هذا آية لقوم يتفكرون؟! بلى، والآية هي عجز الإنسان وفقره وضعفه حتى إنه لا يستطيع أن ينفع نفسه نائما كالميت، فهو في يقظته عاجز أيضا كما في نومه لأنه لا يفعل ما يفعل إلا بحول الله تعالى وقوته وإذنه وبحسب ما قدره الله تعالى له أو عليه لذلك تأتي الآية الثالثة في السياق بسؤال تعجبي بعد أن ثبت هذا العجز والضعف ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ﴾ كيف وهم مخلوقون مثلكم ينامون كالموتى، ولا يملكون شيئا لأنفسهم، فكيف يفعلون لكم فكل ما سواه ومن سواه لا يملك بالمعنى

الكوني شيئا ولا شفاعة له في هذه الأمور.

أما الشفاعة لطلب المغفرة من الله في الآخرة للغير فهذه لا تكون إلا بإذن الله، ومن ثم قال تعالى ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ لأن له ملك السموات والأرض، ومع هذا فإن الذين لا يؤمنون بالآخرة لا يؤمنون بالله إلا على سبيل الشرك بأن يجعلوا معه أربابا وآلهة باسم الشفعاء.

إن الأنفس التي لا يمكنها الاستمرار في الحياة إلا بالنوم لا تملك لأنفسها نفعا ولا ضرا ولا حياة ولا نشورا فكيف يتشفع بعضهم ببعض.

وإذا ماتوا فهم أعجز في موتهم منهم في نومهم فكيف يتشفعون بالموتى، وهل للموتى قوة على العمل واستطاعة على الفعل؟ وإن كان لهم فهل أذن الله تعالى لهم؟ وفيما أذن الله تعالى لهم إذا كان قد أذن لهم فليأتوا بأثارة من علم من النقل أو العقل إن صح في حقهم الإذن بالشفاعة من الخالق عز وجل، إن غلبة النوم عليهم رغم أنوفهم وذهاب استطاعتهم ووعيهم أثناء النوم ينفي عنهم الشفاعة التي ينسبونها لهم نفيا مطلقا مهما كان المنسوب له الشفاعة، سواء أكان نبيا مرسلا، أم ملكا مقربا، فليس من شفيع من دون الله تعالى بالمعنى التكويني الذي يعطي الشفيع بعض خصائص الربوبية من ملك أو أمر أو تدبير أو تصريف وإنما الشفاعة تكون بإذن الله تعالى لعبد معين يتشفع فيه وليس من معنى لدور الشفيع سوى أنه يدعو الله للمشفع فيه على أمل أن يقبل الله شفاعته فيغفر له وينجيه من العذاب فمن كان هذا حاله في النوم واليقظة فهو لا يملك لنفسه شيئا فكيف يملك لغيره.

أما المشركون الذين اتخذوا شفعاء من الأنبياء أو الأولياء الموتى على سبيل الوساطة وبالمعنى الكوني أو بدون أن يأذن الله في هذه الشفاعات فقد جعلوهم شركاء شأنهم شأن اليهود والنصارى مع أحبارهم

ورهبانهم لأنهم جعلوهم شفعاء بمعنى الوسطاء بينهم وبين ربهم عز وجل، فهم يفرقون عِنْدَ دعاء الله تعالى وحده وعن عبادته وحده ويقبلون على دعائه وعبادته في حالة إشراك غيره معه باسم الشفعاء والوسطاء الذين يقربونهم إلى الله زلفى.

لقد أعطى الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قضية الشفاعة وقضية الدعاء لغير الله تعالى اهتماما كبيرا في مؤلفاته ـ مع تداخلهما إذ الشفاعة نوع من الدعاء وطريقة للطلب ـ حيث إنهما من الشرك الأكبر من ناحية كما أن كلا منهما مرض خطير متفش بين عامة الناس في جميع أرجاء العالم الإسلامي من ناحية أخرى بسبب انتشار أضرحة الموتى في المساجد واعتبار أصحاب هذه الأضرحة من الصالحين والأولياء الذي يتقربون بهم إلى الله زلفى ويتشفعون بهم ويتخذونهم وسيلة إلى الله بخلط شديد بين معنى الوسيلة والشفاعة، والبركة والوساطة، وبالرغم من مضي قرابة مائتي عام على وفاته رحمه الله إلا أن هذه المظاهر الشركية لازالت منتشرة في أرجاء العالم الإسلامي ودوله وشعوبه لم يتخلص منها إلا عرب الجزيرة العربية بفضل الله تعالى ثم بفضل جهاد الشيخ ومن آمنوا بدعوته رحمة الله عليهم جميعاً.

عاشرا: لا شفاعة من أي شفيع لمن مات على الشرك

لم يأذن الله تعالى أن يشفع عنده شافع حتى ولا أحب الخلق إليه سيدنا محمد ﷺ في عبد مات على الشرك، وأبى أن يقول لا إله إلا الله.

ويسوق الشيخ محمد بن عبد الوهاب للاستدلال على هذا قول الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ. وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ

لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[١].

وتنص الآية على نهي النبي والذين آمنوا عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولي قربى، وكما وعد سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام أباه بالاستغفار له قبل أن يتبين أنه عدو لله تعالى وعد سيدنا محمد ﷺ بالاستغفار لعمه أبي طالب لكنه اشترط بقوله: "ما لم أنه عنك"، ولكن الآية نزلت بالنهي ففي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: "لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أمية وأبو جهل فقال له: ياعم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله؟ فقال له: أترغب عن ملة إبراهيم؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال النبي ﷺ: "لأستغفرن لك ما لم أنه عنك[٢]، فأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟... الآية ﴾ وأنزل في أبي طالب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[٣].

والاستغفار هو شفاعة بل هو أهم ما يمكن أن يتشفع به أحد من الشافعين لأحد، فهو موضوع الشفاعة في الآخرة، وفي الدنيا.

ولم يقبل الله تعالى شفاعة سيدنا إبراهيم عليه السلام في أبيه ولم يقبل شفاعة سيدنا نوح في ابنه، ونُهِيَ رسول الله صلى الله عليهم جميعا وسلم عن الاستغفار لأمه والتشفع لعمه الذي رباه.

---

(١) التوبة: ١١٣/١١٤.

(٢) الحديث أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت... والدليل على أن من مات على الشرك فهو في الجحيم ح٢٤، وانظر مؤلفات الشيخ / ق١ / ص٥٤،٥٥.

(٣) القصص: ٥٦.

ويستنبط الشيخ محمد بن عبد الوهاب من هذا الحديث الشريف مبدأ هاما من مباديء التوحيد الذي لا يتم في قلب العبد إلا به، وهو التَّبرُّوء من الآلهة المعبودة من دون الله ولقد فهم أبو جهل والذين كانوا معه أن قول أبي طالب لا إله إلا الله إذا قالها تعني التَّبرُّوء من ملة عبد المطلب ودينه، فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب، ومن ثم قال الشيخ رحمه الله إن المسألة الكبرى المستنبطة من هذا الحديث هي تفسير قوله لا إله إلا الله بخلاف ما عليه من يدعي العلم[1].

ذلك أنها إقرار وتعهد بالتَّبرُّوء من كل الآلهة المعبودة في الأرض إلا الله تعالى وعزوف أبي طالب عن ملة عبد المطلب معناها رفض لآلهة قريش فلا معنى لقولها ما لم يقر القائل بالكفر بالطواغيت ورفض كل الأديان إلا الإسلام ويشهر الشيخ ببعض المعاصرين الذين لا يفهمون هذا المعنى الرئيس في الشهادة أو ربما لا يريدون أن يفهموه بقوله عنهم: إن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل لا إله إلا الله فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام[2].

وهكذا يقسو الشيخ على من يرى أنه لا تعارض بين اتخاذ شفعاء من دون الله يقربونهم إلى الله زلفى من الأولياء كما كان الحال عند مشركي العرب قبل الإسلام وبين قول لا إله إلا الله لأنه لم يفهم الأصل الأول للإسلام ومدلوله ومقتضياته ولوازمه.

والشاهد من هذا كله أنه لا شفاعة لمن مات على الشرك أيا كان قرب الشافع من الله عز وجل ومحبته له تحقيقا لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾، فالشفاعة فيما دون الشرك

---

(١) مؤلفات الشيخ / ق١ / ص٥٤، ٥٥.

(٢) مؤلفات الشيخ / ق١ / ص٥٥.

من الكبائر والمقصود به الشرك الأكبر المخرج من الملة، أما أنواع الشرك الأخرى الأصغر والخفي فلها مكفراتها ويقبل فيها الشفاعة.

حادي عشر: من لم يرد من عمله إلا الدنيا فقط فهو مشرك

يفرد الشيخ هذا الباب للاستدلال على هذا الأصل من أصول التوحيد وهو وجوب خلوص نية العبد من كل شيء سوى الله تعالى ورضاه، فلا يبتغي من عمله إلا الله والدار الآخرة.

أما من لم يعمل إلا للدنيا ولم يرد من عمله هذا إلا الدنيا فهذا هو الكفر الصريح بدليل قوله تعالى ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ . أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾(١).

ويعلق الشيخ رحمه الله على هذه الآية بقوله: "إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة كُفْرٌ، وعملُ الآخرةِ عبادةُ الله تعالى بما شرعه الله تعالى ونزل على رسوله ﷺ، فلو عمل العبد هذه العبادات مريدا بها الدنيا فهو الكفر، فما بالك بمن لم يعبد الله طلبا للدنيا وإنما عمل للدنيا فقط منصرفا عن الآخرة..؟".

وماذا يكون موقف العبد الذي يعبد الله تعالى بما لم يشرعه مريدا بما يفعل الدنيا وليس الآخرة؟

وهذا كله شرك، ومن هذا حاله فهو مشرك يقابله العبد المؤمن الذي لا يبتغي من أعماله وعبادته وجهاده إلا الله والدار الآخرة، كما جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن

---

(١) هود: ١٥ ـ ١٦.

أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع"[1].

فأين تثبت الخسارة في الآخرة لمن لم يعمل إلا للدنيا إذ سيوفيهم الله تعالى نصيبهم فيها على أعمالهم ويقدرها ويعطيهم من الدنيا ما سعوا من أجله ولا يبخس جهدهم شيئا لأنهم لن يكون لهم حظ في الآخرة حسب اختيارهم وبإرادتهم، ولو جاء في عملهم أي عمل من أعمال الخير للناس فإن هذا العمل محبط لأنه لم يعمله إيمانا واحتسابا ولأنه يأخذ أجره عليه في الدنيا.

مثل هذا العامل يكون عبدا للدنيا والدرهم أو الدولار أو الجنيه أو الريال الذي يعمل من أجله لأن الدنيا وملذاتها وأهدافها جميعا تتحقق في المال الذي تتحقق به الشهوات المحصورة في المأكل والملبس والمسكن، ومن ثم دعا رسول الله ﷺ على عبد الدرهم وعبد الدينار وعبد الخميصة وعبد الخميلة وفي المقابل طوبى لعبد مجاهد في سبيل الله لا يهتم بملذات الحياة ولا بالمظهر ولا بالمال ولا بمتاع الحياة الدنيا التي اتخذها أهل الدنيا آلهة يعبدونها من دون الله تعالى.

هذا العبد ليس له من الوجاهة عند الناس ما يكون لأهل الدنيا لكنه عند الله فائز في الآخرة وهو راض بجهاده في أي موضع يضعه قائده إن كان في الحراسة راض، وإن كان مع خدم الجيش ومؤخرته راض.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ح٢٨٨٧.

ثاني عشر: الذبح والتقرب لغير الله بالنسك شرك أكبر

من المظاهر الشركية التي انتشرت في الأمة الإسلامية الذبح لغير الله عز وجل، لقد كان الوثنيون قبل الإسلام يذبحون لأصنامهم وهذا من أوضح وأكبر أعمال الشرك المخرج من الملة، وقد عادت فئات من الأمة بفعل التصوف المنحرف إلى الذبح لغير الله تعالى وهم الذين يزعمون أنهم أولياء لله أو الذين يتوهمون أنهم أولياء لله أو حتى لأولياء الله تعالى الصالحين، وذلك بذبح الذبائح عند قبرهم تقربا إليهم، لكي يتقربوا بهؤلاء الأولياء لله تعالى، فخالفوا أمر الله تعالى للمسلم بإفراده بالصلاة والنسك والمحيا والممات بقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(١).

وقال تعالى ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾(٢).

وبذلك يكون الذبح عند أضرحة الموتى للمعتقد أنهم أولياء لله تقربا لله من خلالهم أو تقربا لهم من أكبر أعمال الشرك التي جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب للقضاء عليه، ومع ذلك ما زالت منتشرة في أوساط العامة من الأميين بتأثير انحرافات الطرق الصوفية التي تعمل على بقاء هذه المظاهر لما يعود عليهم هذا مِنْ النفع الدنيوي.

وقد لعن رسول الله ﷺ من يذبح لغير الله عز وجل، لأن الذبح من النسك التي قرنها الله تعالى بالصلاة فلا تجوز لغيره سبحانه فقد روى مسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثا، لعن الله من غير منار الأرض"(٣).

---

(١) الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣.

(٢) الكوثر: ٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه.

فالذابح لغير الله مشرك في النار، والمتقرب بأي شيء لغير الله مشرك في النار حتى ولو كان شيئا حقيرا يدل على هذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: "دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب، قالوا: وكيف ذلك يارسول الله؟

قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا، فقالوا لأحدهما: قرب؟

قال: ليس عندي شيء أقرب.

قالوا له: قرب ولو ذبابا، فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار.

وقالوا للآخر: قرب.

فقال: ما كنت لأقرب شيئاً إلا لله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة"[(١)].

ذلك أنه لا تقية في الأفعال، وإنما التقية في الأقوال كما أجمع على ذلك العلماء، فمن كفر كفراً قوليا بِقَوْلِ كلمة كفر أو شرك تحت إكراه المشركين وقلبه مطمئن بالإيمان أي فعل هذا تقية فليس بمشرك.

أما العبادات والنسك وسائر الأفعال فلا تقية فيها لأنها إذا صدرت بالجوارح فلابد أن يكون ذلك بموافقة القلب ولو أبى القلب لأبت الجوارح.

وهذا واضح في قصة الرجلين، إذ أن من دخل مِنْهُما النار دخلها بموافقة قلبه فقد أمر جوارحه التي لا تفعل إلا بأمره أن يقربوا الذباب، وهذا دليل على قبوله عمل الشرك بقلبه الأمر الذي استحق به النار.

---

(١) رواه أحمد، وانظر الكلام عليه في فتح المجيد، ص ١٥٤، ١٥٥.

أما المؤمن فقد كان عنده من التوحيد في قلبه ما جعله يأبى أن يقرب لغير الله تعالى ولو ذبابا وفضل القتل على هذا فدخل الجنة.

ويعلق الشيخ على هذا الحديث بقوله عن الذي قرب الذباب بأنه: دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده بل فعله تَخَلُّصًا من شرهم[1]، فما بال الذين يذبحون طائعين للولي عند ضريحه دون تهديد ووعيد؟

ويستنبط الشيخ رحمه الله أن الرجلين كانا مسلمين بدليل أنهما اعتذرا عن التقديم للصنم ابتداء بحجَّة الفقر وبدليل أن الثاني فضل الموت على أن يقرب الذباب ومن ثم يكون إسلام الرجل الأول أو نطقه بالشهادة لم ينقذه من النار لأنه لم يفعل أهم مقتضيات الشهادة وهي الكفر بالطواغيت والأصنام والتبروء منها ومن أهلها، وهذا ما تعارض تماما مع تقريبه الذباب لها، فلما فعل دل على أن إيمانه لم يكن صحيحا وإسلامه لم يكن كاملا، وقوله للشهادة لم يكن خالصا من قلبه.

ويستدل الشيخ رحمه الله تعالى بذلك على أن المقصود الأعظم هو عمل القلب، وأن عبدة الأوثان كانوا يعملون ذلك فجعلوا علامة تعظيم صنمهم بالقلب التقرب له ولو كان بشيء حقير.

ويستدل رحمه الله على أن حديث الذباب هذا شاهد على صحة الحديث: الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك[2].

ويدل على أن الذبح لغير الله تعالى أيا كان هذا الغير هو من الخبائث وعبادة الطواغيت ومن عمل الشيطان تحريم الذبح له تعالى في مكان سبق فيه الذبح لغير الله عز وجل، فعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال:

---

(١) مؤلفات الشيخ / ق١ / كتاب التوحيد ص٣٦.

(٢) المصدر السابق ص٣٧.

"نذر رجلٌ أن ينحر إبلا ببوانة، فسأل النبي ﷺ فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟

فقالوا: لا.

قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟

قالوا: لا.

فقال رسول الله ﷺ: "أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم"[١].

ومن هذا الباب: نهى الله تعالى نبيه ﷺ عن القيام والصلاة في المسجد الضرار الذي بناه المنافقون لغير الله وإنما بنوه طاعة للشيطان وإرصادا لمن حارب الله ورسوله فقال له ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[٢].

فالمعصية تؤثر في الأرض التي ارتكبت فيها كما أن للطاعة تأثيراً في الأرض التي أقيمت فيها.

ونهى النبي عن الإيفاء بالنذر والذبح في مكان سبق فيه الذبح لغير الله تعالى حماية لجناب التوحيد لئلا ينسحب العمل بفعل الشيطان في النفس إلى أن لا يكون لله وحده بل للوثن الذي سبق الذبح له في هذا المكان من قبل.

فالحكم المستفاد من هذين النصين الكريمين هو تحريم العبادة لله إذا كانت في مكان سبق فيه عبادة غير الله تعالى ولو بعد زوال الوثن المعبود.

---

(١) رواه أبوداود وإسناده على شرط الشيخين.

(٢) التوبة: ١٠٨.

وتحريم إقامة عبادة أو أعياد في مكان أقام فيه الوثنيون أعيادهم، وفي ذلك من التحذير من تقليد المشركين والوثنيين في أعمالهم وأعيادهم وأيامهم وأماكنهم ما فيه.

وإذا كان الحكم بالنسبة لمكان سبق فيه النذر والذبح لغير الله تعالى هكذا فما بال الذي ينذر لغير الله عز وجل؟؟ لا شك أن من ينذر لغير الله تعالى فقد أشرك بالله شركا أكبر صريحا مخرجا من الملة، إذ كان هذا من أعمال الوثنيين لأصنامهم.

قال تعالى ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾(1).

وقال تعالى أيضا ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾(2).

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه"(3).

ويعلق الشيخ مستنبطا مِنْ هذا حكماً بخصوص النذر لغير الله تعالى: إذا ثبت كونه عبادة لله فَصَرْفُهُ إلى غيره شرك.

أي: أنه ما كان مشروعا من أعمال لعبادة الله تعالى كالصلاة والنسك والذبح إنما هو من توحيد الألوهية فإذا صرف العبد منها شيئا لغير الله تعالى صار من شرك الألوهية.

وعلى هذا إذا صدر من المسلم نذرٌ لغير الله تعالى فلا يجوز الوفاء به.

---

(1) الدهر: ٧.

(2) البقرة: ٢٧٠.

(3) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور (ح ٦٧٠٠).

ثالث عشر: الاستعاذة بغير الله تعالى شرك

كان العرب في جاهليتهم إذا نزلوا واديا في سفرهم وأرادوا أن يأمنوا على أنفسهم من الجن قالوا: نعوذ برب هذا الوادي، وهذا من الشرك لأنه استعاذة بغير الله تعالى من الغائبين.

قال تعالى ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾(١)، ووردت النصوص بالأمر بالاستعاذة بالله وحده فعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من نزل منزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك"(٢).

فدلت آية سورة الجن على أن الاستعاذة بهم شرك، والاستعاذة بغير الله عند العلماء شرك بغير خلاف، وعلى قول واحد، ومن ثم استدلوا من هذا الحديث بأن كلمات الله تعالى غير مخلوقة لأن الاستعاذة إنما تكونُ بكلمات الله التامة والاستعاذة بالمخلوق شرك إذن فكلمات الله تعالى غير مخلوقة.

وينطبق هذا الحكم على كل من استغاث بولي باسمه أو عند ضريح ولي، وهو من الأمور الشائعة في الشعوب الإسلامية حتى الآن وبخاصة بين العامة والصوفية.

رابع عشر: الغلو في الصالحين باب من أوسع أبواب الشرك والكفر

ونعني بهذا التعبير أنه إن لم يكن من الشرك الصريح الأكبر فإنه يؤدي إليه، هذا ما يؤكده دائما الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ويعتبره جوهر دعوته والأساس إلى عبادة الأوثان ممثلة في قبور الصالحين

---

(١) الجن: ٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

وأضرحتهم مما جر عليهم دعاءهم والتشفع بهم والنذر لهم وغير ذلك، لقد كفرت النصارى بالغلو في شخص المسيح ابن مريم عليه السلام، وكفرت اليهود من قبلهم بالغلو في شخص عُزَير عليه السلام، وكفر قوم نوح عليه السلام بالغلو في الصالحين ودا وسواع ويغوث ويعوق ونسرا حتى صنعوا لهم أصناما يتقربون إليها تعظيما لهؤلاء الصالحين.

لذلك نهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو في دينهم فقال عز ومن قائل ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾[1].

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾[2] قال: هذه أسماء رجال صالحين من أسلاف قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك وَنُسِيَ العلم عبدت[3].

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله"[4].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو"[5].

---

(١) النساء: ١٧١.

(٢) نوح: ٢٣.

(٣) رواه الطبري في تفسيره ١٢/٢٥٤ ح٣٥٠٢٧، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/٣٣٧٥ ح١٨٩٩٧ وانظر مؤلفات الشيخ كتاب التوحيد ص٥٦.

(٤) رواه البخاري كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم ح٣٤٤٥، والبغوي في شرح السنة كتاب الفضائل باب تواضعه ﷺ ح٣٥٧٥.

(٥) رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه.

وكذا روى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "هلك المتنطعون، قالها ثلاثا"[1].

ومن التنطع المبالغة والغلو والإفراط والتفريط مع التشدد.

ومن الغلو في الصالحين الذي تفشى في الأمة بناء الأضرحة على قبورهم في المساجد أو بناء المساجد حولها ومن ثم فتح انتشار هذه الظاهرة أبوابا من الشرك الأكبر على فئات واسعة من شعوب الأمة الإسلامية.

فلا أحد يمكنه أن ينكر أن الناس قد غلوا في الصالحين بسبب هذه الأضرحة فالصالحون أمة خلت من قبلهم، ولولا الأضرحة ما سمعوا عنهم وما غلوا فيهم وما نذروا لهم وما ذبحوا عند أضرحتهم لهم وما جعلوها شفعاء عند ربهم بالمعنى الشركي الذي كان للأصنام في الجاهلية ولولا الأضرحة ما دعوهم من دون الله تعالى طالبين منهم المدد ولولا الأضرحة ما صلى من يصلي في الضريح طلبا للتقرب من الله عز وجل ولولا الأضرحة ما تَمَّ هذا الغلو في الصالحين.

فأول شرك حدث في الأرض في قوم نوح كان بسبب نصب اتخذوها مكان مجالس الصالحين ثم الغلو فيهم، ثم عبادتهم واتخاذهم آلهة من دون الله تعالى.

أي أن هذه الظاهرة قامت بسبب المزج بين الحق والباطل أو بين المشروع والمحرم، والأول هو محبة الصالحين وتكريمهم بعد موتهم بذكر صُلَّاحهم للاقتداء بهم والدعاء لهم وهذا هو التكريم المشروع، وقد يكون هذا غير محظور ولكن الذين أتوا بعدهم وقعوا في الغلو الذي فتح على الأجيال التالية أبوابا واسعة للشرك، وأول هذا الغلو بناء النصب على مجالسهم أو بناء

---

(١) رواه مسلم كتاب العلم، باب هلم المتنطعون ح٢٦٧٠.

الأضرحة على قبورهم وهو غير مشروع. إن غلو النصارى في المسيح رفعه فوق مرتبة العبودية إلى مقام الربوبية، فأشركوه مع الله في الألوهية وهو نفسه الذي ارتفع ببعض الصالحين وبعض أصحاب الأضرحة في هذا العصر إلى هذه المرتبة ما داموا يدعونهم من دون الله، أو يدعونهم شفاعة وقربى وزلفى لله عز وجل، وما داموا يفعلون لهم وبأسمائهم وعند أضرحتهم من مظاهر العبادة الأخرى ما كان يفعله العرب لأصنامهم في الجاهلية.

وهذه المظاهر المبتدعة في الأمة تصديق لقول القائلين من السلف من أن البدع أبواب وطرق للكفر [1]، وهو الأمر الذي حدث في حياة الأمة إذ أن بدعة الأضرحة وتمجيد الموتى أديا بكثير من الناس إلى الغلو فيهم ثم إلى الشرك، وهذا يوضح لنا الحكمة من النهي عن التماثيل [2] التي يأمر بها الشيطان باسم الفن والجمال، كما يأمر بالأضرحة إحياء الذكرى لأولياء كما نص على ذلك ابن عباس في كلامه عن الأنصاب التي أمر الشيطان قوم نوح أن ينصبوها للصالحين بعد موتهم وهو يعلم لعنه الله أن هذا سيؤدي بهم إلى الشرك بهم ولو بعد أجيال.

فإذا تبين لنا أنه لا فرق بين ما فعله قوم نوح من إقامة النصب في مجالس الصالحين وبين ما فعله المسلمون اليوم حول قبور الصالحين من أضرحة ولا فرق بين ما آل إليه حال الناس بعد أجيال عند قوم نوح وبين ما آل إليه حال الناس بعد أجيال في حياة الأمة من مظاهر شركية بسبب الأضرحة وَمَنْ حولها من السدنة وما حولها من مظاهر لو فقهنا هذا لتأكد لنا أن هذا كله من الشرك الأكبر الذي وقع فيه كثير من أفرد الأمة أي المبيح للدم والمال [3].

---

(١) انظر مؤلفات الشيخ / كتاب التوحيد ١/٣٩٨، ٤٠٧.
(٢) نفس المصدر ١/٣٨٥، ٣٩١ باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح.
(٣) مؤلفات الشيخ / ك التوحيد ص٥٨.

يؤكد هذا أن هؤلاء المشركين من قوم نوح لم يريدوا بعبادة آلهتهم إلا الشفاعة، وهذا هو منطق القبوريين المعاصرين ودفاعهم عن تعلقهم بالأولياء.

وإذا لم يكن هذا هو الشرك الذي كان عليه الجاهليون وأساسه الغلو في الصالحين فلماذا وما الحكمة من نهي الرسول ﷺ عن إطرائه كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، وأليس هذا من البلاغ المبين الذي كان من رسول الله ﷺ لأمته، إذلم يترك خطرا على توحيدهم من بعده إلا نبه إليه وحذر منه.

ومن أشد مظاهر الغلو في الصالحين المؤدية إلى الشرك اتخاذ المساجد على قبورهم نص الصحيح عن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها أم سلمة بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله[(١)].

فهم شرار الخلق لأنهم فعلوا ما يؤدي إلى ضلال الأتباع خلال الأجيال المتتابعة ولأنهم جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور وفتنة التماثيل[(٢)]، فزادوا عنصرا جديدا قربهم نحو الشرك وعبادة الأصنام.

وفي الصحيحين أيضا عن السيدة عائشة رضي الله عنها لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا من قبور أنبيائهم

---

(١) رواه الشيخان في صحيحهما، البخاري كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ح٤٢٧، ومسلم في المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ح٥٢٨.

(٢) مؤلفات الشيخ / ك التوحيد ص٥٩ القسم الأول، باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح ٣٨٥/١، وعزا هذا القول المحقق لابن القيم، انظر إغاثة اللهفان ٢٠٣/١.

وأوليائهم مساجد" يحذر ما صنعوا ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا [(١)].

فانظر إلى دعاء رسول الله ﷺ باللعنة على من اتخذوا مساجد على قبور الأنبياء، وانظر إلى قول عائشة رضي الله عنها: "يحذر ما صنعوا" أي يحذر الأمة من أن تصنع مع قبره الشريف هذا الصنيع وإلا استحقوا لعنة الله عز وجل، كما استحقها اليهود والنصارى من قبل.

كذلك روى مسلم في صحيحه عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: "إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لتخذت أبا بكر خليلا ألا وإن كان من قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك" [(٢)].

والسؤال الآن هو: لماذا نهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد قبل أن يتوفاه الله سبحانه بخمسة أيام؟

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب مُعَلِقاً على هذا الحديث وحديث عائشة رضي الله عنها: فقد نهى عنه في آخر حياته ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله، والصلاة عند القبور من ذلك المحظور وإن لم يبن مسجداً، وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجدا، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا كما قال ﷺ: "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا" [(٣)].

---

(١) رواه البخاري كتاب الصلاة، باب (مهمل) ح٤٣٥، ومسلم كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ح٥٣٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ح٥٣٢.

(٣) مؤلفات الشيخ / التوحيد ص٦١، باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، والحديث أخرجه البخاري كتاب التيمم، باب (مهمل) ح٣٣٥.

فمعنى اتخاذهم قبور أنبيائهم وأوليائهم مساجد هو السجود لله عز وجل عندها يؤكد تحريم اتخاذ القبور مساجد ما رواه أحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: "إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد".

فقرن بين من اتخذها وبين من تقوم عليه الساعة، ومعلوم أنهم أشر الخلق.

وفي هذا التحذير وفي ذكره في خطبته قبل موته بخمسة أيام رد على الطائفتين اللتين هما شرار أهل البدع بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة وهم الرافضة والجهمية، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد [1].

وحماية لجناب التوحيد وسدا للذرائع ولأن ما يؤدي إلى الحرام فهو حرام وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فإن رسول الله ﷺ حرم على النساء زيارة القبور واتخاذ المساجد والسرج عليها لما يؤدي إليه ذلك من مظاهر شركية ولو بعد حين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج" [2].

وخوفا من أن تفعل أمته من بعده ذلك فيعكفوا على قبره فيتحول مع مرور الأجيال إلى وثن معبود من دون الله تعالى دعا عليه الصلاة والسلام ربه عز وجل بأن يمنع حدوث هذا من بعده فيما رواه مالك في الموطأ

---

(١) مؤلفات الشيخ / التوحيد ص٦٢، الباب السابق، والحديث أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ح٧٨٩، وأحمد في المسند ح٥٣١٦، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧/٢، وقال شيخ الإسلام في الاقتضاء: إسناده جيد ٦٦٨/٢.

(٢) أخرجه الترمذي في الصلاة باب في كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً عن ابن عباس (ح٣٢٠) وحسنه، وأخرجه النسائي في الجنائز باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور (ح٢٤٠٢)، وأبو داود في الجنائز باب في زيارة النساء (ح٣٢٣٦).

قال: أن رسول الله ﷺ قال: "اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[(١)].

فأعقب دعوته بذكر شدة الغضب من الله على من يفعل ذلك من بعده من أمته.

ويوضح مجاهد رحمه الله معنى عبادة اللات والعزى في تفسير قوله تعالى ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾[(٢)] بأن اللات طاف يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره، وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس عن اللات: كان يلت لهم السويق"[(٣)]، فالعكوف على القبر عبادته وهذا من أكبر أوثان العرب كما هو معلوم لم تكن عبادته سوى العكوف على قبره.

لقد سد رسول الله ﷺ كل الطرق التي توصل إلى الشرك، ونبه الأمة إلى أنَّ ديدن الأمم استدراج الشيطان لهم إلى الشرك بالله بالغلو في أنبيائهم بعد موتهم بتحويل قبور الصالحين إلى أعياد يحتفلون عندها ويحولونها بإضاءة السرج إلى أوثان، فكما دعى ربه بأن يحمي قبره من أن يكون وثنا يعبد من بعده فإنه أيضا نهى أمته عن فعل ذلك كله فيما رواه عنه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم"[(٤)].

ومعنى نهيه المسلمين أن يجعلوا بيوتهم قبورا أي أن لا يصلوا فيها

---

(١) مؤلفات الشيخ / التوحيد ص٦٤، الحديث رواه مالك في الموطأ كتاب الصلاة باب الصلاة رقم ٢٦١، وابن أبي شيبة في المصنف ٣٤٥/٣، وعبد الرزاق ١٥٨٧ وصححه ابن عبد البر في التمهيد ٤٢/٥ وعزاه للبزار.

(٢) النجم: ١٩.

(٣) المصدر السابق، الطبري في تفسيره ٥٢٠/١١، أحاديث ٣٢٥٣، ٣٢٥٣٦، ٣٢٥٣٧، ٣٢٥٣٨، ٣٢٥٤٠.

(٤) رواه أبو داود كتاب المناسك باب زيارة القبور ح٢٠٤٢، وأحمد في المسند ٣٦٧/٢، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود ح٢٠٤٢ بإسناد حسن ورواته ثقات.

لأن الصلاة محرمة في المقابر فإذا جعلوا صلاتهم كلها في المساجد ولم يصلوا في بيوتهم بعض النوافل صارت كالمقابر.

ومعنى: لا تجعلوا قبري عيدا أي لا تجعلوه عيداً بإقامة الزينة والأنوار والتصاوير والاحتفالات والعكوف عنده والحج إليه بقصد عبادة الله عنده في المناسبات التي تصبح أعيادا، ومن ثم قال بعد ذلك: "وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم"، أي ليس بالضرورة الانتقال إليه ﷺ والسلام عليه عند قبره لأن الله تعالى يبلغه كل صلاة وكل سلام من أفراد أمته، ولذلك لما رأى علي بن الحسين رضي الله عنهما رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته عن أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: "لا تتخذوا قبري عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم"[1].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب معلقاً على هذين الحديثين الشريفين: نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص مع أن زيارته من أفضل الأعمال[2].

أي أنه يرى رحمه الله تعالى ويؤكد أن زيارة قبر النبي ﷺ من أفضل الأعمال والقربات إلى الله عز وجل، ويثاب على ذلك المسلم لأنه دليل على حب المسلم لرسول الله ﷺ كما تدل الزيارة على حب الزائر للذي يزوره فحب الرسول ﷺ وزيارته والسلام عليه وتعزيره وتوقيره بعد مماته كما كان حال الصحابة رضوان الله عليهم معه في حياته هو دليل ناصع

---

(١) مؤلفات الشيخ، ك التوحيد ص٦٧، وعزاه للحافظ ضياء المقدسي الحنبلي في المختارة ح٤٢٨، وأبو يعلى ح٤٦٩ وفيه رجل مسكوت عنه كذا قال الهيثمي مجمع ٣/٤ وبقية رجاله ثقات.

(٢) مؤلفات الشيخ، ك التوحيد ص ٤٢٨/١، وعزاه للحافظ ضياء المقدسي الحنبلي في المختارة ح٤٢٨، وأبو يعلي ح ٤٦٩، وفيه رجل مسكوت عنه كذا قال الهيثمي مجمع ٣/٤، وبقية رجاله ثقات..

على إيمان من يفعل ذلك.

ولكن الحديثين مع هذا يتضمنان نهياً واضحاً صريحاً عن زيارة قبره صلى الله على وجه مخصوص. ويقصد الشيخ رحمه الله تعالى أن تكون الزيارة بنية جعل قبره عيداً أو بنية دعاء النبي من دُونِ الله تعالى واتخاذه وسيطاً كونياً إلى الله تعالى كما كان يفعل المشركون.

ومن ثم بدأ الشيخ رحمه الله تعالى هذا الباب بقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ. فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1].

والشاهد في هذه الآية الكريمة: حرص رسول الله ﷺ على أن لا يقع أحد من أمته في عمل من أعمال الشرك، ورأفته ورحمته بالمسلمين من دوافع حرصه على إبعادهم عن الحمى غاية البعد[2].

ومع هذا فإنه قد علم من ربه عز وجل أن كثيرا من فئات الأمة سيقعون في الشرك والكفر وعبادة الأوثان وسيرتدون وأن الأمة تفترق ثلاثاً وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة كما حدث أن افترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار، وافترقت من قبلها اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة كلها في النار، وإنما اختصت أمة سيدنا محمد ﷺ بأن فيها فرقة ليست في النار عن سابقتها من أهل الكتاب لأن فيها طائفة تظل على الحق لا يضرهم من خذلهم ممن تحولوا عن التوحيد وعن الحق إلى أن يأتي أمر الله.

---

(١) التوبة: ١٢٨، ١٢٩.

(٢) انظر التوحيد / ص ٦٧ من مؤلفات الشيخ.

خامس عشر: ارتداد جماعات من الأمة إلى الشرك وعبادة الأوثان

هذا ما أخبر به المصطفى ﷺ ففي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يارسول الله اليهود والنصارى؟ قال: **فمن**؟ !!"[1].

أي أنه ما كان من اليهود والنصارى من انحرافات عقدية وسلوكية ومن أفعال شركية وكفرية لابد أن يظهر مثله في فئات من الأمة، مهما كانت أعمالهم قبيحة ومرذولة، لا يقرها الشرع ولا يوافق عليها العقل، والقذة هي الواحدة من ريش السهم الذي يوضع بعضه حذو بعض أي بإزاء بعض دلالة على شدة ودقة التماثل، وهو ما شبه به رسول الله ﷺ التماثل بين ما سيكون من أمته وبين ما كان من اليهود والنصارى، ودخول جحر الضب أمر مستحيل لأنه ضيق لا يمكن لأحد من البشر أن يدخله ولكنه مَثَلٌ ضربه رسول الله ﷺ لبيان حتمية أن تسلك الأمة كل درب سلكه اليهود مهما كان سلوك هذا الدرب مستبعدا.

وما حدث من بني إسرائيل في عهد نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام حدث من بعض الصحابة مع نبينا ﷺ.

فعن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: "الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما

---

(١) رواه الشيخان في صحيحهما البخاري كتاب الاعتصام، باب قوله ﷺ لتتبعن ح٧٣٠، ومسلم كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى ح٢٦٦٩، انظر: ك التوحيد ص.٦٨

لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون، لتركبن سنن من كان قبلكم»[1].

ومن ثم فإن كان ما استحق عليه اليهود والنصارى الذم في القرآن الكريم والسنة وكل ما نسبه الله لهم من كفر وشرك وطغيان وتحريف وفساد في القرآن الكريم هو لفئام وطوائف من أمة المصطفى ﷺ، ما داموا يقعون فيما وقع فيه اليهود والنصارى كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ، فهؤلاء الصحابة المجاهدون مع رسول الله ﷺ في إحدى أكبر غزواته وهي غزوة حنين، والذين لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم، لما قصدوا التقرب إلى الله تعالى والتبرك بشجرة سدرة ينوطون بها أسلحتهم تبركا ويعكفون عليها كما للمشركين شجرة سدرة يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم ظنا منهم أن هذا يرضي الله تعالى ويقربهم إليه وينصرهم به في القتال، ومع جهلهم بأن هذا شرك لم يعذرهم النبي ﷺ لجهلهم فغلظ لهم القول وشدد في الوعيد تخويفاً لهم حين ماثل بين فعلهم هذا وفعل اليهود الذين قالوا لنبيهم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، حبا في تقليد المشركين فغلظ رسول الله ﷺ لصحابته في ثلاث بقوله: الله أكبر إنها السنن لتتبعن سنن من كان قبلكم".

وهذا يدل على أن قولهم هذا نفي لمعنى لا إله إلا الله ونقض للشهادة لأن طلب بني إسرائيل من موسى اجعل لنا إلهاً تَخَلٍّ منهم عن الشهادة إذ سيجعلون مع الله إلها آخر أو آلهة أخرى، ومن ثم كان من ألزم معاني الشهادة نفي الألوهية عن غير الله فمن لم يفعل لم يقلها.

إن الاعتقاد بأن شيئا ينفع من دون الله تعالى أو ينصر من دون الله تعالى هو اتخاذ هذا الشيء إلها ومن ثم كان طلبهم للشجرة هو اتخاذ

---

(١) مؤلفات الشيخ / ك التوحيد / ص٣٣، ٣٤، والحديث رواه الترمذي ح٢١٨١ وقال: حديث حسن صحيح، والطبري في تفسيره ٤٦/٦ ح١٥٠٦٥، ١٥٠٦٨.

النصر بالعكوف عليها وإناطة الأسلحة بها اتخاذها وثنا، لأن الوثن هو الشيء الذي يعتقد أنه يقرب لله عز وجل بسر جعله الله تعالى فيه، من غير أن يكون فيه علاقة سببية بينها وبين النفع المرجو منه فينسحب الاعتقاد إلى أنه نافع بذاته فيعبد بعد ذلك من دون الله عز وجل.

من أجل ذلك وسدا للذرائع منع رسول الله ﷺ ذلك وغلظ لهم في القول.

وكما آمن الذين أوتوا الكتاب بالجبت والطاغوت، وشهدوا أن المشركين عبدة الأصنام على هدى وأن المسلمين الذين اتبعوا النبي ﷺ أقل منهم هدى، فإن هذا قد حدث من فئات وفرق وجماعات من الأمة الإسلامية ستضل كضلال اليهود والنصارى الذين قال تعالى فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾[1].

فكثير من المنتسبين إلى الإسلام يؤمنون بالجبت أي السحر ويزاولونه أو يذهبون إلى السحرة والعرافين والمنجمين والكهان وهؤلاء وغيرهم يؤمنون بالطواغيت المعبودة من دون الله تعالى ويتخذونهم آلهة ليقربوهم إلى الله تعالى زلفى مع أن هؤلاء وهؤلاء يقولون لا إله إلا الله ولا يرفضون قولها.

وكما غضب الله تعالى على عبدة الطاغوت من بني إسرائيل فلعنهم وجعل منهم القردة والخنازير فسيكون هذا أيضا في أمة محمد ﷺ إذ سيخسأ فئة منهم قردة وخنازير كما حدث لبني إسرائيل، وكما أخبر الصادق المصدوق بذلك، قال تعالى ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ ۚ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ﴾[2].

---

(١) النساء: ٥١.

(٢) المائدة: ٦١.

ومن ثم نبأ وَنَبَّـهَ رسول الله ﷺ إلى خطر الأئمة المضلين في الأمة وإلى ما سيكون منهم من الشرك ومن عبادة الأوثان فقال "**وإنما أخاف على أمتي المضلين وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى**"[(١)].

ولقد حدث ما أخبر به ﷺ، فقد كثر المضلون عبر العصور الإسلامية وازدادت كثرتهم في عصر الشيخ وفي عصرنا الراهن كما نبه إلى ذلك الشيخ رحمه الله.

وقد وقع السيف في الأمة منذ أن وقع ولا زال ولن يرفع إلى يوم القيامة.

والتحق حي من أحبار الأمة بالمشركين.

وعبد فئام من الأمة الأوثان الممثلة في الأضرحة.

وظهر كثير من المتنبئين الكاذبين.

ومع هذا كله لا زالت طائفة من الأمة ظاهرة على الحق لا يضرهم من خذلهم وهم في كل قرن أتباع المجددين.

(١) مؤلفات الشيخ / ك التوحيد / ٦٩، الحديث أخرجه أبو داود في سننه في الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها ح٤٢٥٢، وابن ماجه في سننه ح٤٠٠٠، وأحمد في المسند ٢٧٨/٥.

سادس عشر: السحر والكهانة والتنجيم كفر.

لقد انتشر السحرة والكهان والمنجمون في العالم الإسلامي نتيجة بعد المسلمين عن الكتاب والسنة وانتشار الجهل والأمية وتفشي الفسق بينهم، حتى أصبحوا من الظواهر الاجتماعية التي لا يخلو منها مجتمع من مجتمعات الأمة الإسلامية، ويكمن الكفر في مزاولة السحر لأن الساحر يستخدم الشياطين وكفرة الجن في إفساد العلاقات الزوجية وإيقاع الضرر بالناس وطلب الدنيا بالتعامل مع الشياطين، ويكمن الشرك بالله تعالى والكفر بما نزل على محمد ﷺ في ذهاب من يذهب إلى عراف أو منجم أو كاهن لمعرفة الغيب منه أو المستقبل في التصديق بأنه يعلم الغيب مع الله تعالى أيا كانت الوسيلة التي يدعيها في معرفة المستقبل.

وكذلك يكفر من يذهب إلى السحرة مُصَدِقاً بسحرهم أو طالبا عونهم وقضاء حاجته عن طريقهم لأن ذلك لا يكون منه إلا **بالاعتقاد** بأن الساحر وَمَنْ وراءه من كائنات غيبية كالجن والشياطين **يفعلون بغير إذن الله** وعندهم القدرة على العمل والإحداث مع الله عز وجل مِمَّا يخالف أمره الشرعي، قال تعالى عن بني إسرائيل ﴿وَاتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[1].

فمن تعلم السحر وزاوله فقد كفر، ومن ذهب إلى ساحر إيمانا منه

---

(١) البقرة: ١٠٢.

بفعله وتأثيره بدون إذن الله تعالى فقد كفر بالله تعالى وآمن بالجبت، قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا . أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾(١).

والجبت هو السحر، والطاغوت هو الشيطان حسب تفسير عمر بن الخطاب وهما مقترنان إذ لهما يكون السحر بالشياطين وبالجن (٢).

وقد فسر جابر رضي الله عنهما الطاغوت بالكاهن الذي يتلقى من الشيطان فقال: الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان (في كل حي واحد)(٣).

فالسحر من أكبر وأوسع أبواب الشرك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يارسول الله وما هن؟ قال: الإشراك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات"(٤).

فقرن ﷺ الشرك بالله بالسحر وجعله بعد الإشراك بالله مباشرة، إذ أن الساحر ومن يؤمن به ويذهب إليه أقرب مرتكبي هذه الكبائر إلى الشرك، لذلك ثبت أن حد الساحر القتل بالسيف كحد المرتد المضل المحارب لله تعالى، فقد روى الترمذي عن جندب: حد الساحر ضربه بالسيف"(٥).

---

(١) النساء: ٥١، ٥٢.

(٢) مؤلفات الشيخ / ك التوحيد / ص٧٢، تفسير الطبري ١٣٤/٤ ح٩٧٧١، ٩٧٧٢ وعن غيره أيضاً.

(٣) نفس المصدر والصفحة ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٧٦/٣، ح٥٤٥٢، دون ما بين الأقواس.

(٤) البخاري في الوصايا، باب قوله تعالى ﴿إن الذين يأكلون...﴾ ح٢٧٦٦، ومسلم في الإيمان، باب بيان الكبائر ح١٤٥.

(٥) الترمذي في سننه كتاب الحدود، باب ما جاء في حد الساحر ح١٤٦٠ وقال: لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه وإسماعيل بن مسلم يضعف في الحديث، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ح١٤٦٠ وفي السلسلة الضعيفة ح١٤٤٦.

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر"[(١)].

كما صح عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت"[(٢)].

وكذلك صح عن جندب[(٣)].

وروى أحمد بن حنبل أن هذا صح عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ[(٤)].

وهذا كله يدل دلالة يقينية على كفر الساحر إذ أن حكم الشرع فيه أنه يقتل ولا يستتاب.

أما من ذهب إليه ليسحر لـه فحسب اعتقاده فيه فهو بين الشرك وارتكاب الكبيرة كما يدل على أن السحر كان في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم ينج منه زوج النبي ﷺ وابنته أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها فسحرتها جارية لها، هذا مع شدة عمر وصرامته في الحق فكيف كان الحال بعده رضي الله عنه.

وكيف يكون حال الأمة الآن مِنْ حيث انتشار السحرة وكثرتهم بينهم وفي مدى إقبال الناس عليهم.

---

(١) البخاري كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ح٣١٥٦، وأحمد في المسند ١/١٩٠، وصححه ابن حزم في المحلى ١١/٣٩٦.

(٢) رواه مالك في الموطأ كتاب العقول رقم ٤٦، بلاغاً، ووصله عبد الرزاق في المصنف ١٠/١٨٠، وابن أبي شيبة في المصنف ٩/٤١٦..

(٣) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٢/٢٢٢، والطبراني في الكبير ح١٧٢٥، والبيهقي في الكبرى ٨/ ١٣٦، وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: إسناد صحيح ٣/٣.

(٤) ذكره صاحب كتاب فتح المجيد ٢/٤٧٦، باب ما جاء في السحر وفسره الشارح قال: إنَّهُ قَدْ صح قتل الساحر عن ثلاثة أو جاء قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي يعني عمر وحفصة وجندباً انتهى..

وقد فصل رسول الله ﷺ الجبت بذكر بعض أساليبه وأشكاله فقال: "إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت"(١).

والعيافة: هي زجر الطير لاتخاذ قرار بناء على الاتجاه الذي تسلكه، والطرق: هو الخط في الأرض يخطه المنجم أو الكاهن أو الساحر زاعما علمه بالمستقبل من خلال هذه الخطوط في الرمل.

وكذلك من يزعم أنه يعلم الغيب والمستقبل من النجوم **لأنه** من السحر بدليل قوله ﷺ: "من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد" (٢).

وكذلك النَّفث من السحر يدل على هذا ما أخرجه النسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق بها شيئا وكل إليه"(٣).

فالنفث سحر، والسحر شرك أيا كان أسلوب الساحر وطريقة سحره.

أما المصدق للكاهن فهو بعيد عن الله تعالى أربعين يوما لا يقبل له فيها صلاة وذلك حسب ما رواه مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: "من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما"(٤).

---

(١) الحديث رواه أبو داود كتاب الكهانة والتطير باب في الخط وزجر الطير ح٣٩٠٧ وفي سنده مجهول. وابن حبان في صحيحه ٦٤٦/٧، وقال النووي في رياض الصالحين ٠٦٣٧: رواه أبو داود بإسناد حسن وكذا قال ابن تيمية في المجموع ١٩٢/٣٥.

(٢) مؤلفات الشيخ / ك التوحيد ص٧٤، وعزاه إلى أبي داود وقال: وإسناده صحيح، رواه أبو داود كتاب الكهانة والتطير باب في النجوم ح٣٩٠٥، وأحمد في المسند ٢٢٧/١.

(٣) نفس المصدر والصفحة، رواه النسائي في المجتبى ١١٢/٧ ح٤٠٩٠، كتاب التحريم باب الحكم في السحرة، والحديث حسنه ابن مفلح في الآداب الشرعية ٧٨/٣.

(٤) رواه مسلم كتاب الطب والمرض باب تحريم الكهانة ح٢٢٣٠، دون لفظ (فصدقه)، والرواية بتلك الزيادة رواها أبو داود في كتاب الكهانة والتطير باب في الكاهن ح٣٩٠٤.

بل ورد ما يفيد التغليظ في ذلك فيما رواه الأربعة والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن أبي هريرة قال: من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ" [١].

إلا أن التحديد بالأربعين يدل على أن المراد ليس الكفر المخرج من الملة إلا إن اقترن به اعتقاده بأن الساحر يؤثر بغير إذن الله تعالى كما تقدم.

لقد تبرأ النبي ﷺ من كل من يزاول هذه الأعمال الشركية وكل من يلجأ إليهم فيما رواه عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعا: "ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ" [٢].

والعراف هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالةِ ونحو ذلك.

وقيل هو الكاهن والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل وقيل الذي يخبر بما في الضمير أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد عرف العراف بأنه اسم للكاهن والمنجم والرمال الذي يضرب بالخطوط في الرمل ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق، أي كل من يدعي معرفة الغيب بأي وسيلة كانت.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قَوْلٌ في قوم يكتبون أباجاد وينظرون في النجوم، ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق" [٣].

---

(١) كتاب التوحيد ص٧٦، والحديث رواه أحمد في المسند ٤٢٩/٢، والحاكم في المستدرك ٨/١ وصححه ووافقه الذهبي، وكذا في الكبائر له ص١٢٣ وصححه.

(٢) كتاب التوحيد ص٧٧ وعزاه إلى البزار وقال: بإسناد جيد، وهو في مسنده ح٣٠٤٤، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٧/٥: رجاله رجال الصحيح، والترغيب والترهيب ٣٣/٤ وقال: إسناده جيد.

(٣) نفس المصدر والصفحة، والأثر أخرجه الطبراني في الكبير ح١٠٩٨٠، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٧/٥: فيه خالد بن يزيد العمري وهو كذاب، وقد ضعفه شارح فتح المجيد رحمه الله.

وذلك لأنه لا يجتمع بحال من الأحوال الإيمان بالقرآن مع تصديق الكاهن، لذا فقد وردت النصوص مصرحة بكفر من يصدقهم، ومن يذهب لهم ليتكهنوا له ومن يذهب للساحر ليسحر له ومن يذهب للعائف ليزجر الطير له هذا حكم الشرع على من يتعامل معهم فكيف يكون حكم الشرع عليهم؟

ولم يستثن من هذا الحكم المسحور الذي يستعين بالساحر لحل سحره لأنه من عمل الشيطان، ومن الشرك والكفر الاستعانة بالشيطان: فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة؟ فقال: هي من عمل الشيطان"[1].

وسئل الإمام أحمد عنها فقال ابن مسعود: يكره هذا كله.

والنشرة هي علاج المسحور، قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور وهي نوعان:

أحدهما: حلٌّ بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان وهذا النوع هو الذي يحمل عليه قول الحسن: "لا يحل السحر إلا ساحر"[2].

ولا يتم للساحر سحر يحل به سحر آخر أو سحر يعقد به سحرا إلا بتقرب الساحر إلى الشيطان بما يحب، وكذلك الحال في النشرة حيث لا يتم أثرها المبطل لسحر المسحور إلا بأن يتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور.

---

(١) رواه أحمد من حديث جابر بسند جيد، كتاب فتح المجيد ٤٩٩/٢، وهو من كلام ابن حسن رحمه الله، وهو في مسند أحمد ٢٩٤/٣، وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٢٣٣/١٠ وصححه الهيثمي في المجمع ١٠٢/٥، وعزاه للبزار، وهو في سنن أبي داود كتاب الكهانة والتطير باب في النشرة ح٣٨٦٨.

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٢٣٣/١٠ وعزاه للطبري في تهذيب الآثار، وذكره صاحب فتح المجيد ٥٠٢/٢ وعزاه لابن الجوزي في جامع المسانيد، وقد عزاه له أيضاً ابن مفلح في الآداب الشرعية٧٧/٣.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز، يؤيد هذا ما أخرجه البخاري رحمه الله عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر ؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح أما ما ينفع فلم ينه عنه[(١)].

وشتان بين ما جاءت الرخصة فيه وهو الرقية بما نزل من الذكر بالتوكل على الله والاستعانة به، وبين الاستعانة بالشيطان وعمله.

واختلف السلف في الاشتغال بمنازل القمر، فكره قتادة الاشتغال به وتعلمه، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ولعله لما رواه البخاري عن قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به»[(٢)].

لكن تَعَلُّمَ منازل القمر لمعرفة السنين والحساب ومواقيت الصيام والحج ومطالع الشهور فرض كفاية ومن ثم رخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

ومن ثم يمكن القول أن الناظر في النجوم للعلم بالغيب وادعاء العلم بالمستقبل شأنه شأن الكهان عمله كفر والتصديق به شرك بخلاف الناظر في المنازل لمعرفة عدد السنين والحساب ومطالع الشهور والمواقيت، أو الناظر فيها لشهود آيات الله تعالى الكونية فهذا كله لا بأس به بل هو من العلم النافع الذي يحض عليه الشرع الحنيف، وهو من الهداية المذكورة في قوله تعالى ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾.

---

(١) كتاب التوحيد / ص٧٩، والأثر رواه البخاري تعليقاً ٢٣٢/١٠ مع الفتح، قال في تغليق التعليق ٤٩/٥: بإسناد صحيح وصله الطبري في التهذيب والأثرم في سننه.

(٢) رواه الطبري في تفسيره ١٦٦/١٢ ح٣٤٤٩٠، وهو في البخاري ٢٩٥/٦ مع الفتح.

سابع عشر: الشرك بالأشياء أو الوثنيات الصغيرة

من أهم مبادىء توحيد الربوبية الاعتقاد بأنه لا ينفع ولا يضر إلا الله سبحانه وتعالى، وأن ما يصيب الإنسان من خير أو بلاء بقدر الله تعالى، وأنه لا يقدر على رفعه أو شفائه مما ألم به مِنْ ضر أو مرض إلا الله عز وجل.

ولا يمنع هذا الاعتقاد أن يسعى العبد المصاب لرفع البلاء عن نفسه بالأسباب التي خلقها الله لكل بلاء بما يخصه من أسباب حسب سنن الله تعالى الكونية والحياتية، مع التوكل على الله تعالى، والاعتقاد بأنه هو وحده كاشف البلاء، والناصر على الأعداء، وَمُذْهِبُ بأس الداء بالدواء، فكل ما يتخذه الإنسان من أسباب حسب السنن للحصول على نتائجها بإذن الله فهو أمر مشروع يحض عليه الدين، ويجعله شرطا لصحة التوكل على الله تعالى، ومن يهمل هذا الشرط وينتظر الشفاء أو النصر أو المحصول والثمار والزرع بدون الأخذ بالأسباب زاعما توكله على الله مُحْتَجًا بأنه مالك كل شيء وخالق كل شيء ولا يتم شيء إلا بإذنه مخالف لأمر الله تعالى وهديه وسنة نبيه ﷺ.

ومن شأن هذا المسلم إذا ساد بين أفراد الأمة الإسلامية وتفشى في مجتمعاتها أن يدمر الحضارة الإسلامية ويشيع فيها الضعف والفقر والجهل والمرض مما يمكن للأمم الكافرة في الأرض وينصرهم على المسلمين.

وهذا هو الذي آل إليه حال المسلمين منذ القرن التاسع والعاشر بسبب شيوع الطرق الصوفية وما تنشره من عقائد منحرفة عن عقيدة التوحيد، الأمر الذي انتهى إلى هزيمة المسلمين أمام الحملات الصليبية الحديثة (انجلترا ـ فرنسا ـ إيطاليا) التي اقتسموا فيها العالم الإسلامي كما تَـقْـتَسِمُ الأكلة القصعة.

من هذه الانحرافات مَا تفشي بين عامة المسلمين وجهالهم من اتخاذ

أشياء هي وثنيات للاستشفاء وللوقاية والحماية مما يخافون منه من حسد ووجع... الخ. مع أن هذه الأشياء ليس لها علاقة سببية معلومة بينها وبين المرض أو الأمر الذي يَتَّـقونه بها.

فهذه الأشياء التي يعلقونها في رقابهم أو في أيديهم وعلى الصبية وغيرهم منعا للعين أو استشفاء من مرض هي التمائم وهي من الأمور التي تؤدي بصاحبها إلى الشرك إذْ ينصرف ذهنه وقلبه إلى الاعتقاد بأنها تنفع أو تمنع الضر فتتأصَّلُ في نفسه خاصية النفع والضر باستقلال عن مشيئة الله وإذنه، وهذا هو الشرك، لذلك ورد عن عقبة بن عامر مرفوعا: من تعلق تميمة فلا أتم الله له"(١).

فهذا دعاء من رسول الله ﷺ على من علق التميمة لنفع أو دفع ضر بألا يتم الله له ما ابتغاه منها، وكذلك دعا ﷺ على من يعلق الودع ألا يدع الله له أي لا يترك الله له ما يريده.

كذلك ورد في رواية: "من تعلق تميمية فقد أشرك"(٢).

وروى أبو حاتم عن حذيفة: أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾(٣).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلا في يده حلقة من صفر فقال: ما هذه؟ فقال: من الواهنة، فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا"(٤).

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٤/١٥٤، وأبو يعلى ح١٧٥٩، والحاكم في المستدرك ٤/٤١٧ عن عقبة بن عامر، وابن حبان في صحيحه ٧/٦٢٩.

(٢) هو قطعة من الحديث السابق في بعض طرقه.

(٣) يوسف: ١٠٦، والأثر رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٢٢٠٨، ح١٢٠٤٠.

(٤) رواه أحمد بسند لا بأس به هذه عبارة صاحب فتح المجيد ١/٢٣٠، والحديث رواه أحمد في المسند ٤/ ٤٤٥، وابن حبان في صحيحه ٧/٦٢٨، وحسنه البوصيري في مصباح الزجاجة ٣/١٤٠.

هذه النصوص تتضمن تغليظ القول لمن لبس الحلقة والخيط ونحوهما والتحذير من عدم الفلاح في الآخرة لو مات العبد وهو يحملها.

وكذلك لا يحصل من يحمل أمثال هذه الأشياء الوثنية من النفع الذي يرجوه شيئا بل تزيده وهنا وضعفا ومرضا لأنها ليست علاجات أو أدوية حقيقية، ومن ثم فهي تخدعه برجاء الشفاء والوقاية فيترك التداوي الصحيح فيزداد مرضه، ويصيبه ما يخشاه لأنه اتخذ الحمية غير المناسبة.

ويدل حديث حذيفة على أن هذا من الشرك وإن كانت الآية في الشرك الأكبر، والخيط من الشرك الأصغر الذي لا يخرج من الملة، وفي هذا دلالة على أن الشرك الأصغر يمكن أن يتحول عند العبد إلى شرك أكبر، إذا هو استمر على هذا وزاد اعتقاده في هذه الوثنيات وأصبحت حياتُهُ قائمةً عليها.

ذلك أن التوحيد يستلزم اعتناء العبد بأنه لا يكشف الضر إلا الله، ولا يمنع رحمة الله تعالى عنه إذا أراده الله برحمةٍ أحدٌ، ومن ثم يستلزم بالتالي هذا الاعتقاد القلبي العمل المناسب وهو ترك كل ما يتوهم العباد أنه نافع، وعدم الخشية من كل ما يتوهمون فيه الضر متوكلين على الله وحده.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[1].

ومن ثم فكل من يتخذ تميمية أو رقية أو تولة متوهما فيها نَفْعاً أو دفعَ ضرٍ فقد أتى عملا من أعمال الشرك، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الرقى والتمائم والتولة شرك"[2].

---

(١) الزمر: ٣٨.

(٢) رواه أحمد في المسند ٣٨١/١، وأبو داود في السنن كتاب الطب، باب في تعليق التمائم ح٣٨٨٣، وابن حبان في صحيحه ٦٣٠/٧.

والتمائم كما مر بنا هي ما يعلقونها على الصبي أو على الدابة حماية من العين، وكان يكتبها لهم الكهان، وتسمى الأحجبة أيضا والرقى هي التي تسمى العزائم.

والتولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها ويحبب الرجل إلى امرأته، وهي من الشرك لأنها أكثر ما تكون في الجاهلية من عمل الكهان والسحرة، فهذا الذي يعلقونه يدل على أنهم لم يسألوا الله تعالى، ولم يتوجهوا إليه، ولم يطلبوا منه ما يريدون، ولم يأخذوا بالأسباب التي خلقها الله تعالى حسب السنن فأعرضوا عن دعائه وحده سبحانه وتوجهوا لهذه الأشياء يطلبون منها، ومن ثم يوكلهم الله تعالى إليها فيخسرون ما يرجونه في العاجل ولا يفلحون في الآجل، فعن عبد الله بن عكيم مرفوعا: من تعلق شيئا وكل إليه"(١).

وكذلك روى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ: "يا رويفع لعل الحياة ستطول بك فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وترا أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً بريء منه"(٢).

وفي هذا تشديد ووعيد لمن فعل شيئا من ذلك.

وبالرغم من إباحة الرقى بالقرآن إلا أن تعليق حجاب أو تميمية من القرآن الكريم ليس على نفس الحكم فقد كان ابن مسعود رضي الله عنه يكره ذلك كله(٣).

كما روى الإمام أحمد عن إبراهيم النخعي قال: كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن(٤).

---

(١) رواه أحمد في المسند ٤/٣١٠،٣١١، والترمذي ح٢٠٧٣، والحاكم في المستدرك ٤/٢١٦.

(٢) رواه أحمد في المسند ٤/١٠٨،١٠٩، والبيهقي في الكبرى ١/١١٠، والطبراني في الكبير ح٤٤٩١.

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

(٤) الأثر أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١/٢٥٠، وذكره صاحب فتح المجيد ١/٢٥٠ مثله.

كذلك روى عن سعيد بن جبير قوله: من قطع تميمية من إنسان كان كعدل رقبة[1].

وهذا ثواب عظيم لمن يفعل ذلك له دلالة على عظيم وزر من يطلق التمائم والأوتار والرقى وأمثالها.

ومن هذا الباب أيضا التبرك بالشجر والحجر ونحوهما، فعن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا: يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: "الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[2]، لتركبن سنن من كان قبلكم"[3].

يبين كلام أبي واقد الليثي في تقديمه لحديث رسول الله ﷺ أنه وقومه كانوا حدثاء عهد بكفر أي كان إسلامهم حديثا، فلما تذكروا أن للمشركين الذين سيحاربونهم شجرة يعلقون بها أسلحتهم تبركاً وطلبا للنصر من ذلك طلبوا أن يجعل لهم رسول الله ﷺ إحدى الأشجار ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ ما يفيد أنهم بهذا الطلب قالوا مثل ما قال بنو إسرائيل ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ ذلك لأن طلب البركة من أي شيء معناه طلب النفع أو النصر منه بلا علاقة سببية بين هذا الشيء وبين ما يرجونه يعني أنهم اتخذوا هذا الشيء إلها لأن الطلب والرجاء في أي شيء يجعله إلها للطالب والراجي، وهذا ما يتعارض مع قول لا إله إلا الله الذي يتضمن نفي الآلهية من دون الله تعالى.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ح٣٥٢٤.

(٢) الأعراف: ١٣٨.

(٣) رواه الترمذي وصححه ص٢٦١.

وقد نبه النبي الكريم ﷺ إلى أن ما جرى في بني إسرائيل من مخالفات للتوحيد والوقوع في الشرك والكفر سيكون في الأمة وذلك بقوله: "لتركبن سنن من كان قبلكم"(١)، وهذا يوجب على كل مسلم أن ينتبه ويتحرز من كل ما قد يوقعه فيما وقع فيه أهل الكتاب من الأعمال الشركية.

وعلى هذا فكل ما يتبرك به من الأشياء رجاء النفع ودفع الضر من قبور أو أضرحة أو آثار للأولياء والصالحين أو شجر أو حجر فهو من الشرك وهذا الشيء يعتبر للمتبرك فيه المعتقد بنفعه إلها من دون الله عز وجل.

إن هذا الاعتقاد في الأشجار أو الأحجار أو الأضرحة أو القبور يؤدي بصاحبه إلى أعمال الشرك الأكبر مثل الذبح في هذا المكان، والنذر له، والانتقال إليه، وغير ذلك من أعمال النسك والعبادة فيؤدي هذا مع اختلاف الزمن وتقدمه إلى الشرك الأكبر.

ثامن عشر: الشرك في الأقوال:

عرضنا فيما سبق ما ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من الشركيات العملية، التي يقع مرتكبوها في الشرك الأكبر الظاهر والشرك الخفي الأصغر، ويبقى لبيان مذهبه في التوحيد ذكر الشركيات اللفظية التي حذر الشرع منها ونهى عنها رسول الله ﷺ.

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قول ابن عباس رضي الله عنهما: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل.

---

(١) تقدم تخريجه.

وهو أن تقول: والله وحياتك يافلان وحياتي.

وتقول: لولا كليبة فلان لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص.

وقول الرجل: لصاحبه ما شاء الله وشئت.

وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانا هذا كله به شرك[1].

هذه كلها ألفاظ يقولها القائل قد يعلم ما تتضمنه من نسبة الندية لله عز وجل على الأقل في الأمر الذي يتحدث فيه، وقد لا يعلم أو لا يدري نسيانا أو جهلا، لكنها تتضمن جعل فلان أو الشيء الذي يذكره مع الله ندا لله سبحانه وتعالى، وقد وصف ابن عباس رضي الله عنهما هذا الشرك بأنه من النوع الخفي الذي يدخل على الإنسان دون أن يحس به أو يدركه كما لا يدرك دبيب النمل على صفاةٍ سوداء في الظلمة لا بالسمع ولا بالرؤية.

فقول القائل: والله وحياتك وحياتي، هو قسم بالله سبحانه وبحياة المخاطب أو حياة المتكلم فكأنه جعل حياتهما كحياة الله عز وجل فجعل المخاطب أو نفسه ندا لله سبحانه وتعالى.

وهذا كفر وشرك بدليل قول النبي ﷺ: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك"[2]، حتى صح عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله: لأَنْ أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا[3].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في التفسير ٦٢/١ ح٢٢٩، انظر كتاب التوحيد ص١٠٩.

(٢) رواه أبو داود كتاب الأيمان والنذور باب في كراهية الحلف بالآباء ح٣٢٥١، والحاكم ١٨/١ في المستدرك، وقال: حديث صحيح ورواه الترمذي في النذور والأيمان باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ح١٥٣٥وقال حديث حسن.

(٣) كتاب التوحيد / ص١٠٩، والأثر رواه عبد الرزاق في مصنفه ح٨٩٠٢، وأبو نعيم في الحلية ٢٦٧/٧.

واعتبر ابن عباس القول لولا الشيء الفلاني لحدث كذا، وحدث كذا، من الشرك اللفظي لأنه ينسب الفضل والنعمة أو الضر لهذا الشخص فجعله بهذه النسبة ندا لله تعالى.

أما قول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقوله: لولا الله وفلان، فإثبات الند لله عز وجل لأنه جعل الحدث يحدث بمشيئة العبد مع مشيئة الله سبحانه.

والصواب الذي علمنا إياه النبي ﷺ فيما رواه أبو داود بسند صحيح عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان"[1].

وكذلك يقال: لولا الله ثم فلان بدلا من: لولا الله وفلان.

ويقال: أعوذ بالله ثم بك بدلا من القول: أعوذ بالله وبك.

قال الشيخ رحمه الله: وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: أعوذ بالله ثم بك.

قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان[2].

هذه كلها تعبيرات شائعة على ألسنة كثير من الناس في مجتمعات الأمة الإسلامية وهي من الألفاظ الشركية التي تجعل له تعالى أندادا، وهي من الشرك الأصغر والخفي الذي يجب على المسلمين أن ينتبهوا إليه ويتجنبوه، خاصة أن رسول الله ﷺ قد نهى عنها وعلمنا عليه الصلاة والسلام التعبير الصحيح الذي لا تشوبه شائبة الشرك، فعن ابن عباس

---

(١) انظر كتاب التوحيد / ص١٠٩.

(٢) نفس المصدر ص١١٠.

رضي الله عنهما أن رجلا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: أجعلتني لله ندا؟ ما شاء الله وحده"(١).

وروى النسائي أيضا وصححه عن قتيلة أن يهوديا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت.

وروى في نفس المعنى ابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزير ابن الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تشركون تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته قال: هل أخبرت بها أحدا؟ قلت: نعم، قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد: فإن طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ما شاء الله وحده"(٢).

وقد استنبط الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ من هذا الحديث والذي قبله أن هذه الشركيات اللفظية ليست من الشرك الأكبر المخرج عن الملة بدليل قول الرسول ﷺ: "وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني

(١) رواه النسائي في الصغرى ٦/٧ ح٣٧٨٢ كتاب الأيمان باب الحلف بالكنيسة، وأحمد في المسند ٦/ ٣٧١، والحاكم في المستدرك ٢٩٧/٤ وصححه، كتاب التوحيد ص١١٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه كتاب الكفارات باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت ح٢١١٨، ٢١١٩ وقال البوصيري في مصباح الزجاجة ١٥١/٢ إسناد صحيح رجاله على شرط مسلم، وأحمد في المسند ٧٢/٥، ٣٩٣.

كذا وكذا أن أنهاكم عنها[1]، ولو كان هذا من الشرك الأكبر الصريح لما منع رسول الله ﷺ أمر مهما كان بيانه لأنه معلوم أنه ما جاء إلا للتوحيد وبيان كل ما يتعلق به، والقضاء على كل ما يؤدي إلى الشرك.

واستنبط أيضا الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ أن اليهود كانوا يعرفون أنواع الشرك ومنها الشرك الأصغر فلما لا حظوا وقوع بعض المسلمين فيه عارضوا اتهامهم بالشرك الأكبر (عزير ابن الله) عن ذلك بهذه الشركيات اللفظية عند المسلمين والتي هي من الشرك الأصغر.

وكذلك يستنبط الشيخ أن رؤيا الطفيل رضي الله عنه صارت مصدراً للتشريع واعتمدها رسول الله ﷺ باعتبارها من أقسام الوحي وأن الرؤيا قد تكون سببا لشرع بعض الأحكام لكن لا تكون كذلك إلا بإقرار النبي ﷺ.

ومن الواضح أن هذا النوع يعذر العبد فيه بجهله أو بمقتضى أنه لا يحدث منه متعمدا به قلبه مصرا عليه بل هو من هفوات اللسان إذا وقع من الموحد، ومحو أثر هذا القول من قلب صاحبه هو الاستغفار والعزم على الحرص وضبط اللسان حتى لا يتكرر.

وقد حدث أن بعض الصحابة كانوا يستخدمون بعض العبارات اللفظية التي تخالف معانيها التوحيد فكان رسول الله ﷺ ينبههم دائماً إلى ما لا يجوز في حق الله تبارك وتعالى من ألفاظ وتعبيرات.

ومنها قول القائل بعد حدوث المصيبة أو الحدث: لو لم أفعل كذا ما حدث كذا، ولو فعلت كذا لما حدث ما حدث، ويتعارض مثل هذا التعبير مع التوحيد من حيث أنه يدل على اعتقاد صاحبه بأن الأحداث ليست مقدرة بقدر الله تعالى، وإنما هي موكولة بأسبابها المادية وهذا من الشرك الخفي لأن من كمال توحيد العبد إيمانه بأن كل شيء يحدث في

---

(١) أحمد في المسند ٥/٧٢ ح٢٠٩٧٠.

الكون إنما يحدث بقدر سابق قدره الله. ولا يقع إلا بمشيئته سبحانه، فإذا وقع الحدث فهذا معناه أن الله تعالى أراده بإرادة كونية ومن ثم فلا راد لما قضى الله تعالى به.

أما قبل أن يحدث الحدث وقبل أن يعلم العبد أنه سيحدث من عدمه فعليه أن يأخذ بالأسباب الصحيحة الكاملة ولا يعجز ولا يتواكل ثم بعد ذلك يرضى بالنتيجة التي تحدث أيا كانت فإن كانت كما يأمل فليحمد الله تعالى وإن كانت على غير ما يرجو ويحب فليصبر وليرض بما قضى الله إيمانا منه أن ما حدث لم يكن بد من حدوثه لأنه قدر الله وقضاؤه الذي لا يرد فلا موضع إذن لقوله "لو".

جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنني فعلت كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان"[(1)].

فعبارة قدر الله وما شاء فعل توحيدية نقيض عبارة لو كان كذا ما كان كذا فهي شركية.

وهكذا نرى أن من الأقوال ما ينتمي للتوحيد ومنها ما ينتمي للشرك، بدليل أن تعقيب المنافقين على استشهاد بعض الصحابة في غزوة أحد كان بهذه اللو قال تعالى ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾[(2)].

وقال تعالى أيضا: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾[(3)].

---

(1) رواه مسلم في صحيحه كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز ح٢٦٦٤، وأحمد في المسند ٢/ ٣٦٦ مؤلفات الشيخ / ق١ / ك التوحيد ص١٣٠.

(2) آل عمران: ١٥٤.

(3) آل عمران: ١٦٨.

هذا هو تعقيب المنافقين على قتل إخوانهم، أما المؤمنون فإيمانهم بالله تعالى وبقدره وبأنه لن تموت نفس إلا بتمام أجلها الذي قدره الله تعالى لها فتعقيبهم إنا لله وإنا إليه راجعون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

ومن العبارات التي لا تليق بجلال الله سبحانه لأنها تتعارض مع اسم من أسمائه الحسنى وهو السلام قول القائل: السلام على الله، من ناحية لأن الله تعالى هو السلام، ومن ناحية أخرى أن إلقاء السلام ممن يلقيه على غيره هو بمثابة إعطاء الأمان منه للآخر، وهو لا يكون إلا بين ندين أو بين أقوى وأضعف، ولأن الذي أخطأ من الصحابة وقال السلام على الله لا يدرك هذه المعاني البعيدة فقد نبهه النبي ﷺ إلى أن هذا لا يجوز في حقه تعالى ففي الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي ﷺ: "لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام"[1].

كذلك لا يجوز في حق الله تعالى التسمي بأسمائه أو باسم يحمل معنى لا يجوز إلا لله أو باسم لا يتضمن احترام أسمائه وتقديسها، بدليل ما رواه أبو داود وغيره عن أبي شريح رضي الله عنه أنه كان يكنى أبا الحكم فقال له النبي ﷺ: "إن الله هو الحكم وإليه الحكم، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين، فقال: ما أحسن هذا، فما لك من الولد؟ قال: شريح ومسلم وعبد الله، قال: فمن أكبرهم؟ قلت: شريح، قال: فأنت أبو شريح"[2].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الأذان باب ما يتخير من الدعاء ح٨٣٥، ومسلم كتاب الصلاة باب التشهد في الصلاة ح٤٠٢، والنسائي ٢٤٠/٢، وابن ماجه ح٨٩٩ في الصلاة باب ما جاء في التشهد، وانظر ك التوحيد / ص١٢٥ القسم الأول من مؤلفات الشيخ.

(٢) رواه البخاري في العتق باب كراهية التطاول على الرقيق ح٢٥٥٢، ومسلم كتاب الألفاظ باب حكم إطلاق لفظة العبد ح٢٢٤٩، باب تغيير الاسم القبيح ح٤٩٥٥، وابن حبان في صحيحه ٣٦١/١

فغير النبي ﷺ اسمه إلى أبي شريح بدلا من أبي الحكم لأن الله هو الحكم وإليه الحكم فلا يجوز أن يقال أبو الحكم.

ومما يوهم بندية الناس لربهم قول الرجل لمملوكه: عبدي، ومملوكي، وَأَمَتِي، وقول المملوك له: ربي، ومن ثم نهى النبي ﷺ عن هذه الأسماء والنداءات، فقد أخرج البخاري في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "لا يقل أحدكم أطعم ربك، وضيء ربك، وليقل سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي"(١).

أي فليقل المملوك سيدي ومولاي بدلا من قوله ربي، وليقل السيد: فتاي وفتاتي وغلامي بدلا من قوله عبدي وأمتي، لأن الله هو الرب وحده وكذلك العبودية له.

ومن هذه الشركيات اللفظية ما ينسب للعبد ما لا يجوز إلا لله تعالى وحده من صفات وأسماء أو أفعال من هذا التسمي بقاضي القضاة وأبشع منه التسمي بملك الملوك أو ملك الأملاك، ففي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إن أخنع الأسماء عند الله رجل تسمى ملك الأملاك لا مالك لا الله" (٢).

قال سفيان: مثل شاهنشاه (٣).

وفي رواية: "أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه"(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود في الأدب باب تغيير الاسم القبيح ح٤٩٥٥، وابن حبان في صحيحه ٣٦١/١.

(٢) البخاري كتاب الأدب باب أبغض الأسماء إلى الله ح٦٢٠٦، ومسلم كتاب الأدب باب تحريم التسمي بملك الأملاك ح٢١٤٣، وأبو داود في الأدب باب تغيير الاسم القبيح ح٤١٦١.

(٣) البخاري الباب السابق مثله ح٦٢٠٥، ومسلم السابق ح٢١٤٣.

(٤) مسلم السابق ح٢١٤٣، وأحمد في المسند ٣١٥/٢.

وقولـه: أخنع يعني أوضع أي أنه سيكون في أحط مكانة يوم القيامة جزاء وفاقا على قبول أن يوصف بصفة ليست إلا لله تعالى من حيث أن الله تعالى هو ملك الملوك، ولأن التسمي بالاسم يستلزم الاتصاف بالصفة التي يدل عليها الاسم أو الزعم بأنه على هذه الصفة.

وكذلك يستنبط نفس الحكم بالنسبة لمن يتسمى بقاضي القضاة لأن الذي يحاسب القضاة هو الله عز وجل فلا قاضي لهم غيره سبحانه.

ومن الأقوال الشنيعة والتي كثيرا ما تصدر من المسلمين جهلا بشناعتها وظنا ممن يقولها أنه يسب شيئا بعيدا عن الله عز وجل في حين أنه يؤذي الله عز وجل مثل أن يسب الرجل الدهر إذا ألم به سوء أو نزلت به مصيبة أَوْ عانى من أمراض الشيخوخة وتقدم العمر، روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار".

وفي رواية: لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر"[1].

وليس الدهر اسما من أسماء الله عز وجل يمكن أن يدعى به ولكنه الاسم الذي عزى الملاحدة والمشركون فعل الإحياء والإماتة له بدلا من أن ينسبوها لله سبحانه وتعالى المحي المميت وحده، وقالوا ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[2].

أي: **أنهم لما ألحدوا كان عليهم** أن يفسروا أحداث الكون وعلى رأسها الحياة والموت وما بينهما مما يصيب الإنس والأحياء الأخرى،

---

(١) البخاري في التفسير باب سورة حم الجاثية ح٤٨٢٦، رواهما مسلم في صحيحه كتاب الألفاظ من الأدب باب النهي عن سب الدهر ح٢٢٤٦، وتوابعه.

(٢) الجاثية: ٢٤.

وإلى تفسير هذه الظواهر بكر الأيام والسنين، والأحقاب منذ الأزل إلى الأبد وأطلقوا على هذا الدهر.

ولما لم يكن من محي إلا الله ولم يكن من مميت إلا الله تبارك وتعالى وكل شيء من خلقه بقدره عز وجل فإن ما عَزَوْا إليه من الإحياء ومن الإماتة في الحقيقة ليس إلا لله تعالى الكائن قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء وحيث قد عزوا هذا كله لشيء أعطوه هذا الوصف وأطلقوا عليه الدهر فإن هذا الذي وصفوه ونسبوا إليه هذين الفعلين بهذا الوصف ليس إلا الله، وإن أطلقوا عليه اسم الدهر فمن سب الدهر فكأنه سب الخالق عز وجل وهو لا يدري.

وكذلك يكثر بين المسلمين الآن سب الزمان إذا رأى الرائي أحداثا وأخلاقا سيئة في الناس، وهذا لا يجوز لأن مقدر الأحداث هو الله ولا يقع شيء في الدنيا خلال الزمان إلا بقدره ومشيئته فكأن الذي يسب الزمان إنما يسب فعل الله وقدره وهذا من الكفر بالقدر، وهو أذى لله تعالى كما لو سب الدهر.

إن الله عز وجل هو مدبر كل شيء ومقدر كل شيء ولا يتم قضاء إلا بإذنه ومشيئته ولا ينزل مطرا ولا تسير ريح إلا بإذنه فمن سب الريح الشديدة التي يكرهها فقد أثم لأنها لا تكون شديدة ولا هينة إلا بأمره تبارك وتعالى، فسبها تعبير عن عدم الرِضَى بقدر الله تعالى وعن السخط على قضائه وهو مما يتعارض مع التوحيد، فقد روى أُبَيٌّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أَمَرْتَ به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أَمَرْتَ به"(١).

---

(١) رواه الترمذي وصححه كتاب الفتن باب ما جاء في النهي عن سب الرياح ح٢٢٥٢، وأحمد في المسند ١٢٣/٥، والطحاوي في المشكل ٣٩٨/١، والطبراني في الدعاء ٢٠٥٠.

لأن التوحيد يقتضي أَنَّ الريح مأمورة بأمره تعالى ولا تسير إلا بأمره ولا تشتد ولا تلين إلا بأمره ولا تنفع ولا تضر إلا بأمره ومن ثم فلا معنى لسبها والتبرم منها لأن في هذا سُخْطاً على أمر الله عز وجل وهذا لا يجوز من موحد، وإذا كره منها المسلم شيئا أو خشي منها ضررا فليتوجه إلى الله تعالى وحده بالدعاء لمنع هذا الضرر وليرزقه بما تحمله من خير.

ومن الشركيات القولية الاستشفاع بالله تعالى على أحد من خلقه، وذلك لأنه لا يدعى إلا الله ولا يطلب إلا من الله ولا يستعان إلا بالله ولا يستغاث إلا به جل جلاله.

والاستشفاع بأحد من خلقه ممن أذن الله له في الشفاعة عليه سبحانه جائز لأن الشافع طالب ثاني مع الطالب المشفوع له، فإذا استشفع طالب على الله على أحد من خلقه فمعناه أنه يطلب من هذا المخلوق وأن الله عز وجل يكون هو الطالب منه وعلى هذا يكون من الشرك الأكبر هذا التعبير لو صدر من العبد وهو يعلم هذا المعنى ويصر عليه وَيَعْقِدُ قلبه عليه وهو من الشرك الأصغر إذا كان بسبب الجهل كما حدث من الأعرابي الذي وقع في هذا الخطأ فيما رواه أبو داود رحمه الله عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال فاستسق لنا ربك فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله، فقال النبي ﷺ: "سبحان الله فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: ويحك أتدري مالله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد"(١).

فهذا صيغة شركية للدعاء نهى عنها النبي ﷺ وغلظ القول فيها وأستبشعها.

---

(١) أبو داود في كتاب السنة باب في الجهمية ح٤٧٢٦، وابن خزيمة في التوحيد ح١٤٧، واسنة لابن أبي عاصم ح٥٧٥، ٥٧٦.

ومن الصيغ التي لا تجوز في حق الله تعالى لتعارض معناها مع صفاته العليا سبحانه قول الداعي: اللهم اغفر لي إن شئت، ففي الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإن الله لا مُكْرِهَ له"(1).

وفي صحيح مسلم: "وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه"(2).

وعلة تحريم هذه الصيغة في الدعاء أن التخيير من الطالب للمطلوب منه لا يكون إلا من آمر إلى مأمور به، أو من ند يطلب من نده، فإذا سمعنا قائلاً يقول لآخر: افعل كذا أو إن شئت افعل غيره، أو إن شئت فعلت وإن شئت لا تفعل فإن المخاطب يكون بمن يجوز عليه الإلزام في الفعل، والله سبحانه لا مكره له ولا ملزم له، ومن ثم لا يجوز الدعاء بصيغة إن شئت.

تاسع عشر: موالاة أعداء الله من الكفار والمرتدين والمستكبرين في الأرض كفر بواح وشرك أكبر مخرج عن الملة

علمنا من قبل ما قرره عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من أن الإيمان لا يتحقق للعبد إلا بأربعة أعمال أو أحوال قلبية، وذلك فيما رواه عنه ابن جرير بقوله: من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله"(3).

---

(1) صحيح البخاري كتاب الدعوات باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له ح٦٣٣٩، ومسلم في الذكر والدعاء باب العزم بالدعاء ح٢٦٧٨.

(2) السابق ح٢٦٧٩.

(3) رواه أبو داود في السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ح٤٦٨١، وأحمد في المسند ٤٣٨/٣، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ١٦٤/٢.

فإنما تُنَالُ ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك والآن قد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي أهله شيئاً.

وهذا الأحوال القلبية الأربعة مبنية على حقيقة الإيمان بالله تعالى التي ليست شيئا إلا حب الله ورسوله حبا أشد من أي شيء آخر، والخوف من الله أشد من الخوف من أي شيء آخر، والرجاء في الله وحده دون سواه.

فأما عن حب الله تعالى ورسوله فقد قال رسول الله ﷺ فيما أخرجه الشيخان: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان:

أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار"[1].

وأخرج الشيخان أيضا عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"[2].

هذا بالنسبة للموحدين أما بالنسبة للمشركين فهم الذين يحبون الله تعالى أيضا لكن يحبون غيره ممن هم دونه كحب الله فجعلوهم أندادا لله، إذ أحبوهم حبا كحب الله، قال تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[3].

ويكون حب الأغيار كحب الله أو أشد من حب الله إذا أطاع العبد

---

(١) رواه البخاري كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان ح١٦، ومسلم في الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ح٤٣، وأحمد في المسند ١٠٣/٣.

(٢) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما.

(٣) البقرة: ١٦٥.

غير الله في معصية الله، أو إذا استجاب لداعي غير الله وترك دعوة الله تعالى، مثل الذي يؤثر الأهل والعشيرة والمال والمسكن الطيب والحياة الرغدة على الجهاد في سبيل الله فيكون قد آثر هذا كله على الله ورسوله قال تعالى ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(١).

وكذلك حال الخوف في القلب لا يكون بالنسبة للموحد إلا من الله تعالى أما المشرك فهو يخشى غير الله تعالى أشد من خشية الله، قال تعالى ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٢)، وقال تعالى أيضا ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾(٤).

فالخوف أو الخشية من الله تعالى هو الركن الثاني للإيمان في القلب بعد الحب.

أما الركن الثالث وهو الرجاء في الله سبحانه وتعالى وبه لا يقنط العبد من رحمة الله تعالى لأن القنوط قطع الرجاء قال تعالى﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن

(١) التوبة: ٢٤.

(٢) آل عمران: ١٧٥.

(٣) رواه البخاري كتاب التفسير باب قوله تعالى ﴿ الذين استجابوا لله... ﴾ ح٤٥٦٣، ٤٥٦٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه.

﴿رَحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر؟ **فقال**: الشرك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله"[2].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله[3].

ومن ثم يكون التوحيد القلبي إخلاص الحب والخشية والرجاء لله تعالى، وبالتالي يكون إشراك غير الله معه في هذه الثلاثة شركاً أكبر مخرجاً من الملة أي إذا اكتملت في قلب العبد هذه الثلاثة لله ولغيره فيحب غير الله تعالى وغير رسوله حباً أشد من حبهما ويخشى غير الله خشية الله أو خشية أشد من خشيته لله ويرجو غير الله تعالى، فإنه يكون مشركا والنتيجة اللازمة لهذه الشركيات القلبية الثلاث أربعة أحوال قلبية حيال الناس هي:

١. **ـ من يحب المشرك ـ من يحبه** من الناس ليس لله تعالى وإنما يكون حبه للمصلحة أو للعصبية الجاهلية أو لأي أمر من أمور الدنيا فإذا وافق هذا الحب حب المسلمين والمؤمنين يكون حبه نفاقا وإذا تعارض فإنه لا يحب المسلمين أو المؤمنين بل يعلن بغضه لهم.

٢. **أن يبغض من يبغضه** بسبب المصلحة أو العصبية أو لأي أمر من أمور الدنيا، فإذا وافق البغض للمسلمين وللمؤمنين المصلحة فإنه يبغضهم، وإذا لم يوافق لم يظهر البغض نفاقا للمسلمين حرصا على المصلحة.

---

(١) الحجر / ٥٦.

(٢) مؤلفات الشيخ / القسم الأول / ك ص٩٥، رواه البزار في مسنده ح١٠٦ كشف الأستار، وذكره في الدر المنثور وعزاه لابن أبي حاتم ١٤٧/٢ وقال إسناده حسن، وحسنه العراقي في الإحياء ١٧/٤، والطبراني في الأوسط كما في المجمع ١٠٤/١ وقال: رجاله موثقون.

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف ٤٥٩/١٠، والطبراني في الكبير ح٨٧٨٣.

٣. أن يوالي الذي في قلبه هذه الشركيات الثلاثة أعداء الله تعالى والموالاة نقيض المعاداة.

٤. أن يعادى المؤمنين.

فمن أحب أعداء الله ووالاهم، وأبغض المؤمنين وعاداهم فهو الكفر والشرك المخرج عن الملة بلا خلاف قال تعالى ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[١].

أي أن المؤمن بالله تعالى واحداً لا شريك له لا يوالي إلا الله ورسوله والذين آمنوا وبالتالي فهو يعادي أعداء الله تعالى ورسوله من الكفار والمشركين أيا كانوا حتى ولو كانوا من الأهل والعشيرة.

ويقابل هذه الموالاة الإيمانية الموالاة الشركية أي موالاة الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم وهي التي نهى الله تعالى المؤمنين عنها فقال عز من قائل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢].

أي من يفعل ذلك فهو من المشركين وهو يهودي أو من اليهود إن والى اليهود وهو من النصارى إن والى النصارى.

وقد يستبعد المسلم والمؤمن الموحد أن يتخذ أحد الذين ينطقون بشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله اليهود أو النصارى أولياء ولكن هذا الأمر ليس بمستبعد لأن الله تعالى يبتلي العباد بما يكشف ما في قلوبهم من مرض ولهذا قال بعد ذلك ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾[٣].

---

(١) المائدة: ٥٦.

(٢) المائدة: ٥١.

(٣) المائدة: ٥٢.

أي أنهم إذا هددهم خطر يرجون النفع من الناس والأشياء أكثر من رجائهم من الله تعالى، ويحبون الناس كحبهم لله تعالى أو أشد، ويسارعون بطلب النجدة والغوث للنجاة من الخطر من المشركين والكافرين حتى ولو كانت هذه الاستعانة بالمشركين ضد المسلمين ويسارعون باتخاذ المشركين أولياء من دون المؤمنين ثقة في قوة المشركين لأن رجاءهم في المشركين أقوى من رجائهم في الله، وخوفهم منهم أقوى من خوفهم من الله وبالتالي يكون حبهم لهم أشد من حبهم لله تعالى، ومعنى قوله يسارعون فيهم أي يبادرون إلى مودتهم ظاهرا وباطنا محافظة على الموالاة التي بينهم خوفا من أن يتهددهم خطر من عدو فيستعينون بهم.

وهؤلاء الذي يستغيثون ويستعينون بالمشركين ويتخذونهم أولياء أي نصراء ووكلاء وأحباء من دون المؤمنين إذا فعلوا هذا فإنهم يكونون قد ارتدوا بعد إسلامهم

ومن ثم قال الله تعالى بعد ذلك هذه الآية ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ . يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ إِنَّمَا . وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ . وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ . يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

لأن اتخاذ عدو الله ولياً من دون المؤمنين بحبه والاعتماد عليه في النصرة الأمر الذي يؤدي إلى معاداة عدو هذا الولي الكافر بين معاداة

---

(١) المائدة: ٥٣ ـ ٥٧.

المسلمين وهو من الكفر البواح والشرك الأكبر وقد حدث هذا من بعض أمراء وملوك بلاد الأندلس حيث استنصر بعضهم بالنصارى الأسبان على المسلمين فلم يفلحوا في الدنيا ولا في الآخرة.

إن التوحيد يقتضي إفراد الله تعالى بالربوبية والألوهية وأول أعمال إفراد الله تعالى بالألوهية هي أعمال قلبية وهي الحب والخشية والرجاء ولكي يفرد العبد الله تعالى بالحب، والخشية والرجاء لابد أن يكون حبه لله ورسوله أشد مما سواهما والخوف من الله سبحانه وتعالى أشد مما سواه والرجاء فيه وحده سبحانه كذلك، وأنه يحب من العباد من يحبه الله ويبغض مِنْهم من يبغضه الله فيكون حبه لما سوى الله تعالى حبا في الله، وبغضه لما سوى الله تعالى بغضاً في الله، ورجاؤه فيما سوى الله تعالى رجاء في الله وحده وتوكلا عليه وحده، وإيمانا بأنه لا نافع إلا هو وحده، وإنما يكون توجهه في هذا الشيء من قبيل الأخذ بالأسباب مع الاعتقاد بأنه لا ينفع إلا بإذن الله تعالى وأمره.

هذه الأركان الثلاثة للتوحيد القلبي يقابلها أركان ثلاثة للشرك القلبي وعلامات هذه الشركيات القلبية الثلاثة الموالاة والحب لأعداء الله تعالى والبغض للمؤمنين والمعاداة لهم وأن يكون رجاء المشرك في أعداء الله تعالى من دون المؤمنين.

إن موالاة اليهود والنصارى كفر وشرك صريح إذ يصبح من يواليهم منهم حتى ولو كان ممن ينطق بالشهادتين بنص الآية، ومن أخطر أعمال اتخاذهم أولياء طلب النصرة منهم على الأعداء هذا فيما لو كان الأعداء من المشركين فكيف يكون الحكم لو كان هؤلاء الذي استنصروا عليهم أعداء الله تعالى من المسلمين الصائلين؟ أي الاستنصار بالمشرك على المسلم.

في رسالة[1] **لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب** بعنوان نواقض الإسلام عرض عشرة نواقض مخرجة عن الملة جعل الثامن منها موالاة ومظاهرة المشركين على المسلمين فقال: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

أي أن الوقوف في خندق واحد في السلم والحرب مع الكفار حبا لهم وصداقة ولمصلحة مشتركة ضد المسلمين كفر، كما أن الاستنصار بهم على المسلمين وجعلهم أولياء على أهل الإسلام كفر أيضا وهذا معنى اتخاذهم أولياء.

وقد عقد الشيخ رحمه الله في كتابه أصول الإيمان بابا بعنوان في وجوب عداوة أعداء الله من الكفار والمرتدين والمنافقين، وقول الله تعالى ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾.

وقوله تعالى﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾.

وقوله تعالى﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ..﴾ إلى قوله تعالى ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ...﴾[3].

وقوله تعالى ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ

---

(١) مؤلفات الشيخ / القسم الأول ص٣٨٦.

(٢) المائدة: ٥١.

(٣) الممتحنة: ١ـ٤.

﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾(١).

فلا مودة ولا موالاة ولا مظاهرة للمشركين أعداء الله.

وأخيرا يؤكد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في أكثر كتبه ورسائله على حقيقة غفل عنها كثير من المسلمين وهي أنه لا يتم توحيد العبد ولا يصح إسلامه ما لم يكفر بالطواغيت أو حتى بواحد منها فهو لم يقلها لأن النفي في الشهادة نفيٌ ورفضٌ لهذه الطواغيت.

والطواغيت عنده خمسة:

الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ. وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾(٢).

الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى، والدليل قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾(٣).

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(٤).

الرابع: الذي يدعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله ﴿عَالِمُ

(١) المجادلة: ٢٢.
(٢) يس: ٦٠، ٦١.
(٣) النساء: ٦٠.
(٤) المائدة: ٤٤.

﴿ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾(١).

الخامس: الذي يُعْبَدُ مِنْ دون الله وهو راض بالعبادة، والدليل قوله تعالى ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢).

واعلم أن الإنسان مايصير مؤمنا بالله إلا بالكفر بالطاغوت والدليل قوله تعالى﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٣).

الرشد دين محمد ﷺ، والغي دين أبي جهل، والعروة الوثقى شهادة أن لا إله إلا الله، وهي متضمنة للنفي والإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له(٤).

وهكذا يتبين لنا بوضوح أن الغاية العليا لدعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هي التوحيد ومن ثم فهي الدعوة التي كانت ولازالت التطبيق العملي للغاية العظمى من غايات الدعوة إلى أنْ لا إله إلا الله محمد رسول الله، وذلك بالتركيز على الجانب العقدي توحيد الربوبية والأسماء والصفات، والجانب العملي توحيد الألوهية، بإفراد الله تعالى بالعبادات وصرفها لله تعالى وحده ونفيها عن الطواغيت وهذا لا يتم إلا بنبذ الشركيات والوثنيات المتغلغلة فيها بتأثير التصوف المنحرف وبدع

---

(١) الجن: ٢٦، ٢٧.

(٢) الأنبياء: ٢٩.

(٣) البقرة: ٢٥٦.

(٤) مؤلفات الشيخ القسم الأول ص٣٨٥ ـ ٣٨٦.

الصوفية وشركياتهم السلوكية وحيث أن العقيدة هي الأساس في البناء الاجتماعي لذا فقد أوجب البدء بتصحيحها.

ولا شك أن الدعوات الرئيسة التجديدية في العالم الإسلامي التي جاءت بعد هذه الدعوة قد تأثرت بها وانطلقت من أهدافها فأقرت العقيدة السلفية وانطلقت منها إلى أهداف تطبيقية عملية أخرى تحقيقا لغاية أخرى من الغايات التي ذكرناها من قبل وذلك ما سنراه في فصل لاحق بإذن الله تعالى.

الفصل الثامن

الغاية الرئيسة لدعوة الإمام المودودي في باكستان والإمام حسن البنا في مصر

ومن أهم الدعوات التجديدية التي ظهرت في العصر الحديث دعوة حسن البنا في مصر، وأبي الأعلى المودودي في باكستان، ولقد ظهرتا في وقت متقارب، واتفقتا على الغاية الرئيسة المباشرة للدعوة، وهي العودة إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وهي الغاية التي نادى بها كل الدعاة، كما اتفقتا أيضاً على الهدف التطبيقي العملي الذي هو السبيل إلى تحقيق هذه الغاية الرئيسة، هذا الهدف الذي يتحدد بتشخيص الداء الذي يعتبر هو بمثابة الدواء والعلاج، **وهو عندهما إقامة الدولة الإسلامية.**

لقد ظهرت هاتان الدعوتان حديثاً بعد سقوط الخلافة العثمانية مباشرة وذلك بعد أن حمل العثمانيون عبء الخلافة الإسلامية أكثر من أربعة قرون، فبرز بسقوطها أخطر الأمراض التي أصابت الأمة خلال تاريخها كله، إذ صَاحَبَ سقوطَ الخلافة تغيراتٌ جذرية في نظام الحكم، وفي النظام الاجتماعي والخلقي، وبعد أن كانت معاملات الناس محكومة بتعاليم الشريعة تغيرت القوانين والأنظمة إلى فرنسية وإنجليزية وإيطالية بفعل هؤلاء المستعمرين.

فماذا يكون العلاج لهذه الأمراض السياسية والاقتصادية والقضائية إلا

الدعوة إلى الحكم بما أنزل الله تعالى وإلى إقامة المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية توطئة لإعادة الخلافة الإسلامية المحققة لوحدة الأمة والجامعة لكلمتها؟

ومن ثم قامت هاتان الدعوتان الجديدتان متخطية هدفي التبليغ والتوحيد وإن اعتبرتا هذين الهدفين من الوسائل التي لابد منها لتحقيق هدف آخر وهو إقامة حكم الله تعالى في مجتمعات الأمة بعد أن هدمه المستعمرون، فدعوة البنا والمودودي رحمهما الله احتضنتا هدفي التوحيد النقي وانطلقتا منهما ولم تتوقفا عندهما وإنما تطلعتا إلى هدف تطبيقي غير هذين الهدفين أو هو مكمل لهما، لقد تغيرت الإجابة عندهما على السؤال المطروح دائماً أمام المجددين وهو: كيف تعود الأمة إلى القرآن الكريم والسنة؟ بإعلان شعار جديد يعبر عن هدف جديد هو إقامة حكم الله عز وجل في واقع الحياة الذي لا يتم إلا بإقامة الدولة الإسلامية.

فبرز شعار: الإسلام دين ودولة، رداً على العلمانية في مجال الفكر وإسقاط الخلافة في مجال الواقع التاريخي، وهكذا نجد أنه بينما انحصرت أهداف أهل التبليغ في مجرد البلاغ، وأهداف أتباع محمد بن عبد الوهاب في إقامة التوحيد في القلوب والنفوس وتنقية العبادات من البدع والمظاهر الشركية نجد غلبة الجوانب السياسية والاجتماعية على دعوة البنا والمودودي وأتباعهما.

وهذا لا يعيب أي دعوة من الدعوات السابق ذكرها لأن كل دعوة تعنى أولاً بأمراض الناس في زمانها وبيئتها، وإبراز العلاجات المناسبة من الوحي.

وليس أدل على هذا كله من كتاب الأستاذ/ سيد قطب في "الظلال" وفي سائر كتبه التي ارتفع فيها بطلب الحكم بما أنزل الله تعالى، حتى جعله مبدأ من مبادئ التوحيد الإسلامي بالنسبة للمجتمع المسلم حيث ركز

على وجوب تحقيق حاكمية الله تعالى بين المسلمين، فأبرز جانباً من جوانب التوحيد الإسلامي - حسب هذا الاعتقاد - اعتبره فرض كفاية على الأمة، وهو وجوب إفراد الله تعالى بالحاكمية في جميع جوانب الحياة بتطبيق شريعته كاملة باعتبار هذا عنصراً رئيساً لتوحيد الربوبية.

وليس هذا الفكر سوى تلبية لحاجات الأمة التي افتقرت إلى حكم الله تعالى في الداخل افتقار المريض إلى الدواء، وافتقرت إلى وحدتها وقوتها للتصدي لأعدائها الخارجين، فاستفحال العلل والأمراض وتفشي أعراضها يستلزم العلاج والدواء.

ومن ثم صارت الدولة الإسلامية أو الحكم بما أنزل الله تعالى هو الهدف التطبيقي المباشر والرئيس عند البنا والمودودي إنقاذاً للأمة.

ولما كان من المعلوم للجميع أن الاستعمار الصليبي لم يخرج من أي قطر من أقطار العالم الإسلامي إلا بعد أن استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير فأحل قوانينه الوضعية فرنسية وإنجليزية وإيطالية محل الشريعة الإسلامية التي حكمت هذه الأقطار أكثر من اثني عشر قرناً من الزمان.

ومعلوم كذلك أنه لم ينج من هذا التغيير الاستعماري إلا أكثر أجزاء الجزيرة العربية، لذا نجد أن الدعوة في هذه البلاد ظلت متمثلة في الدعوة الوهابية التي اتخذت من التوحيد الخالص هدفاً أعلى لها بينما أصبح الهدف الأعلى للدعوة الإسلامية في الأقطار المستعمرة الأخرى هو إعادة تطبيق الشريعة والحكم بما أنزل الله تعالى وإقامة الدولة الإسلامية، والجهاد ضد المستعمر الصليبي.

بالإضافة إلى التوحيد الخالص وانطلاقاً منه وهذا يفسر لنا انتشار دعوة البنا والمودودي في البلاد العربية والبلاد الهندية في حين نجد اكتفاء أهل الجزيرة بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب واستمرارهم عليها.

الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية الباكستانية:

جاء في تعريف الجماعة ما يلي:

الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية الباكستانية جماعة إسلامية معاصرة كرست جهودها في سبيل إقرار الشريعة الإسلامية وتطبيقها في حياة الناس والوقوف بحزم ضد جميع أشكال الاتجاهات العلمانية التي تحاول السيطرة على المنطقة(١).

وقد أسسها أبو الأعلى المودودي (١٣٢١- ١٣٩٩ / ١٩٠٣- ١٩٧٩) الذي بدأ حياته الدعوية بالعمل في الصحافة ولم يتجاوز خمسة عشر عاما، وبعد ثلاث سنوات كون جبهة صحفية جعلت هدفها تحرير الأمة الإسلامية وتبليغ الإسلام.

وفي عام ١٩٢٨ نشر كتابه "الجهاد في الإسلام"، الذي كان له أثره البالغ في إشعال الرغبة في الجهاد ضد أعداء الإسلام وبخاصة ضد المستعمر الإنجليزي ثم أصدر في حيدر آباد الدكن مجلة "ترجمان القرآن" عام ١٩٣٣، وجعل شعارها (احملوا أيها المسلمون دعوة القرآن وانهضوا وحلقوا فوق العالم)، وعن طريق هذه المجلة انتشرت مبادؤه وأفكاره في أرجاء الهند وباكستان، الأمر الذي ساعده بعد ذلك على تأسيس الجماعة الإسلامية فيما بعد، وفي عام ١٩٤١م وجه الدعوة لعلماء الإسلام وقادتهم لحضور المؤتمر الذي أسس الجماعة الإسلامية بحضور خمسة وسبعين شخصا يمثلون مختلف بلاد الهند.

انفصلت باكستان عن الهند عام ١٩٤٧ وبدأت عمليات الهجرة الجماعية من أقاليم الهند إلى باكستان وبنجلاديش، وقامت الجماعة الإسلامية بدور بارز في استقبال المهاجرين وإيوائهم وإعاشتهم، كما

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص١٧٣.

ساعدت الجماعةُ المجاهدين الكشميريين في جهادهم ضد الهند.

تم اعتقال المودودي في حياته عدة مرات بسبب جرأته وجهوده ضد مُعارضِ تطبيق الشريعة الإسلامية في باكستان، كما فضح القاديانيين وبين مخالفتهم لمباديء الإسلام المخرجة عن الملة وحكم عليه بالإعدام ثم خفف الحكم ويظهر اهتمامه القوي والواضح بالأمور السياسية وشئون الأمة بانزعاجه وحزنه الشديدين بعد انقسام باكستان إلى دولتي باكستان وبنجلاديش.

ترك المودودي قيادة الجماعة في نوفمبر ١٩٧٢ لاعتلال صحته وتفرغ لاستكمال كتابه "تفهيم القرآن" وتولى بيانُ طفيل محمد قيادةَ الجماعة من بعده.

وتوفي المودودي إلى رحمة الله تعالى في ١٩٧٩/٩/٢٢ إثر عملية جراحية بنيويورك، ودفن في لاهمر [١].

وللجماعة مراكز في بنجلاديش والهند وسيرلانكا وكشمير وسيلان، وتولى إمارة الجماعة في الهند أبو الليث الإصلاحي الندوي، وتولى إمارتها في بنجلاديش أبو الكلام محمد يوسف وذلك منذ انفصالها عن باكستان في عام ١٩٧٢، ثم تولاها من بعده عباس علي خان، ولازالت الجماعة في باكستان تسير على نهج المؤسس رحمه الله تعالى.

أهداف الجماعة الإسلامية:

منطلق من عقيدة أهل السنة والجماعة، أعلنت وجوب العودة إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وهي الغاية العليا العامة التي رفعتها جميع الدعوات التجديدية في عصرنا الراهن، ولكنها جعلت الهدف التطبيقي

---

(١) المصدر السابق ص١٧٤ بتصرف.

الرئيس لهذه العودة هو تطبيق الشريعة الإسلامية في واقع الحياة البشرية: الفردية منها والاجتماعية والدولية، لقد فصل المودودي في جميع كتبه ورسائله هذا الهدف بتقريره أن الإسلام ليس مجرد فكرة فلسفية فقط، أي ليس مجرد عقيدة نظرية، وإنما هو نظام كامل للحياة الإنسانية، وشامل لجميع مناحي الحياة بجوانبها المختلفة.

وشدد رحمه الله تعالى على وجوب تطبيق هذا النظام الشامل للحياة حتى يكون هذا التطبيق دعوة للأمم الأخرى تقتدي به إذا رأته نموذجا ناجحا لحل مشاكل الإنسان بجميع أنواعها وأشكالها.

وقد صاغ المودودي هذا الهدف العام في أربعة أهداف جزئية عملية تسعى الجماعة إلى تطبيقها ومطالبة الحكومة الباكستانية بتطبيقها، وهذه الأربعة هي:

١. **إفراد الله تعالى بالحاكمية ويتم** هذا بأن لا يكون للحكومة إلا تنفيذ أحكام الله عز وجل، أي لها السلطة التنفيذية التشريعية.

٢. **أن تكون الشريعة الإسلامية** هي القانون الأساسي للدولة.

٣. **مراجعة جميع القوانين القائمة وإلغاء** ما كان مخالفا للشريعة الإسلامية منها، ووضع النظام التشريعي الكفيل بألا يسن، أي قانون في المستقبل إلا موافقا للشريعة أو تابعا منها، ويمنع سن قانون مخالف أو مغاير لها.

٤. **تمارس الحكومة سلطتها التنفيذية مقيدة بأحكام الشريعة** وفي الحدود التي حددتها الشريعة للحكام والأمراء، وقد كان من نتائج هذه الأهداف والجهاد في سبيل تحقيقها ظهور دستور (١٩٥٦م) وهو بمثابة انتصار للاتجاه الإسلامي في باكستان، في مواجهة الهندوس والعلمانيين والاشتراكيين، وقد ورد في دستور الجماعة في باكستان هذه البنود:

١. **أن تَتَّخِذَ الجماعة كتاب الله** وسنة رسوله مصدراً للاحتجاج والاستناد في كل شأن من شئون الحياة.

٢. **لا يقوم كفاح الجماعة لأجل الوصول** إلى غايتها على النشاط السري على غرار الحركات السرية في العالم، بل تعمل كل ما تعمل علنا وفي وضح النهار.

٣. **تمارس الجماعة الطرق الدستورية** والقانونية للقيام بالإصلاح الذي تنشده والإنقلاب الذي تستهدفه، كما أنها تحاول كسب تأييد الرأي العام للتغيير الذي وضعته نصب عينيها.

ربط الهدف التطبيقي للجماعة الإسلامية وهو إقامة حكم الله في واقع الحياة بالتوحيد:

لقد أملى المودودي رحمه الله هذا الهدف في كتبه ورسائله ومقالاته الكثيرة لذلك **نكتفي ببيان هذا الهدف كما وضحه** مؤسس الجماعة، هذا التوضيح والبيان الذي كان له الأثر الفكري والاعتقادي ليس على مستوى القارة الهندية، بل في كل أرجاء العالم الإسلامي.

يربط أبو الأعلى المودودي في أكثر كتبه بعامة وفي كتابه "النظرية السياسية الإسلامية" وكذا في كتاب "المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم" بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية من جانب وبين نظام الحكم في الإسلام من جانب آخر.

وذلك من خلال تحليل مفهوم لفظ الإله ومفهوم لفظ الرب، فالإله: هو المعبود، والمعبود لابد أن يكون بحقٍّ أهلاً للعبادة، ودائرة العبادة ليست قاصرة على الشعائر التعبدية والمناسك فقط، وإنما تتسع هذه الدائرة لتشمل كل أعمال العبد، لأن مفهوم العبد وتعريفه هو الذي يحيا حياة العبودية ومن ثم لابد أن يكون عبدا في كل نشاط يزاوله، ولا ينفك عن

العبودية لحظة واحدة من لحظات حياته، فيكون خاضعا لمعبوده في حياته ومماته.

وتتمثل هذه العبودية في (الركوع والسجود والجد والسعي في طاعة معبوده والقيام بكل ما يأمره به وينهاه عنه والتذلل لقوته والانقياد لجبروته وطاعتة في كل ما سن من قوانين والمناصحة لكل ما يكون مخالفا لأمره ويتمثل ذلك في تضحيته بالنفس وبذل المهج في سبيل رضاه) (١).

ومن ثم لا يبقى نشاط ولا عمل للعبد إلا وَهُوَ خَاضِعٌ فيه لمعبوده أي إلهه.

أما الرب: فهو بمعنى المربي، فطاعة المربوب لربه واجبة وهو بمعنى المالك، كما تقول رب الدار ورب الإبل، أي مالكها وصاحبها، وكما تقول رب المصنع فالرب أيضا بمعنى المدير والمدبر والسيد في موقعه.

ثم يتساءل المودودي رحمه الله تعالى بعد هذا البيان لمعنى الإله والرب: هل يوجد فيما عبد الإنسان من دون الله تعالى شيئا من هذه المعبودات ادعى الربوبية أو الألوهية وطلب من الإنسان أن يعبده؟!

ثم يجيب قائلا (... لا..لا... واللهِ لا يقوم في وجه الإنسان شيء من هذه يدعي الألوهية والربوبية، وإنَّما الإنسان وحده هو الذي يبعثه حب السلطة وهوى الأثرة على أن يجعل نفسه إلها لغيره من أبناء نوعه يستعبدهم وينفذ فيهم أمره، ويقهرهم على الانقياد والطاعة ويجعلهم آلة لتحقيق هواه)(٢).

وفرعون هو أوضح مثل قرآني لهذا، إذ نادى في قومه ﴿أَنَا رَبُّكُمُ

---

(١) أبو الأعلى المودودي / النظرية السياسية الإسلامية ص١٦.

(٢) المصدر السابق ص١٧.

ٱلْأَعْلَىٰ﴾ و ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾، كذلك الملك النمرود الذي قال لإبراهيم عليه السلام ﴿أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾، مدعيا الربوبية والألوهية كذلك.

وهذه الربوبية التي ادعاها فرعون ونمرود ليست بقاصرة عليهما بل تجد الملوك في كل الأرض وفي كل زمان ينتحلون تلك الألوهية ويدعونها[1].

فما دام الملك يسوق شعبه بعصا سلطانه المطلق والسيادة المستبدة فهو يدعي الألوهية والربوبية حقيقة ومعنى وإن لم يصرح بها لفظا.

والذين يطيعونه في كل أمر وينتهون عن كل ما نهى دون مراجعة أو اعتراض أو الذين يعتقدون أن أمره ونهيه واجبان، وأنه ليس لهم حق الاعتراض. هؤلاء اتخذوه إلها وربا وإن لم يصرحوا بهذا.

وأي تعارض بين هذا الاعتقاد وبين الاعتقاد بأن الله هو خالق السموات والأرض والإنسان، إذ يقتصر تأليه الحكام عندهم على الإيمان بوجوب الخضوع المطلق له، والطاعة العمياء لأوامره وتشريعاته وقوانينه، فالناس إذن إما أن يكونوا ممن يدعون الألوهية والربوبية وأكثرهم من جنس الحكام والمشرعين والملوك والكهنة والمشعوذين الذين يدعون الكلام بإذن الآلهة أو الإله كذبا وزورا.

وإما أن يكونوا أذلاء مستضعفين عابدين لهذا الصنف الأول بطاعتهم طاعة تامة مطلقة.

ومن الناس من يقر بأنه عبد الله عز وجل إلا أنه يعتقد في نفس الوقت أنه لابد من واسطة أو شفيع أو وسيلة للوصول إليه، ومن ثم يتخذ

---

(١) المصدر السابق ص١٩.

النجم أو الكوكب أو الشمس أو القمر أو النبي أو الكاهن أو الراهب أو الضريح أو أي مخلوق آخر له زُلْفَىٰ عند الله تعالى بدون أن يأذن الله تعالى له في هذا، وهذا شرك صريح لأنه في النهاية ينتهي بالخضوع المطلق لهذا الشفيع أو الوسيط[١]. **الذي دائما ما يتستر خلفه بعض الأحياء المنتفعين** كالكهنة وسدنة المعابد وطبقات رجال الدين الشركي من الرهبان والكهان والحكام أيضاً.

ومن الناس من يستبدون بكتاب الله تعالى، ويزعمون أنهم دون غيرهم لهم حق فهمه وتفسيره واستنباط أحكامه فيحلون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون، ومن ثم يقهرون الناس إما بالخداع أو بالترهيب لاتخاذهم أرباباً من دون الله تعالى إذ يعطونهم حق التشريع [٢].

ثم يقر المودودي حقيقة أو واقعا بشريا عاما بقوله: "إذا تقصينا وبحثنا عن منبع الشرور في المجتمع الإنساني لوجدنا أنه (إنما هو ألوهية الناس على الناس، إما مباشرة، وإما بواسطة) [٣].

وعلى هذا يستحيل التخلص من هذا الشر بدون التخلص من العبودية لغير الله تعالى، وحيث أن المعبود الحقيقي في كل الأديان الشركية هو المطاع على الحقيقة الذي هو الحاكم أو الملك أو الكاهن فإنه لا سبيل أمام الإنسان لتحقيق العدل والخير في حياته إلا بعبادة الله تعالى وحده، فلا يتخذ إلها أو ربا من دون الله عز وجل، وهذا يستلزم رفض أي تشريع من الحكام والملوك يخالف شرع الله تعالى.

لذلك كان هذا النداء الرباني، معلنا غاية هذا النداء، وهدف دعوة

---

(١) نفس المصدر ص٢١ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق ص٢١ وما بعدها.

(٣) المصدر السابق.

الإسلام، وهو إفراد الله تعالى بالألوهية والربوبية. وهذا لا يتحقق إلا بإفراده تعالى بالحاكمية عن طريق رفض حكم البشر، وبالتالي رفض ربوبيتهم رفضا تاما، هذا النداء هو ﴿... تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ.........﴾[1].

ومعنى **ألا يتخذ بعضنا بعضا أربابا** من دون الله تعالى ألا نقبل منهم حكما مخالفا لحكم الله عز وجل أو تشريعا منافيا لشرع الله تعالى، وهذا هو التطبيق العملي لمبدأ إفراد الله تعالى بالحاكمية الذي هو جوهر توحيد الربوبية والذي هو الأساس الاعتقادي لتوحيد الألوهية.

ومعنى هذا أننا إذا قلنا إن التوحيد هو غاية دعوة الحق فإن الحكم بما أنزل الله تعالى يرقى إلى مستوى هذا الهدف في العلو والأهمية كالتوحيد سواء بسواء.

ويسوق المودودي من الأدلة القرآنية ما يجمع بين توحيد الربوبية وبين وجوب إفراد الله تعالى بالحكم مثل قوله تعالى ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ....﴾[2].

وقوله تعالى﴿... يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ....﴾[3].

وقوله تعالى ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾[4].

---

(١) ٦٤ / آل عمران.

(٢) ٤٠ / يوسف.

(٣) ١٥٤ / آل عمران.

(٤) النحل: ١١٦.

وقوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1].

وهنا نأتي إلى جوهر القضية الرئيسة في نظرية الحكم في الإسلام لأن إفراد الله تعالى بالحكم في حياة الناس كلها لا يعني انعدام دور البشر في الحكم، إذ لابد للناس في المجتمع من سلطان ذي شوكة وقوة أي دولة على رأسها حاكم أو ملك أو رئيس للدولة أو خليفة يتولى مسئولية الحكم فيهم[2].

فالدولة ضرورة في حياة البشر أيا كان شكل النظام السياسي وأيا كان القانون الذي تحكم به.

فكيف إذن يكون الحكم لله تعالى وحده وللبشر دور ضروري في الحكم لا يمكن إنكاره؟!

يوضح المودودي ردا على هذا السؤال ثلاثة مباديء يتحقق بها حكم الله وحده في الناس، ويتم بها إفراد الله تعالى بالحاكمية تطبيقا لتوحيد الربوبية مع بقاء الدور المنوط بالبشر ممثلا في الدولة على رأسها الخليفة أو الملك أو الرئيس.

وهذه المباديء الثلاثة خصائص أولية للدولة الإسلامية مستنبطة من الآيات آنفة الذكر عن الحكم وهي:

١- أنه ليس لفرد أو أسرة أو طبقة أو حزب أو لسائر القاطنيين في الدولة نصيب من الحاكمية، فإن الحاكم الحقيقي هو الله عز وجل والسلطة الحقيقة مختصة بذاته تعالى وحده، والذين من دونه في هذه المعمورة إنما هم رعايا في سلطانه العظيم.

---

(١) المائدة: ٤٥.

(٢) النظرية السياسية الإسلامية ص٢٨،٢٩.

٢ - **ليس لأحد من دون الله شيء** من أمر التشريع. والمسلمون جميعا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا لا يستطيعون أن يشرعوا قانونا ولا يقدرون أن يغيروا شيئا مما شرع الله تعالى.

٣ - **إن الدولة الإسلامية لا يُؤَسَّسُ** بنيانُها إلا على هذا القانون المشرع الذي جاء به النبي من عند ربه مهما تغيرت الظروف والأحوال والحكومات التي بيدها أن تحكم بما أنزل الله وتنفذ أمره تعالى في خلقه.

ولا شك أن هذه المبادىء العملية الثلاثة هي ما تتحقق به الأهداف الثلاثة التي أعلنها المودودي للجماعة.

ولتوضيح العلاقة بين حكم الله تعالى ودور الحاكم أو السلطان في هذا الحكم نقول: بناء على هذه الخصائص الثلاث للحكم الإسلامي فإن التشريع يكون لله وحده أي العودة إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى ﷺ لأخذ الحكم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في أي شأن من شؤن الحياة سواء الأنظمة السياسية والاقتصادية والقضائية والخلقية وكذلك في النظام الدولي والعلاقات الخارجية وليس للحاكم أو للدولة إلا تنفيذهُ من غير تدخل من البشر لتغيير الحكم بالزيادة أو النقصان أو التبديل.

وليست العلاقة بين الحاكم أو السلطان البشري وبين الله عز وجل مناظرة للعلاقة بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية في النظام الديمقراطي حيث تتمدد العلاقة بينهما بمبدأ الفصل بين السلطات الأمر الذي يفيد ويتضمن المساواة بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والندية بين السلطتين وحق اعتراض أحدهما على الأخرى إذ الحكم بينهما قسمة.

أما في النظام الإسلامي فإن السلطان أو الملك أو الرئيس ليس إلا وكيلا عن الحاكم الحقيقي وهو الله عز وجل، وبتعبير أدق هو خليفة لله

عز وجل في إقامة دينه وتطبيق شرعه وتنفيذ حكمه[١]، والخليفه أو الوكيل ليس ندا لمن استخلفه وليس مساويا لمن وكله، بل هو خاضع له منفذ لحكمه عبد له شأنه في هذا شأن المحكومين الذين هو مستخلف عليهم.

من هنا كان اسم السلطان الأعظم في الحكم الإسلامي الخليفة، أي النائب أو الوكيل، إن اقتصار دور الخليفة على تنفيذ الحكم دون التدخل لوضع القوانين والتشريعات ابتداء، أو تغيير المنزل من عند الله تعالى، هو الضمانة القوية لمنع قيام حكومة ثيوقراطية على غرار الحكومات الأوربية في القرون الوسطى حيث كان رجال الدين وباباوات الكنيسة يستأثرون بتفسير الكتاب المقدس ويعطون لأنفسهم حق التشريع وتقرير الحلال والحرام زاعمين أن الله تعالى فوضهم أو وكلهم لوضع التشريع حتى إن مِنْ حقهم أَنْ يَضعوهُ مخالفا لما في التوراة والإنجيل، فلم يجعلوا أنفسهم خلفاء عن الله عز وجل في تنفيذ شرعه المنزل بل جعلوا أنفسهم شركاء في وضع الأمر والنهي، ومن ثم جعلوا أنفسهم أرباباً من دون الله تعالى لأن التشريع خاصية من خصائص الربوبية لا يجوز أن يشاركه فيها غيره.

أما في النظام الإسلامي فالعلماء ورثة الأنبياء الذين هم خلفاء الله في الأرض[٢]، فالعلماء ورثوا الخلافة عن النبوة وكذا الحكام، والمخلصون منهم أمناء على كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى ﷺ وهم الذين يراقبون الحكام فيما ينفذونه من أحكام ربانية وفيما يخالفون من هذه الأحكام ويقتصر دور الحكام على التنفيذ ودور العلماء على التبيين ودور القضاة على تطبيق الأحكام الربانية على المتخاصمين وعلى الجانحين.

---

(١) قال تعالى ﴿وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ أي أُناساً يخلفهم آخرون، وليس يصح إطلاق (خليفة الله) على الإنسان بل قوله ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ فعيل ههنا بمعنى مفعول أي مخلوف من غيره فليتنبه.

(٢) سبق التعليق على أنه لا يصح إطلاق أن فلاناً خليفة الله في الأرض ولم يرد به شرع.

ويندد المودودي رحمه الله تعالى بهؤلاء الذين أحلوا ما حرم الله تعالى وحرموا ما أحل الله تعالى من الأحبار والرهبان وغيرهم زاعمين أن هذا حكم الله عز وجل بقوله: "فما أجدر مثل هذه الحكومة أن تسمى بالحكومة الشيطانية منها بالحكومة الإلهية"[1].

إذ كانت حكومات العصور الوسطى الأوربية تحكم باسم الحق الإلهي المقدس الذي يُضْفيه البابا على الملك أو الأمير.

فالحاكمية في النظام الإسلامي ليست للعلماء ولا لرجال الدين، كما أن الحاكمية في النظام الإسلامي ليست للشعب كما هو الشأن في النظام الديمقراطي، كما أنها ليست للحزب كما هو الحال في النظام الشيوعي وسائر الأنظمة الاشتراكية، وهي ليست لفرد كما هو الأمر في النظم الدكتاتورية وإنما هي لله تعالى خالق الكون وكل شيء ومالك الكون وكل شيء وهذا ما يقرره كتاب الله تعالى في كثير من آياته ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2] وقوله ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[3] وقوله تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾[4] فالحكم بما أنزل الله أو إقامة الدولة الإسلامية أو حكم الخلافة هو من جوهر التوحيد في الإسلام لا يتم توحيد المجتمع والأمة إلا به.

والخلاصة: أن الحكم بما أنزل الله أو تطبيق الشريعة الإسلامية هو الهدف التطبيقي العملي الرئيس لدعوة الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية بعامة وباكستان بخاصة كما وضحها وبينها وأصلها مؤسسها أبو الأعلى المودودي رحمه الله تعالى.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الشورى: ١٠.

(٣) يوسف: ٤٠.

(٤) النساء: ١٠٥.

تأسيس البنا لدعوة الإخوان المسلمين وهي من كبرى الحركات الإسلاميـــة المعاصرة

اتفق مؤرخو حركات التجديد والدعوات الإسلامية المعاصرة على أن دعوة الإخوان المسلمين هي من كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة.

وكما تخطت دعوة الجماعة الإسلامية بقيادة المودودي رحمه الله تعالى حدود موطنه وانتشرت في شبه القارة الهندية، تخطت أيضا دعوة الإخوان المسلمين بقيادة حسن البنا رحمه الله تعالى حدود موطنها مصر إلى كثير من بلاد العالم العربي والإسلامي، لقد تحدد الهدف الرئيس لدعوة الإخوان بإقامة الدولة الإسلامية أو بوجوب الحكم بما أنزل الله تعالى، أو تطبيق الشريعة الإسلامية.

وحيث قد صاحبت الدعوة وجود المستعمر الإنجليزي في مصر وفي سائر الأوطان العربية والإسلامية كما صاحبت اشتداد حركة التغريب برعاية المستعمر فقد كان السبيل لتحقيق الهدف هو الجهاد في سبيل الله تعالى بالتصدي للمد العلماني في المنطقة مع الجهاد بالنفس ضد المستعمر الصليبي لإجلائه عن ديار الإسلام.

ولد مؤسسها حسن البنا عام ١٩٠٦ أي بعد مولد المودودي رحمهما الله بثلاثة أعوام وكون أول نواة لجماعته بالإسماعيلية عام ١٩٢٨.

ثم بدأ عمله الدعوي بالقاهرة عام ١٩٣٢ م وكون أول هيئة تأسيسية للجماعة من مائة عضو عام ١٩٤١ ونمت الدعوة بمصر حتى صار للإخوان المسلمين ٣٠٠٠ شعبة في جميع أنحاء البلاد من جنوبها إلى شمالها.

شارك الإخوان في حرب فلسطين ١٩٤٨ وقتل المرشد العام للدعوة عام ١٩٤٩ وخلفه المستشار حسن الهضيبي ١٩٥٠ م، وشارك الإخوان في حرب الجلاء ضد الإنجليز في القناة خلال عامي ١٩٥٠، ١٩٥١ م.

وساند الإخوان حركة الضباط الأحرار ضد النظام الملكي ثم حدث الخلاف بينهم وبين جمال عبد الناصر وانتهى الأمر باعتقالهم عام ١٩٥٤م، وإعدام ستة من زعمائهم عام ١٩٥٦ م واعتقال وسجن الآلاف منهم الذين كان بينهم المفكر الإسلامي سيد قطب وقد أفرج عنه جمال عبد الناصر بتدخل من رئيس العراق عبد السلام عارف عام ١٩٦٤ ولكنه اعتقل عام ١٩٦٥ وأعدم عام ١٩٦٦ ومعه اثنان من الإخوان بتهمة عمل مؤامرة لقلب نظام الحكم.

وقد تم الإفراج عن الإخوان بعد موت جمال عبد الناصر ومع بدء عهد أنور السادات على فترات حتى عام ١٩٧١، وقد توفي المرشد العام الثاني للجماعة الأستاذ حسن الهضيبي عام ١٩٧٣ وتولى الأستاذ عمر التلمساني لمدة حتى توفاه الله تعالى عام ١٩٨٦، فتولى بعده الأستاذ حامد أبو النصر حتى توفي عام ١٩٩٦ ثم تولى بعده الأستاذ مصطفى مشهور ولا زال مرشداً للجماعة حتى الآن.

وفي العراق أسس الشيخ محمد محمود الصواف مركز الإخوان المسلمين وظل مراقباً عاما للجماعة حتى هاجر مِنْ العراق وزاول الدعوة في أفريقيا ثم استقر في مكة المكرمة حتى توفاه الله تعالى.

وفي سوريا كان الدكتور مصطفى السباعي أول مراقب عام للإخوان فيها، ومن أعماله العامة تأسيس كلية الشريعة بدمشق عام ١٩٥٤ وكان أول عميد لها وكتب عدة مؤلفات مرجعية للدراسات الشرعية، كما قاد كتائب الإخوان المسلمين في حرب ١٩٤٨ ضد اليهود في فلسطين.

وفي الأردن ترأس أول جماعة للإخوان المسلمين عام ١٩٤٥ الشيخ عبد اللطيف أبو قورة الذي قاد كتيبة الإخوان إلى فلسطين عام ١٩٤٨ وقد خلفه مراقبا عاما للجماعة الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة.

وقاد الدعوة في لبنان الأستاذ فتحي يكن الذي له مؤلفات عديدة في الدعوة ولدعوة الإخوان المسلمين صدى وتأثير في كثير من الحركات الدعوية في بلاد شمال أفريقيا مثل تونس والجزائر وغيرهما، وكذلك في السودان ولها أتباع في كثير من بلاد العالم الغربي هم الذين هاجروا من الاضطهاد.

الهدف التطبيقي الرئيس لدعوة الإخوان المسلمين

يمكن تحديد هذا الهدف بأنه إقامة الدولة الإسلامية حتى يتمكن المسلمون من تطبيق الشريعة الإسلامية في واقع الحياة والحكم بما أنزل الله تعالى باعتبار أن هذا الهدف هو الترجمة العملية للهدف العام وهو العودة إلى الكتاب والسنة.

ويعلن دعاة الإخوان أن دعوتهم تنطلق عقدياً من عقيدة السلف التي وضحها الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلا أنها لا تتوقف عند مطلب تنقية التوحيد ومحاربة البدع، بل تتعداه إلى وجوب تطبيق شرع الله تعالى في جميع الإنسانية تطبيقا شاملا جامعا.

ومن أقوال حسن البنا رحمه الله تعالى الدالة على شمول الهدف: إن الإخوان المسلمين دعوة سلفية وطريقة سنية وحقيقية صوفيه وهيئة سياسية وجماعة رياضية ورابطة علمية وثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية.

كذلك من الشعارات التي رفعها حسن البنا لدعوته أن الإسلام مصحف وسيف ودين ودولة، بيد أن مؤسس الدعوة رحمه الله لم يترك كتبا مفصلة مطولة وإنما ترك رسائل ومحاضرات وضح فيها بكلمات جامعة أهداف الدعوة التطبيقية الرئيسة كما ذكرناها.

لكن الذي فصل في قضايا الدعوة وعلى رأسها قضية الهدف التطبيقي وَأَصلَّها هو الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى في كتاب ظلال القرآن،

وفي كتبه الأخرى مثل: خصائص التصور الإسلامي، ومقومات التصور الإسلامي، وكتابه معالم في الطريق، وكتابه هذا الدين، وغيره من الكتب. لقد ارتفع الأستاذ سيد قطب بمطلب الحكم بما أنزل الله حتى جعله مبدأ من مباديء التوحيد الإسلامي بالنسبة للمجتمع المسلم حيث ركز على وجوب تحقيق حاكمية الله تعالى بين الناس، ومن ثم أبرز حسب هذا الاعتقاد جانبا من جوانب التوحيد الإسلامي الذي هو فرض كفاية على الأمة وهو إفراد الله تعالى بالحاكمية باعتباره عنصرا رئيساً من عناصر توحيد الربوبية.

ولم يكن هذا الفكر سوى تلبية لحاجة الأمة التي افتقرت إلى حكم الله تعالى في الداخل وإلى وحدتها التي هي في أمس الحاجة إليها في صراعها مع أعدائها الخارجيين، وذلك لأن استفحال العلل والأمراض وتفشي أعراضها وآلامها استلزم علاجها فكان هذا كله الدافع لدى المجددين والمجتهدين والعلماء لاستخراج هذه الأدوية من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، ثم توضيحها وتبيينها للمسلمين لتصبح هدفا رئيسيا للدعوة.

فهو يبين أن دين الإسلام حين قرر العقيدة: القائمة على توحيد الله سبحانه وإفراده بالألوهية والربوبية والقوامة والسلطان بالاعتقاد في ألوهيته وحده، والتقدم إليه بالشعائر التعبدية وحده، والاعتراف بالحاكمية له وحده، والحكم بشريعته وحدها، والتحاكم إلى هذه الشريعة دون سواها..... جعل هذا كله هو الدين، الذي لا يقبل الله من الناس غيره، وأن كل ما عداه باطل وشرك أو كفر [١].

وحيث أن دين الله تعالى لا يقبل التجزئة أو التبعيض وترك البعض

(١) سيد قطب / مقومات التصور الإسلامي ص١١٢ دار الشروق.

وأخذ البعض فإن إفراد الله تعالى بالحكم في حياة الناس هو من جوهر الاعتقاد والتشريع معا فهو من جوهر الإسلام.

يؤكد هذا المفهوم بما يعبر عنه القرآن الكريم استنكارا لأمر من يريد من الناس أن يتحاكموا لغير شريعة الله: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[1].

على أساس هذه الحقيقة قرر الإسلام أن السلطان والحاكمية والتشريع ابتداء في حياة البشر، لا تكون إلا لله.... وأن هذه من خصائص الألوهية التي ينفرد بها الله... وأن من يدعي لنفسه هذه الحقوق ويزاولها فإنما يدعي أُوْلَىٰ خصائص الألوهية، وأن من يقره على ادعاء هذه الحقوق ومزاولتها ويتحاكم إلى ما يسنه له من شرائع وأنظمة وأوضاع وقيم وموازين بغير سلطان من الله فقد أقره على ادعاء أُوْلَىٰ خصائص الألوهية، وإن المدعي والمقر كلاهما لا يشهد أن لا إله إلا الله، لأن الأول لو شهد أن لا إله إلا الله لما ادعى الحق في أولى خصائص الألوهية ولا زاوله، ولأن الثاني لو شهد أن لا إله إلا الله ما أقر مُدَّعٍ بالحق في أولى خصائص الله ولا أقره على مزاولته فضلا عن أن يتحاكم إلى ما يسنه له من شرائع وأنظمة وأوضاع وقيم وموازين بغير سلطان من الله[2].

ثم يمضي بعد هذا البيان موضحا ومبرهنا ومؤكدا على أن مبدأ إفراد الله تعالى بالحاكمية هو جوهر شهادة التوحيد بقوله: إن الألوهية التي يشهد الشاهد أن الله متفرد بها، وأن ليس لغيره شيء من خصائصها تعني السلطان على إطلاقه ولا يختص هذا السلطان بنظام الكون وحده دون حياة البشر، والربوبية تعني القوامة على إطلاقها كذلك.... وسلطان الله

---

(١) آل عمران / ٨٣.

(٢) المصدر السابق ص١٤٦، ١٤٧.

وقوامته على البشر هما مقتضى ألوهيته وربوبيته على الكون كله، وحياة البشر قطاع من نظام الكون وقائم على نظام الكون كما أسلفنا فالذي يعترف أو يشهد بربوبية الله وقوامته وسلطانه في نظام الكون ثم يرفضها أو لا يعرف حتميتها في حياة الناس، فيعترف بها لغير الله من حاكم أو كاهن، ويدع هذا الحاكم أو الكاهن يزاول هذا الحق وهو راض متابع أو هو غير مدرك أصلا لا يمكن أن يقال عنه: أنه يشهد أن لا إله إلا الله، وأنه أدى هذه الشهادة، متى قالها بلسانه وهو لا يقصد منها مدلولاتها كما لو قال أية عبارة أخرى وهو لا يقصد مدلولاتها أو يقصد بها مدلولا آخر، ولا يقال عنه أنه مسلم لله ومسلم أي مستسلم، بينما هو رافض لألوهية الله وربوبيته وقوامته وسلطانه في مجال من مجالات الوجود، أو لا يعرف أن لله وحده هذه الخصائص... فكيف إذا كان يدعي لنفسه هذا الحق ويزاوله"[1].

وهكذا ينتهي إلى أن العلم بوجوب إفراد الله تعالى بالحاكمية والتسليم بوجوب تطبيق شرعه وإقامة دينه هو من مقتضيات شهادة التوحيد ومن ثم فمن لم يؤمن بوجوب هذا كله فهو كمن لم يقلها.

ويظهر بوضوح تأثر الأستاذ سيد قطب بأبي الأعلى المودودي رحمهما الله حين يستدل على أن مبدأ إفراد الله تعالى بالحاكمية هو من أهم مقتضيات شهادة التوحيد بتحليل المودودي للمصطلحات الأربعة في القرآن الكريم وهي الرب، العبادة، الدين، الإله، فيقول موضحا فكرة المودودي ومؤكدا لها: فيوسف عليه السلام يقول للساقي ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾[2].

---

(١) المصدر السابق ص١٤٨.

(٢) يوسف / ٥٠.

فيعني بكلمة رب الأولى: الحاكم الذي يعبد الناس لشعبه ونظامه وحاكميته وسلطانه....، ويعني بكلمة رب الثانية إلهه هو الذي يدين له بالاعتقاد ويتوجه إليه بالعبادة ويعترف له بالحاكمية.

ويحكي القرآن عن فرعون وملئه وهم يرفضون الاستجابة لموسى وهارون عليهما السلام ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾[1].

وهم يعنون أنهم خاضعون لنظام حكمنا وشرائع مجتمعنا، لا أنهم يدينون لنا بالألوهية ويتقدمون إلينا بالشعائر....، ولا مجال للشك فيما كانوا يعنون بكلمة عابدون بسبب ادعاء فرعون للألوهية فقد سبق بيان معنى الألوهية التي كان يدعيها فرعون وهي الحاكمية المطلقة في هذا القطر وفي حياة سكانه[2].

ثم يمضي سيد قطب في بيانه لهذا التأصيل لمبدأ إفراد الله تعالى بالحاكمية والتشريع: وهكذا يتبين أن الاعتراف بالربوبية لله وحده والعبادة لله وحده، والدينونة له وحده، تعني في مجموعها إفراده بالألوهية أو تعني بالمدلول الاصطلاحي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن الاعتقاد بألوهيته وربوبيته هي كالتوجه إليه وحده بالشعائر التعبدية، كالاعتراف بحاكميته وحده، والتحاكم إلى شريعته وحدها.... كلها سواء في تكوين مدلول أن لا إله إلا الله، وأن الذي يعترف بحاكمية غير الله وشرعه ونظامه إنما يعترف لهذا الغير بالربوبية وبالعبادة وبالدين فلا يقال حينئذ أنه يشهد أن لا إله إلا الله.... وهذا هو الأصل العام المعلوم من الدين بالضرورة الذي يقوم عليه الحكم بكفر من لا يفرد الله سبحانه بخصائص الألوهية مجتمعة لا يبعضها دون بعض وهي:

---

(١) المؤمنون / ٤٧.

(٢) المصدر السابق ص١٤٩.

الاعتقاد القلبي بألوهية الله وحده.

التوجه إليه بالشعائر التعبدية وحده.

والدينونة له بالحاكمية وحده ممثلةً في التحاكم إلى شريعته وحدها.

ويمضي بعد ذلك الأستاذ سيد قطب رحمه الله عارضا لنماذج عديدة من السياقات القرآنية هدفها تقرير مبدأ إفراد الله تعالى بالحاكمية في حياة البشر بعد تقرير مبادىء إفراد الله تعالى بالخلق وبالملك وبالرزق وبالتدبير مما يترتب عليه وينبني عليه مبدأ إفراد الله تعالى بالحكم فقال: ثم يردهم إلى الحقيقة الواقعة وهي أن الله هو الذي رزقهم الزرع والضرع.... وهؤلاء الشركاء على اختلافهم بما فيهم المتأله من البشر بمزاولة التشريع لم يرزقوهم شيئا، لا من الزرع والثمار ولا من الأنعام المسخرة لهم بإذن الله فما بالهم إذن يُحكِّمُونَ فيما رزقهم الله ممن لم يرزقوهم شيئا ؟!.

ومرة أخرى نجد القرآن الكريم يربط بين الخلق والرزق وبين الحاكمية والتشريع للخلق: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ. وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(١).

وفي نموذج آخر من نماذج استدلاله على مبدأ إفراد الله تعالى بالحاكمية يقول: ونخلص بعد ذلك إلى سياق قرآني في سورة مدنيةٍ هي سورة التوبة من أواخر ما نزل من القرآن الكريم، وهو يتحدث عن كفر اليهود والنصارى وشركهم بسبب ما أدخلوه في عقيدتهم من إسناد البنوة لله وما أدخلوه في حياتهم من قبول الشرائع من الأحبار والرهبان وبسبب

---

(١) الأنعام: ١٤١، ١٤٢

اتخاذ النصارى المسيح ربا واتخاذهم جميعا الأحبار والرهبان أربابا.... الأول بمعنى الاعتقاد في ألوهيته، والآخرين بمعنى منحهم خصيصة الحاكمية.... فيجعل هذه لتلك سواء في درجة الكفر والشرك، مع أن اليهود والنصارى لم ينكروا ألوهية الله قط، إنما جاء الكفر والشرك من هذه الجهة وتلك، والنص القرآني القاطع هو ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ. ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ . يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.

ونحن قبل أن نبين دلالة هذا النص القاطعة على أن قبول الشرائع من عند غير الله هو الكفر والشرك شأنه شأن إثبات البنوة لله سبحانه، وشأن اتخاذ غير الله ربا من ناحية الاعتقاد بألهيته، ومن ناحية تقديم الشعائر له...، نحن قبل هذا نثبت أن اليهود والنصارى لم يتخذوا الأحبار والرهبان أربابا بمعنى الاعتقاد في ألوهيتهم، ولا بمعنى تقديم الشعائر التعبدية لهم، إنما هم اتخذوهم أربابا بمعنى قبول الشرائع منهم فحسب، وذلك بحديث رسول الله ﷺ، وبيانه لمعنى ربوبية الأحبار والرهبان عندهم وليس بعد تفسير رسول الله ﷺ لمعنى من معاني القرآن قول لقائل، روى الترمذي في التفسير هذا الحديث وحسنه بإسناده عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله ﷺ وفي عنقه صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية قال: فقلت إنهم لم يعبدوهم، فقال: بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم (١).

(١) رواه الترمذي في الجامع ح٣٠٩٤ وحسنه، وأحمد في المسند ٣٧٨/٤.

فهذا الحديث قاطع في أن قبول التشريع من الأحبار والرهبان ومثلهم كل أحد غير الله ورسوله متى كان يُشَرِّع من عند نفسه لا من شريعة الله هو عبادة لهم وهو اتخاذهم أربابا من دون الله.

الشأن فيه كالشأن في اتخاذ المسيح ربا بمعنى الاعتقاد في ألوهيته وتقديم الشعائر التعبدية له سواء بسواء (١).

والنموذج الذي يعرضه للدلالة على هذه القضية الرئيسة عنده حول قوله تعالى من سورة النساء ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ إذ يقول بإزاء هذه الآيات: إننا أمام جماعة من الناس في المجتمع المسلم في دار الإسلام يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل إلى النبي وأن محمداً رسول الله، وأن الرسالات كلها حق، وأن ما بها من الشرائع حق، وأن الملائكة حق، وأن الآخرة حق، وأن القدر خيرَهُ وشرَّهُ حقٌّ، فهذا هو الإيمان بما أنزل إلى الرسول ﷺ، وما أنزل من قبله، وهم يزعمون أنهم آمنوا بهذا كله، ولكن الله سبحانه لا يقبل منهم هذا الزعم ولا يعتبر قولهم هذا إيمانا بل يعجب من أمرهم وأمر زعمهم هذا !!!.

لماذا؟ لماذا لا يقبل الله منهم هذا القول وهذه الشهادة ولا يعتبرها؟

ذلك أنهم يقولون هذا بينما هم ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ لا إلى شريعة الله، ولا يرجعون فيما اختلفوا فيه إلى الله والرسول، والطاغوت كما يفسره الإمام ابن جرير الطبري: هو كل ذي طغيان على الله فعبد من

(١) المصدر السابق ص١٦٦.

دونه إما بقهر منه لمن عبده وإما بطاعة ممن عبده له، إنساناً كان ذلك المعبود أو شيطانا أو وثنا أو صنما أو كائنا ما كان من شيء [1].

وهكذا اشترط في هذا النموذج للحكم بالكفر إرادة التحاكم إلى الطاغوت بينما في النماذج السابقة كان الحكم بالكفر على كل من يرفض شرع الله تعالى أو لا يحكم به أو على كل من يقبل حكما لغير الله عز وجل.

ومن ثم يكون الأستاذ سيد رحمه الله قد ارتفع بقضية إفراد الله تعالى بالحكم وحده أي مسألة تطبيق الشريعة وإقامة الدولة إلى مرتبة التوحيد فجعلها أصلا من أصول الدين.

وحتى يكون الإنسان منصفاً، فإن كتابات الأستاذ سيد قطب رحمه الله وإن كانت في فترة ما من تاريخ الجماعة هي التنظير الفكري لاتجاه الجماعة، إلا أن القيادات الفكرية التالية للجماعة قد خففت من هذا التنظير لما أحدثته كتابات سيد قطب من بذر بذرة للتطرف الفكري والتكفير بين صفوف الناشئة، مما لا يوافق اتجاه الجماعة ولا يتوافق أيضاً مَعَ ما أراده سيد قطب وهذا ما أحب أن أوضحه في النقطة التالية.

---

(١) المصدر السابق ص١٦٧ وما بعدها، وانظر تفسير الطبري ٤/١٥٥-١٥٦.

ملاحظات على مبدأ إفراد الله تعالى بالحاكمية

لقد ترددت الاتهامات للأستاذ سيد قطب بأن فكره فكر الخوارج إذ أنه يكفر من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله لمجرد أنه لم يقر بمبدأ الحاكمية.

وهذه المسألة تحتاج إلى توضيح دقيق لما شابها من لبس وغموض، فعلماء الأمة أجمعوا في كل العصور على أن كل من نطق بالشهادتين فهو مسلم، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم.

ومما لا شك فيه أن فكر الخوارج شيء وهذا الذي بين أيدينا من فكر سيد قطب شيء آخر، لقد كان الخوارج يكفرون المسلمين بالمعصية، بعضهم كفر بالكبائر، وبعضهم كفر حتى بالذنوب العادية والصغائر، وإن كان هذا الصنف الأخير فِرَقاً صغيرة ومتأخرة.

أما بالنسبة لما وجدناه عند الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى من إصرار على مبدأ الحاكمية فهو صحيح بمقتضى الآيات التي عرضها صاحب هذا الفكر ولكنه مع هذا ليس حكما عاما وليس حكما مطلقاً.

ذلك أن الإسلام يعذر الناس بالجهل وبالخطأ وبالنسيان والتأويل وبما استكرهوا عليه، وما هو معلوم من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله بالضرورة التي تمنع الجهالة عن كل من نطق بها هو أنه لا معبود بحق إلا الله عز وجل، وما هو مشهور ومعلوم عند عامة الناس من العبادة هو ما يطلق عليه سيد قطب الشعائر التعبدية وكثير من الناس يجهل أن إقامة الدولة الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية نظاما عاما شاملا للحياة أمرا واجبا.

فالطبقات الكادحة من الفلاحين الأميين والعمال ومن في مستواهم لا يعلمون هذه الحقائق عن الدين ولا يعلمون أن مبدأ الحاكمية هو من

مقتضيات الشهادتين، وهذا الجهل عذر لهم إذا فهموا أن من مقتضيات الشهادتين الصلاة والزكاة والصوم والحج وحسن الخلق وفعل الخير والانتهاء عن المنكر والشر وعاشوا هكذا وماتوا على ذلك فهم على خير إن شاء الله تعالى، حتى ولو لم تكن الشريعة مطبقة في نظام الحكم.

إن أكثر طبقات الشعوب الإسلامية أمية جاهلة وبعضهم لا يعرف أن الشريعة الإسلامية قد نحيت عن واقع الحياة وأنظمة الحكم فكيف يحاسب على مبدأ الحاكمية الذي يدق استيعابه على أمثالهم أما بالنسبة للحكام والقضاة والمتخصصين فهؤلاء في وسعهم أن يعرفوا هذا المبدأ ويفهموه وليس الواحد منهم إلا واحدا من اثنين إما أنه مِمَّنْ يريد حكم الله وحده ومن ثم فهو يستنكر على الأقل بقلبه ما خالفه من أحكام وشرائع ويتمنى من قلبه أن يُطبَّق حكم الله وتقوم شريعته وتقوم الدولة الإسلامية ومن ثم فهو يؤمن بوجوب إفراد الله تعالى بالحاكمية، وهو يفيد إيمانه ونجاته من الكفر والنفاق.

وإما أنه مِمَّنْ يكره حكم الله تعالى ويرضى بما سواه من شرائع وأحكام ويتمنى أن تستمر ولو بقلبه وهذا هو الكافر حتى ولو لم يسع إلى محاربة تطبيق شرع الله عز وجل لأنه يريد أن يتحاكم إلى الطاغوت.

فالناس إذن ثلاثة أصناف:

الأول: هم عامة المسلمين الغافلين عن مبدأ الحاكمية الذي يجهلونه وهؤلاء عادة لا يريدون حكم الطاغوت ولا يتصورون وجوده، وهم يظنون أن حكم الله قائم بينهم وفيهم، وهؤلاء إذن معذورن بجهلهم للواقع الذي يعيشونه أو بجهلهم لمبدأ وجوب إفراد الله تعالى بالتشريع باعتباره تفصيلا لا تسعه عقولهم وأفهامهم وثقافتهم.

الثاني: من يريدون حكم الله ويكرهون حكم الطاغوت وينكرون هذا

الأخير ولو بقلوبهم وهؤلاء مسلمون مؤمنون لا يقدح في إيمانهم شيء.

الثالث: من يريدون حكم الطاغوت ويكرهون حكم الله تعالى وهؤلاء هم الكافرون فليس ثَمَّ حكم عام مطلق ينطبق على كل الناس بخصوص هذه القضية.

ولا شك أن اشتراط إرادة حكم الطاغوت هذا الشرط الذي ذكره الأستاذ سيد قطب للحكم بالكفر على من يريده يبريء فكره من تهمة التكفير وصبغة الخوارج التي اتهمه البعض بها.

لكن مما لا شك فيه أيضا أن التشديد على هذا المبدأ عنده هو الذي حدا بالبعض إلى هذا الظن في كتاباته وفي فكره الذي دار في كل كتبه حول هذا المبدأ. إن الله عز وجل غفر للرجل الذي جهل أن الله تعالى قادر على أن يجمع جسده بعد حرقه وذره ترابا في الهواء لأنه مات مؤمنا بأن الله عز وجل سيحاسبه ويجازيه على عمله بعد الموت، فإذا كان الله عز وجل يغفر لمن يجهل أنه على كل شيء قدير بإطلاق لجهله أفلا يغفر لمن يجهل أن لله تعالى شريعة غير مطبقة ظنا منه أنها قائمة أو لمن يجهل مبدأ إفراد الله تعالى بالحاكمية كمقتضىً من مقتضَياتِ التوحيد مع عدم إرادته حكم غير الله عز وجل بمقتضى فطرته.

وهل يتساوى في هذه القضية القاضي والأمير اللذان يحكمان بغير ما أنزل الله تعالى والفلاح الأمي الذي لا يعرف من دينه إلا الأصول العامة كأركان الإيمان والإسلام مجملة بلا تفصيل.

وهل يتساوى القاضي الذي يحكم بغير ما أنزل الله تعالى وهو غير راض عن ذلك ويتمنى ويجاهد بالقلم واللسان لكي يغير هذا القانون ويجعله موافقا للشريعة مع الذي يحكم وهو راض به ويحارب تطبيق الشريعة ؟!.

وهل يتساوى الحاكم الذي جاء إلى الحكم وقد نحيت أكثر أحكام الشريعة عن الحكم قبله بعشرات السنين وهو يجهل ويظن أن أكثر الشريعة مُطَبَّقٌ أو عاجز عن تطبيقها ويتمنى أن يطبقها كلها مع الذي يعلم بالواقع ثم هو يريد حكم الطاغوت ويحارب تطبيق شرع الله عز وجل ؟!.

هل يتساوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟!

إذن ليس ثَمَّ حكمٌ عامٌّ بالنسبة لمبدأ إفراد الله تعالى بالحاكمية ينطبق على كل الحكام وعلى كل القضاة وعلى كل الأمراء وعلى كل الناس، إنما الحكم يختلف من عصر إلى عصر ومن بلد إلى أخرى ومن شخص إلى آخر.

إن نظام الحكم الإسلامي أو النظام السياسي الإسلامي هو من الأمور الشرعية المبنية على أركان العقيدة الإسلامية وهو إذن ليس من أصول الإسلام الرئيسة وإن كان من مباديء التوحيد الحكم بما أنزل الله عز وجل لكن معرفة هذا النظام بتفاصيله وأصوله ليس في وسع كل النفوس في حين أن أركان العقيدة وأصولها التي يكفر مَنْ يخالفها هي أمر تستوعبه نفوس كل البشر بل هي من المعارف الفطرية الضرورية التي لا يحتاج فيها الإنسان إلى معلم ولا إلى تبليغ، قال تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا.... ﴾[1].

وقال تعالى﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

فكل الناس في أي زمان وأي مكان وكل ثقافة وكل طبقة وكل فئة

---

(١) الروم: ٣٠.

(٢) البقرة: ٢١،٢٢.

يعلمون أن لهم خالقاً ليس لـه ند من السماء والأرض وأنه ليس كمثله شيء وهذه معارف فطرية ضرورية، وما سوى هذا من معرفة أسماء الله تعالى وصفاته وخصائصه فهي ليست فطرية وإنما تكون بالتبليغ عن طريق الوحي.

ومعارف الوحي لا يتساوى فيها الناس إذ تتم بالتعليم ومنها ما هو معلوم من الدين بالضرورة ومنها ما ليس كذلك.

فهل مبدأ وجوب إفراد الله تعالى بالحاكمية بتفصيله كما بَلّغَهُ سيد قطب في كتبه هو من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة أم أنه كان من الأمور المجهولة قبل أن يؤكد عليه أبو الأعلى المودودي والبنا والأستاذ سيد قطب رحمهم الله جميعا.

لقد أعلنت دعوة الإخوان المسلمين الدولة الإسلامية باعتبارها الهدف التطبيقي للعودة للكتاب والسنة فهل نجحت هذه الدعوة في تطبيق هذا الهدف؟

هذا ما ستراه في المبحث القادم بإذن الله تعالى.

الفصل التاسع

التحول عن هدف إقامة الدولة الإسلامية إلى هدف تكوين المجتمع المسلم

لقد حدث تغيير في فكر جماعة الإخوان المسلمين بعد المحن والشدائد التي أصابتهم في عهد جمال عبد الناصر في مصر وفي سائر البلاد العربية الأخرى، فبعد أن كانت الغاية الأولى من دعوتهم هي إقامة الدولة الإسلامية التي تحكم بشرع الله عز وجل تحول الدعاةُ إلى هدف تربوي آخر هو إقامة المجتمع المسلم، وجعلوا سبيلهم إلى هذا الهدف هو بناء الفرد المسلم أولا، وليس معنى هذا أنهم تخلوا عن غايتهم العليا المتمثلة في إقامة الدولة الإسلامية أو أنهم قبلوا فصل الدين عن السياسية كما يتبادر إلى الذهن، لأن غاية تطبيق الشريعة وإقامة الدولة هي الغاية الثانية العليا التي يسعون إليها والتي استمدت أهميتها من أهمية التوحيد الإسلامي في ذاته كما رأينا عند المودودي وسيد قطب رحمهما الله تعالى، وإنما الذي حدث هو نمو في وعي مفكري الحركة والدعوة، إذ أدركوا أن إقامة دولة إسلامية بين شعب ينقصه الوعي بأهمية تطبيق الشريعة ولا يؤمن بوجوب إقامتها في واقع الحياة إما جهلا أو إنكارا ورفضا يعتبر هدفا غير واقعي يصعب تحقيقه ومن ثم بدأت الدعوات والكتابات التي تبرز تؤكد أهمية التوجه بالدعوة إلى الناس أولا لإقامة الدين في نفوس الأفراد وفي

علاقات الأسرة الواحدة وفي سائر العلاقات والمعاملات الاجتماعية قبل التوجه بالدعوة إلى إقامة الشريعة في المجال السياسي أو على الأقل يجب أن تتوجه بالدعوة إلى إقامة الشريعة بين أفراد وفئات وجماعات المجتمع أولا ثم التوجه بالدعوة لإقامة الشريعة في مجال علاقة الحكومة بالشعب أي لإقامة الدولة الإسلامية ثانيا ومن ثم فإن التغيير يجب أن يبدأ بالبنية التحتية وليس بالنية الفوقية للمجتمع.

إن الأساس الاعتقادي لهذا التوجه بالدعوة إلى البنية التحتية بدلا من البنية الفوقية له دليله في القرآن الكريم وهو قوله تعالى ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ فحكم الله سبحانه وتعالى يؤتى ثماره الطيبة في الحياة كأفضل ما تكون بين قوم يؤمنون بالله عز وجل وباليوم الآخر.

فإذا كان الإيمان قد ضعف في نفوس المسلمين وإذا كان المؤمنون قد أصبحوا أقلية في المجتمع، وإذا كان رُكام الجهل والجاهلية والانحرافات والمظاهر الشركية والسلوكيات الكفرية قد انتشرت بين الشعوب الإسلامية سواء على مستوى الحكام أو على مستوى المحكومين، فإن الخطوة العملية الواقعية الأولى لتطبيق شرع الله عز وجل وإقامة حكمه هو محاولة إحداث التغيير المطلوب ابتداء من القواعد الشعبية أي بين الكثرة الغالبة للمسلمين وليس مجرد إحداث تغيير في السلطة بغية تطبيق الشريعة على الناس قسرا ورغما عنهم، قبل أن يكون عندهم الوعي الإسلامي الكافي لقبوله، وقبل أن يترسخ عندهم الإيمان بوجوب تطبيقها.

ومن ثَمَّ ارتفع في ساحة الدعوة شعار جديد يقول: إقامة الفرد المسلم ثم الأسرة المسلمة بغية بناء، الجماعة المسلمة والمجتمع المسلم ثم الدولة الإسلامية ومنها الإنطلاق نحو إقامة الخلافة الإسلامية على

أرض الشعوب الإسلامية وبعدها يكون الجهاد والغزو لتوسيع رقعة الخلافة إلى المدى الذي قدره الله تعالى لنشر دينه.

لأن الخلافة الإسلامية هي الغاية التطبيقية العليا المحققة لعالمية الدعوة الإسلامية، وهذا المنهج يعتمد على أساليب دعوية وتربوية صبورة ومثابرة، كما تحتاج إلى دعاة مرابطين ليس لهم أهداف خاصة لحياتهم سوى الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ دينه كاملا واضحا جليا، غير واضعين في الاعتبار تحقيق الأهداف العليا في عمر هذا الجيل أو في عمر الجيل الذي يليه، لأن الأمر بيد الله تعالى والنصر من عنده وحده سبحانه وتحقيق الأهداف بقدره ومشيئته.

والمسلم الداعي مأجور بفضل الله تعالى على عمله ودعوته وجهاده بجنة الله تعالى في الآخرة سواء حدث النصر على يديه أو على يد غيره مِنْ بَعْدِهِ، وأما نجاح الدعوة وقيام الدولة الإسلامية وتحقيق النصر فهو بيد الله وحده يضعه حيث شاء ويمن به على من يشاء مِمَّنْ يريد سبحانه وينزله على فئة يختارها هو سبحانه وتعالى.

هكذا انتهى الإخوان في أهدافهم إلى ما يقرب من أهداف جماعة التبليغ بالرغم من وجود اختلافات في الفهم وفي الحركة وفي شمول التبليغ أهمها تنحية جماعة التبليغ السياسة عن الدين وكذا الْبُعْد عن الخوض في الشئون الاجتماعية وهموم الأمة الإسلامية وأمراضها.

ومن ثم تكون دعوة الإخوان المسلمين قد انتهت إلى اعتبار عودة الخلافة الإسلامية هدفا عاما أو غاية عليا لدعوتهم بمنهج التدرج من الفرد إلى الأسرة ثم الجماعة ثم الدولة الإسلامية ثم الخلافة الإسلامية في العالم الإسلامي.

وهذا يعني أنهم رفعوا راية الجهاد الواعية المتجهة نحو أهداف

مرحلية متعددة ومحددة ومعلومة تسعى إليه بمنهج وئيد الخطى يعتمد على التربية الإسلامية والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة فقط.

وهكذا أصبحت دعوتهم تتبنى هذا الهدف البعيد حاملة للواء الحضارة الإسلامية، ذلك لأن هذه الحضارة هي منهج الحياة الإسلامية التي ارتضاها الله تعالى للبشر وباعتبار الإسلام حضارة كاملة وشاملة لجميع مناحي ونشاطات الحياة، فالخلافة هي عنوان هذه الحضارة والشريعة الإسلامية هي التي ترسم معالمها وتحدد إطارها وتوجه حركة الإنسان فيها ليعيش الإنسان في ظلها خليفة لله تعالى في الأرض.

إن المفكر الإسلامي محمد إقبال وبعده الأستاذ المودودي ثم سيد قطب رحمهم الله تعالى جميعا هم الذين نبهوا إلى حقيقة استخلاف الله تعالى الإنسان في الأرض باعتبار هذه الحقيقة هي الأساس الاعتقادي لإقامة الخلافة الإسلامية في أرض الله تعالى بإقامة الشريعة الإسلامية في أنظمة الحكم والاقتصاد والقضاء والأخلاق والعلاقات الدولية وسائر شئون وأنظمة الحياة.

إن حقيقة استخلاف الإنسان في الأرض هي الحلقة الوسطى التي تربط جميع هذه الأنظمة بالتوحيد الإسلامي وتؤسسها عليه.

إن استخلاف الله تعالى للإنسان في الأرض لا يتحقق إلا بتطبيق شرعه وإقامة دينه ونصرة كلمة الله سبحانه وإعلائها.

وهذا يعني أن الخلافة العقدية التي هي إفراد الله تعالى بالربوبية وبالولاية وعدم اتخاذ وكيل من دون الله تعالى وكذا الخلافة السياسية المتمثلة في إقامة حكم الله تعالى في المجتمع ابتداء بنفس الفرد ثم في الأسرة ثم في الشعب المسلم الواحد ثم على مستوى الأمة الإسلامية الواحدة هي أهداف تدريجية للأهداف السبعة السابق ذكرها في فصل سابق.

وحيث إن مناهج الدعوة ترتبط ارتباطا وثيقا بغاياتها وأهدافها **فإن ثمة** بعض جماعات أو فئات في مجال الدعوة قد أخطأوا المنهج حينما أصروا على الدولة الإسلامية[١] باعتبارها الهدف الأول والوحيد الذي يجب أن يعملوا له دون النظر إلى ضرورة تغيير ما بالنفوس أولا أي أنهم أخطأوا المنهج عندما تركوا البدء بالبنية التحتية للمجتمع فلم يهتدوا إلى منهج الإخوان المسلمين وجماعة التبليغ وبعض الجماعات الأخرى التي تعتمد على التربية والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة حَتَّى تنتشر الدعوة بين غالبية الناس في المجتمع الأمر الذي يستتبع ويستلزم بالضرورة تغييراً في الدولة أو بالبنية الفوقية بناء على التغيير الحادث في نفوس الأكثرية، إن هذا المنهج الدعوي التربوي الذي يعتمد أولا وأخيرا على الكلمة والبيان والتبليغ من شأنه أن يستبعد استخدام القوة أو السلاح بغية إقامة الشريعة ونصرة الدين أو بغية الوصول إلى الحكم بقصد تطبيق الشريعة إذ لا يجوز في شرع الله عز وجل تطبيق الشريعة على الناس قسرا وجبرا دون موافقتهم ورغما عنهم، وبدون أن يختاروا هم أي الأغلبية الحياة في ظل الشريعة وحسب أحكامها وهذا لا يتأتى إلا بالدعوة بالكلمة واللسان فقط.

---

(١) مثل حزب التحرير الإسلامي ومثل جماعة الجهاد بزعامة الشيخ عمر عبد الرحمن وقد انتهى بهم هذا الفهم الخاطيء إلى استخدام العنف والسلاح فاستغل أعداء الإسلام خطأهم هذا باتهام الإسلام والمسلمين بالإرهاب زوراً.

الفصل العاشر

حاجة الأمة الإسلامية إلى مجدد لدينها في هذا العصر

مما لا شك فيه أن أصحاب الدعوات الكبرى التي تحدثنا عنها هم من المجددين الذي بعثهم الله تعالى ليجددوا للأمة أمر دينها كل قرن أو كل مائة سنة، ولا خلاف بين العلماء أن المودودي وحسن البنا رحمهما الله من الذين ينطبق عليهم هذا الوصف.

وحيث إن آفة أَتبْاعِ المجدد التقليد والجمود على أسلوبه في الدعوة وطريقته التي كانت مناسبة للعصر الذي جاء فيه والأهداف التطبيقية التي عينها وحددها لعلاج أمر الأمة في عصره، فإن الأتباع الذين جاءوا بعده بجيل وجيلين وثلاثة يصيبهم هذا التقليد المؤدي إلى الجمود على أسلوبه وطريقته وأهدافه، بينما تتغير الظروف والأحوال والأحداث والأمراض وأشكال الصراع في العالم، ومن ثم يصبح أسلوب المجدد غير مناسب لما حدث من تغيير في الأمة وفي أشكال الصراع مع أعداء الحق، الأمر الذي يستلزم تغييرا في الأهداف والأساليب والمناهج التي يجب أن يتبعها الدعاة، وحيث إن هذه جميعا لا يأتي بها إلا مجدد يبعثه الله تعالى على رأس القرن الجديد حسب ما جاء في حديث رسول الله ﷺ المشهور والمعلوم، فإن هذا يفسر لنا ما تعيشه الدعوة الإسلامية الآن من ركود

وجمود، وما تعانيه الأمة من هزائم وانتكاسات انتظارا لمجدد القرن المعاصر.

وليس هذا قدحا في جهود الدعاة المخلصين المعاصرين، وليس هذا تثبيطا لعزائمهم أو صدا لهم عن السير في طريقهم دعاة إلى الله تعالى بقدر الطاقة والاستطاعة، فكلٌّ مأجورٌ على عمله وبحسب نيته بإذن الله تعالى، ولكنه تبشير بقرب مجيء المجدد العظيم الذي سيكون أهلا لقيادة الدعوة في هذا الصراع الديني والحضاري القاسي الشديد، ولن يترك الله تعالى برحمته ومنه وفضله الصحوة الإسلامية المتنامية في الأمة بدون الرأس الذي يحتاج إليه لتوجيهها وقيادتها إلى النصر الذي وعده الله تعالى للمجاهدين في سبيله، وهؤلاء الذين أوقفوا حياتهم على نصر كلمة الله تعالى وإعلائها، وأن الصبح لقريب.

تم بحمد الله،،،

د/ عبد الله بن حسين الموجان

مكة المكرمة ص ب / ٦٨٩٥

فهرس الآيات القرآنية

الآية	الصفحة
﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف آية: ١٠٨)	٦
﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ . وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ (الواقعة، آية: (٣٩، ٤٠)	١٠
﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ (الأحزاب، آية: ٤٦)	١١
﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات، آية: ٥٥)	٢٢
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف، آية: ٢٠١)	٢٢
﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ (الغاشية، آية: ٢١)	٢٣
﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ . سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ . وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى . ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ (الأعلى، آية: ٩ ـ ١٢)	٢٣
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ (المزمل، آية: ١٩)	٢٣
﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ . فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ (المدثر، آية: ٥٤ ـ ٥٥)	٢٣
﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (المدثر، آية: ٤٩)	٢٤
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ . إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (البقرة، آية: ١٥٩ ـ ١٦٠)	٢٤

الآية	الصفحة
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ (الأعراف، آية: ١٧٢)	٢٤
﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران، آية: ١٨٧)	٢٥
﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (البقرة، آية: ٢٢١)	٢٥
﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة، آية: ٢٤٢)	٢٥
﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران، آية: ١٠٣)	٢٥
﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ (النساء، آية: ١٧٦)	٢٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ (الأحزاب، آية: ٤٥ ـ ٤٦)	٢٦
﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (آل عمران، آية: ٨٣)	٣٦
﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ (فصلت، آية: ١١)	٣٦
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ (النساء، آية: ١٢٥)	٣٧
﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ (الجن، آية: ١٤)	٣٨

الآية	الصفحة
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (آل عمران، آية: ٨٥)	٣٨
﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (آل عمران، آية: ١٩)	٣٨
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة، آية: ٣)	٣٩
﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران، آية: ٦٧)	٣٩
﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (البقرة، آية: ١٢٨)	٣٩
﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ. إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (البقرة، آية: ١٣٠ ـ ١٣١)	٤٠
﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ. أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة، آية: ١٣٢ ـ ١٣٣)	٤٠
﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران، آية: ٥٢)	٤٠
﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ (المائدة، آية: ١١١)	٤٠
﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ. وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ. قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (الأنبياء، آية: ١٠٦ ـ ١٠٨)	٤٠

الآية	الصفحة
﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء، آية: ٤١)	٤١
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت، آية: ٣٣)	٤١
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الصف، آية: ٧)	٤١
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ (الفتح، آية: ٢٨)	٤٤
﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة، آية: ١٢٢)	٤٤
﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء، آية: ٤٦)	٤٤
﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف، آية: ٧٦)	٤٥
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ (غافر، آية: ٢٦)	٤٥
﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (آل عمران، آية: ١٩)	٤٦
﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ (الكافرون، آية: ٦)	٤٦
﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (الشورى، آية: ١٣)	٤٦

الآية	الصفحة
﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ (النور، آية: ٥٥)	٤٧
﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً﴾ (النصر، آية: ٢)	٤٧
﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ (هود، آية: ٧)	٥١
﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً﴾ (الإنسان، آية: ٢)	٥١
﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾ (الكهف، آية: ٧)	٥١
﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾ (الملك، آية: ٢)	٥١
﴿وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾ (ص، آية: ٤٤)	٥١
﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ (البقرة، آية: ١٥٥ ـ ١٥٦ ـ ١٥٧)	٥٢
﴿كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ (الأنبياء، آية: ٣٥)	٥٢
﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم﴾ (محمد، آية: ٤)	٥٢
﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ (محمد، آية: ٧)	٥٢
﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ (آل عمران، آية: ١٦٠)	٥٢

الآية	الصفحة
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء، آية: ٣٦)	٥٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد، آية: ٧)	٥٦
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت، آية: ٣٣)	٥٧
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ. قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأعراف، آية: ٦٠)	٦٠
﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ. قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ. قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأعراف، آية: ٦٥ ـ ٦٧)	٦٠
﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الأعراف، آية: ٧٣)	٦٠
﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام، آية: ٨٠)	٦٠
﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأعراف، آية: ٨٠)	٦٠
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف، آية: ٨٥)	٦١
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (إبراهيم، آية: ٥)	٦١
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ. إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ (هود، آية: ٩٦ ـ ٩٧)	٦١

الآية	الصفحة
﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ . إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ . فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ . فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ . وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (المؤمنون، آية: ٥٤ ـ ٩٤)	٦٢
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ . وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ . وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ . وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ . فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ . وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (الشعراء، آية: ١٠ ـ ١٧)	٦٣
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (إبراهيم، آية: ٤)	٦٣
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا . قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ (الإسراء، آية: ١٠١ ـ ١٠٢)	٦٣
﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا . ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء، آية: ٢ ـ ٣)	٦٤
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (المائدة، آية: ٤٤)	٦٤
﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء، آية: ٢١٤)	٦٤

الآية	الصفحة
﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (الأنعام، آية: ٩٢)	٦٤
﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (الأحقاف، آية: ١٢)	٦٤
﴿يسٓ . وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ . إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ . عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ . تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ . لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ (يس، آية: ١ ـ ٦)	٦٥
﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (السجدة، آية: ٣)	٦٥
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الحج، آية: ٤٩)	٦٥
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة، آية: ٣٣)	٦٥
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء، آية: ١٠٧)	٦٥
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ، آية: ٢٨)	٦٥
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة، آية: ٨٤)	٦٧
﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ (الرعد، آية: ١٤)	٧٦
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ (الكهف، آية: ٥٧)	٧٦
﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (فاطر، آية: ٦)	٧٧

الآية	الصفحة
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام، آية: ١١٢)	٧٧
﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ . يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ. مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ. وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ. تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ. لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ. فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ (غافر، آية: ٣٨ ـ ٤٤)	٧٨
﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ (غافر، آية: ٤٣)	٧٩
﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ (نوح، آية: ٢ ـ ٣ ـ ٤)	٧٩
﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ. قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ (إبراهيم، آية: ٩ ـ ١٠)	٨٠
﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ (إبراهيم، آية: ١٠)	٨٠
﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (البقرة، آية: ٢٢١)	٨٠
﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (يونس، آية: ٢٥)	٨١
﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (القصص، آية: ٤١)	٨١

الآية	الصفحة
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (لقمان، آية: ٢١)	٨١
﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (فاطر، آية: ٦)	٨١
﴿وَلَا تَنكِحُوا ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (البقرة، آية: ٢٢١)	٨١
﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (يونس، آية: ٢٦)	٨٢
﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (ق، آية: ٣٥)	٨٢
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ. إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة، آية: ٢٢ ـ ٢٣)	٨٢
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ. قَالُوا رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ. ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ (غافر، آية: ١٠ ـ ١٢)	٨٣
﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ (يوسف، آية: ١٠٦)	٨٤
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الصف، آية: ٧)	٨٥
﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ. وَمَا تَفَرَّقُوٓا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ. فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (الشورى، آية: ١٣ ـ ١٥)	٨٥

الصفحة	الآية
٨٦	﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين. وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون. وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين. أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون. إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون. ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾ (النور، آية: ٤٧ ـ ٥٢)
٨٧	﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون. ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون﴾ (آل عمران، آية: ٢٣ ـ ٢٤)
٨٨	﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون﴾ (آل عمران، آية: ٢٣)
٨٨	﴿وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾ (المؤمنون، آية: ٧٣)
١٨٨	﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ (الأنعام، آية: ١٥٣)
٨٩	﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون﴾ (الأعراف، آية: ١٩٣)
٨٩	﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾ (الأعراف، آية: ١٩٨)
٨٩	﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً﴾ (الكهف، آية: ٥٧)
٨٩	﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ (الشورى، آية: ١٣)
٩٠	﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ (البقرة، آية: ٢٥٦)

الآية	الصفحة
﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح، آية: ١٦)	٩١
﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ (محمد، آية: ٣٨)	٩١
﴿۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة، آية: ٦٧)	٩٢
﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (الأحزاب، آية: ٣٩)	٩٣
﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا. لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (الجن، آية: ٢٦ ـ ٢٨)	٩٣
﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (الزخرف، آية: ٤٤)	٩٣
﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران، آية: ٢٠)	٩٤
﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (المائدة، آية: ٩٢)	٩٤
﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء، آية: ١٦٥)	٩٤
﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس، آية: ٩٩)	٩٤
﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق، آية: ٤٥)	٩٥
﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف، آية: ٢٩)	٩٥

الآية	الصفحة
﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة، آية: ٢٥٦)	٩٥
﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾ (المائدة، آية: ٩٩)	٩٥
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ (النحل، آية: ٣٥)	٩٥
﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ﴾ (الشورى، آية: ٤٨)	٩٦
﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ (الأعراف، آية: ٧٩)	٩٦
﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ (الأعراف، آية: ٥٣)	٩٦
﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ. وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾ (هود، آية: ٥٧ ـ ٥٨)	٩٦
﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ (يونس، آية: ٣٢)	٩٧
﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ (العنكبوت، آية: ٥٢)	١٢١
﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ (يونس، آية: ١٨)	١٢٢
﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ (الزمر، آية: ٣)	١٢٢

الآية	الصفحة
﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الروم، آية: ٣٢)	١٢٢
﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (الشورى، آية: ١٣)	١٢٢
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران، آية: ١٠٣)	١٢٢
﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (النساء، آية: ١٢٣)	١٢٣
﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة، آية: ٨٨)	١٢٣
﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ (هود، آية: ٩١)	١٢٣
﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة، آية: ١٠١ ـ ١٠٢)	١٢٤
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة، آية: ٩١)	١٢٤
﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (سبأ، آية: ٣٥)	١٢٥
﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام، آية: ٥٢)	١٢٥

الآية	الصفحة
﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة، آية: ١١١)	١٢٥
﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (النمل، آية: ٦٤)	١٢٥
﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة، آية: ١١٢)	١٢٥
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران آية: ٣١)	١٢٥
﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة، آية: ٨٠)	١٢٦
﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف، آية: ٢٣)	١٢٧
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (لقمان، آية: ٢١)	١٢٧
﴿۞ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (سبأ، آية: ٤٦)	١٢٧
﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف، آية: ٣)	١٢٧
﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام، آية: ١١٦)	١٢٧
﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ (الشعراء، آية: ١١١)	١٢٧
﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة، آية: ٣٤)	١٢٨
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات، آية: ٥٦)	١٢٨

الآية	الصفحة
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (النحل، آية: ١٣٠)	١٣٠
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء، آية: ٢٣ ـ ٢٤)	١٣٠
﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النساء، آية: ١٣٠)	١٣٠
﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام، آية: ١٥١ ـ ١٥٣)	١٣١
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ. لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (الكافرون، آية: ١ ـ ٣)	١٣٢
﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ (الإسراء، آية: ٢٢)	١٣٢
﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ (الإسراء، آية: ٣٩)	١٣٢
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام، آية: ١٦٢ ـ ١٦٣)	١٣٣
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (لقمان، آية: ٢٥)	١٣٥

الآية	الصفحة
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (الزمر، آية: ٣٨)	١٣٥
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام، آية: ٨٢)	١٣٧
﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان، آية: ١٣)	١٣٧
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء، آية: ٤٨، ١١٦)	١٣٧
﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف، آية: ١٠٨)	١٤٢
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ. إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ (الزخرف، آية: ٢٦ ـ ٢٧)	١٤٣
﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة، آية: ٣١)	١٤٣
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (البقرة، آية: ١٦٥)	١٤٤
﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة، آية: ٢٤)	١٤٤
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (البقرة، آية: ١٦٥)	١٤٦
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا. إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (البقرة، آية: ٤٨، ١١٦)	١٥٠

الآية	الصفحة
﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ (إبراهيم، آية: ٣٥)	١٥٠
﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما﴾ (النساء، آية: ٤٨، ١١٦)	١٥١
﴿۞ فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسم لو تعلمون عظيم. إنه لقرآن كريم. في كتاب مكنون. لا يمسه إلا المطهرون. تنزيل من رب العالمين. أفبهذا الحديث أنتم مدهنون. وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ (الواقعة، آية: ٧٥، ٨٢)	١٥٣
﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ (الكهف، آية: ١١٠)	١٥٥
﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب﴾ (الرعد، آية: ٣٠)	١٥٧
﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون. ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون. لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾ (التوبة، آية: ٦٤ ـ ٦٦)	١٥٨
﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (الأعراف، آية: ٥٤)	١٦٠
﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ (التوبة، آية: ٣١)	١٦١
﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ (النور، آية: ٦٣)	١٦٢

الآية	الصفحة
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا . فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ (النساء، آية: ٦٠ ـ ٦٢)	١٦٤
﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة، آية: ٥٠)	١٦٤
﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ . وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (يونس، آية: ١٠٦ ـ ١٠٧)	١٦٦
﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (العنكبوت، آية: ١٧)	١٦٦
﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ . وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (الأحقاف، آية: ٥ ـ ٦)	١٦٧
﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل، آية: ٢٦)	١٦٨
﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ (الأعراف، آية: ١٩١ ـ ١٩٢)	١٧٠
﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ . إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (فاطر، آية: ١٣ ـ ١٤)	١٧١
﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ (الشعراء، آية: ١٧٣)	١٧١

الآية	الصفحة
﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ . وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ (سبأ، آية: ٢٢ ـ ٢٣)	١٧٤
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ (البقرة، آية: ٢٥٥)	١٧٧
﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ (سبأ، آية: ٢٣)	١٧٧
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ (البقرة، آية: ٢٥٥)	١٧٩
﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ (النجم، آية: ٢٦)	١٧٩
﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ . وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ (سبأ، آية: ٢٢ ـ ٢٣)	١٧٩
﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (الزمر، آية: ٤٤)	١٨٠
﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء، آية: ٢٨)	١٨٠
﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ . وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأنعام، آية: ٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٢)	١٨١

الآية	الصفحة
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ. ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ. قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (الزمر، آية: ٤١ ـ ٤٥)	١٨٣
﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ. وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة، آية: ١١٣ ـ ١١٤)	١٨٧
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص، آية: ٥٦)	١٨٧
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ. أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (هود، آية: ١٥ ـ ١٦)	١٨٩
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام، آية: ١٦٢ . ١٦٣)	١٩١
﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ (الكوثر، آية: ٢)	١٩١
﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة، آية: ١٠٨)	١٩٤
﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ (الإنسان، آية: ٧)	١٩٥
﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (البقرة، آية: ٢٧٠)	١٩٥
﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (الجن، آية: ٦)	١٩٦

الآية	الصفحة
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (النساء، آية: ١٧١)	١٩٧
﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (نوح، آية: ٢٣)	١٩٧
﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ (النجم، آية: ١٩)	٢٠٣
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (التوبة، آية: ١٢٨، ١٢٩)	٢٠٥
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ (النساء، آية: ٥١)	٢٠٨
﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ (المائدة، آية: ٦١)	٢٠٨
﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة، آية: ١٠٢)	٢١٠
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ (النساء، آية: ٥١ ـ ٥٢)	٢١١
﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (يوسف، آية: ١٠٦)	٢١٨
﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (الزمر، آية: ٣٨)	٢١٩

الآية	الصفحة
﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف، آية: ١٣٨)	٢٢١
﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (آل عمران، آية: ١٥٤)	٢٢٧
﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران، آية: ١٦٨)	٢٢٧
﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية، آية: ٢٤)	٢٣٠
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (البقرة، آية: ١٦٥)	٢٣٤
﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة، آية: ٢٤)	٢٣٥
﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران، آية: ١٧٥)	٢٣٥
﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (الحجر، آية: ٥٦)	٢٣٧
﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة، آية: ٥٦)	٢٣٧
﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة، آية: ٥١)	٢٣٧
﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ (المائدة، آية: ٥٢)	٢٣٧

الآية	الصفحة
﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ. يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ . إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ. وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ. يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (المائدة، آية: ٥٣ ـ ٥٧)	٢٣٨
﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (المائدة، آية: ٥١)	٢٤٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ. إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ . لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (الممتحنة، آية: ١ ـ ٤)	٢٤٠
﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة، آية: ٢٢)	٢٤١
﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ. وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (يس، آية: ٦٠ ـ ٦١)	٢٤١
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ (النساء، آية: ٦٠)	٢٤١

الآية	الصفحة
﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة، آية : ٢٤١)	٢٤١
﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (الجن، آية : ٢٦ ـ ٢٧)	٢٤٢
﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء، آية : ٢٩)	٢٤٢
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة، آية : ٢٥٦)	٢٤٢
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران، آية : ٦٤)	٢٥٥
﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف، آية : ٠٤)	٢٥٥
﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (آل عمران، آية : ١٥٤)	٢٥٥
﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (النحل، آية : ١١٦)	٢٥٥
﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة، آية : ٤٥)	٢٥٦

الآية	الصفحة
﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (الشورى، آية: ١٠)	٢٥٩
﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف، آية: ٤٠)	٢٥٩
﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ (النساء، آية: ١٠٥)	٢٥٩
﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (آل عمران، آية: ٨٣)	٢٦٤
﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (يوسف، آية: ٥٠)	٢٦٥
﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ (المؤمنون، آية: ٤٧)	٢٦٦
﴿۞ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ. وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (الأنعام، آية: ١٤١ ـ ١٤٢)	٢٦٧
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم، آية: ٣٠)	٢٧٤
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة، آية: ٢١ ـ ٢٢)	٢٧٤

الفهرس

مقدمة الكتاب ٥

الفصل الأول: تعريف الدعوة الإسلامية ١١

الفصل الثاني: الدين والدعوة ٣١

الفصل الثالث: أهمية الدعوة بالنسبة للدين ٤٩

الفصل الرابع: الدعوة فريضة على الأمة ٥٩

الفصل الخامس: الدعوة بين الغاية والهدف والوسيلة ٧١

الفصل السادس: الهدف العملي العام للدعوة الإسلامية في العصر الراهن ٩٩

الفصل السابع: حركات الدعوة التجديدية في العصر الحديث ١٠٩

الفصل الثامن: الغاية الرئيسة لدعوة الإمام المودودي في باكستان والإمام حسن البنا في مصر ٢٤٥

الفصل التاسع: التحول عن هدف إقامة الدولة الإسلامية إلى هدف تكوين المجتمع المسلم ٢٧٧

الفصل العاشر: حاجة الأمة الإسلامية إلى مجدد لدينها في هذا العصر ٢٨٣

ردمك ٦-١٣٢-٤٤-٩٩٦٠